القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة السابعة والثلاثون العدد 11121 الأحد 29 آذار (مارس) 2026 – 10 شوال 1447 هـ
Volume 37 - Issue 11121 Sunday 29 March 2026

حوار: وزير الإعلام الكويتي الأسبق سامي النصف

جامع حمودة باشا في تونس: معلم وتاريخ

ماذا ينتظر صلاح وليفربول بعد الرحيل؟

زياد ماجد: سيناريوهات لإعلان «الانتصار» 22
الجزائر: تعديل دستوري وحزمة قوانين 28
وفاة أحمد قعبور تشعل موجة حزن 30

الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية: مفاوضات تحت القصف

مع بلوغها الشهر الأول تدخل الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية ضد إيران في طور مستجد، لجهة منح المهل من جانب الرئيس الأمريكي ترامب والتفاوض غير المباشر عبر وسطاء، مقابل إصرار نتنياهو على مواصلة قصف المواقع والمنشآت في إيران، وارتكاب جرائم الحرب في غزة، والتدمير والتهجير على جبهة لبنان. طهران من جانبها لم تتوقف عن استهداف الجوار الخليجي، ويتحول مضيق هرمز إلى ورقة تفاوض وتصعيد معاً.
(الحدث، 6-15)

Price List
الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

لجنة التحقيق الدولية المستقلة الخاصة بسوريا: غرفة عمليات مشتركة حكومية قادت هجوم السويداء

لا يكتفي تقرير اللجنة بتوصيف ما جرى، بل يوجه دعوة واضحة إلى المساءلة الشاملة، واتخاذ ضمانات ملموسة لمنع التكرار، وبناء الثقة بين المجتمعات المحلية، ومكافحة التحريض وخطاب الكراهية.

منهل باريش

أصدرت لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية تقريرًا جديدًا عن أعمال العنف التي اجتاحت محافظة السويداء في تموز/يوليو 2025، كاشفًا عن مشهد مركب جمع بين القرار العسكري المركزي، والتعبئة العشائرية/القبلية، والانهيار الميداني السريع الذي انتهى إلى مقتل أكثر من 1700 شخص ونزوح نحو 200 ألف من سكان المحافظة.

واستند التقرير إلى 409 شهادات مباشرة من ناجين وشهود، فضلًا عن زيارات ميدانية إلى المناطق المتضررة، بعد أن سمحت الحكومة السورية بدخول فريق اللجنة. وتقول اللجنة إنها عاينت دمارًا واسعًا، خصوصًا في القرى الدرزية، حيث أُحرقت أعداد كبيرة من المنازل والمحلات ودور العبادة، في واحدة من أكثر موجات العنف التي شهدتها المحافظة منذ سنوات.

وقال رئيس اللجنة، الدبلوماسي البرازيلي باولو سيرجيو بينهيرو، إن «حجم ووحشية أعمال العنف والانتهاكات الموثقة في السويداء أمر مقلق للغاية»، مشددًا على الحاجة إلى «جهود موسعة لمحاسبة جميع الجناة، بغض النظر عن انتماءاتهم أو رتبهم، من أجل إعادة بناء الثقة بين المجتمعات المتضررة، إلى جانب إجراء حوار صادق لمعالجة الأسباب الجذرية».

ومن بين أبرز ما يكشفه التقرير أن وزارتي الداخلية والدفاع السورية شرعتا في إنشاء غرفة عمليات مشتركة، بإشراف قائد قوات الأمن الداخلي في السويداء حينذاك، مع نشر ما يقارب أربعة آلاف عنصر في نهاية المطاف.

ويشير التقرير إلى أن هذا الترتيب لم يكن مجرد تدبير أمني طارئ، بل بدا أقرب إلى هيكل عملياتي منظم لإدارة التدخل العسكري في المحافظة، خصوصًا مع ما أعقبه من تحرك واسع للقوات الحكومية من عدة محاور، بالتوازي مع مشاركة مقاتلين عشائريين.

وحول الساعات الأخيرة قبل انطلاق الهجوم، أشار التقرير إلى أن وفدًا من وزارتي الداخلية والدفاع، بقيادة قائد العمليات في قوات الأمن الداخلي، عقد اجتماعًا في قرية المزرعة في 14 تموز/يوليو مع كبار قادة القوات الحكومية وعدد من القادة الدروز، بهدف «تمهيد الطريق لدخول القوات الحكومية بأقل قدر من العنف». لكن الاجتماع أخفق عمليًا، إذ لم يحضر من المدعوين سوى صاحب دار الضيافة، فيما تحققت اللجنة من إجراء اتصالات هاتفية تلك الليلة، بينها اتصال مع الشيخ حكمت الهجري.

ويقرأ التقرير هذا الفشل بوصفه مؤشرًا على عمق الفجوة بين دمشق والقيادات المحلية، وعلى أن نافذة التفاهم السياسي كانت تضيق سريعًا لحساب الخيار العسكري.

المقاتلون القبليون

مع تحرك الأرتال الحكومية الكبيرة نحو السويداء في 14 تموز/يوليو، كانت مجموعات من المقاتلين القبليين تعمل بالتوازي معها. وقد واجهت هذه القوات مقاومة مسلحة من المجلس العسكري في السويداء وفصائل محلية أخرى، على الطريق الممتد من بصرى الحرير في درعا نحو السويداء.

وبحسب التقرير، قُتل 63 جنديًا وخمسة من عناصر قوات الأمن الداخلي، بينما أُسر ما لا يقل عن خمسة آخرين وظهروا في تسجيلات مصورة تعرضوا فيها للضرب والصفع وقص الشعر بقصد الإذلال.

لاحقًا، تعرضت أرتال القوات الحكومية لعدة غارات جوية إسرائيلية قرب بلدتي كَنَاكِر والمزرعة، إضافة إلى استهداف مقر اللواء 12 السابق في درعا، ما ألحق خسائر إضافية بالقوات المتقدمة.

ويقول التقرير إن التدخل العسكري الإسرائيلي لم يقتصر أثره على إيقاع القتلى والجرحى، بل ساهم أيضًا في تعقيد المشهد السياسي والأمني، وتأجيج اتهامات الخيانة، وزيادة التحريض الإلكتروني والكراهية، على نحو عمّق الانقسام داخل المجتمع المحلي.

في 15 تموز/يوليو، وصلت القوات الحكومية والمقاتلون القبليون المرافقون لها إلى مدينة السويداء، ودخلت الوحدات الحكومية، بما فيها المدرعات، من عدة محاور حتى بلغت دوار عمران في الصباح، حسب الفقرة 34 من التقرير.

وفي تلك اللحظة، بدا أن تفاهمًا ما لا يزال ممكنًا، إذ رحّب الشيخ حكمت الهجري في البداية بدخول القوات الحكومية، ودعا الفصائل المحلية إلى عدم المقاومة، فيما أعلن وزير الدفاع اللواء مرهف أبو قصرة وقفًا كاملًا لإطلاق النار بعد اتفاق مع وجهاء المدينة وشيوخها.

إلا أن قرار وقف النار لم يصمد طويلًا، فمع دخول القوات الحكومية إلى جانب المقاتلين العشائريين، تراجع الهجري عن موقفه، داعيًا إلى المقاومة المسلحة ومطالبًا بحماية دولية.

ويشير التقرير ضمنيًا إلى أن موقف الهجري لم يتبدل سياسيًا بقدر ما يعكس انهيار الاتفاق على الأرض.

في ذلك السياق، استؤنف القصف، بما في ذلك استهداف أحياء مدنية، بينما أدت الغارات الجوية الإسرائيلية المتجددة، التي قيل إنها تستهدف حماية الدروز، إلى إلحاق خسائر كبيرة بالقوات الحكومية في مدينة السويداء. وانقطعت الكهرباء والاتصالات خلال العمليات، ما أعاق تواصل المدنيين وأثر على وصولهم إلى الخدمات الأساسية.

وبحلول مساء ذلك اليوم، كانت الأحياء الغربية والوسطى من المدينة قد سقطت تحت سيطرة القوات الحكومية، وسط حرائق وعمليات نهب واسعة، فيما وصفه التقرير بذروة الهجوم الحكومي.

وخلال ليلة 15–16 تموز/يوليو، استعادت فصائل محلية بعض الأحياء، لكن القوات الحكومية والمقاتلين القبليين أعادوا السيطرة صباح 16 تموز/يوليو.

موجة أولى من العنف المنظم

ويعتبر التقرير أن الفترة الممتدة بين 14 و16 تموز/يوليو شهدت «الموجة الأولى الكبرى من العنف ضد المدنيين»، حيث شارك العديد من أفراد القوات الحكومية، إلى جانب المقاتلين القبليين، في انتهاكات ضد السكان المدنيين، أو لم يتدخلوا لوقفها.

وتشمل هذه الانتهاكات، بحسب اللجنة: القتل الواسع، والهجمات المباشرة ضد المدنيين، والاعتقال التعسفي والخطف، والتعذيب وسوء المعاملة، والنهب، والعنف الجنسي، والإهانات الطائفية، والهجمات على المباني الدينية.

استهداف على أساس الهوية

ومن أخطر ما يورده التقرير أن عمليات القتل والإعدام الميداني اتبعت في كثير من الحالات نمطًا قائمًا على النوع الاجتماعي والهوية الطائفية؛ إذ جرى فصل الرجال والفتيان الأكبر سنًا عن النساء والفتيات والأطفال الأصغر سنًا، ثم قتل العديد من الرجال بعد تجريدهم من ممتلكاتهم وإهانتهم على أساس ديني.

كما وثّقت اللجنة قتل مدنيين داخل منازلهم، أو في الشوارع، أو أمام أفراد أسرهم، إلى جانب أعمال تعذيب واحتجاز تعسفي ونهب واسع. وتشير إلى أن بعض الضحايا أُجبروا على مشاهدة قتل أقاربهم، فيما استخدمت عبارات طائفية مهينة أثناء تنفيذ الجرائم.

وتشير الفقرة 65 إلى أنه في حالتين على الأقل قُتل الضحايا بالسكاكين أو السيوف. وفي إحدى القضايا التي حظيت بتغطية واسعة، أُجبر ثلاثة شبان على القفز من شرفة بينما كان يُطلق النار عليهم، ولم يكن واضحًا ما إذا كان إطلاق النار أم السقوط هو السبب المباشر لوفاتهم. وفي قضية بارزة أخرى، أُجبر ثمانية رجال على السير إلى ساحة قريبة، وهم لا يزالون يرتدون ملابس النوم، وكان أحدهم على الأقل حافي القدمين، حيث صُفّوا في خط وأُطلق النار عليهم من مسافة قريبة.

والجدير بالذكر أن الحادثتين الأخيرتين جرى تبريرهما من قبل ناشطين مقربين من الحكومة السورية على اعتبار أن حادثة القفز من الشرفة جرت في اللاذقية ضد مقاتلين من فلول النظام السابق، في حين أنّهم المقاتلون الدروز بجرم تصفية الرجال في الساحة المذكورة.

ثلاث موجات

ويضع التقرير أحداث تموز/يوليو ضمن ثلاث موجات متداخلة من العنف: الأولى استهدفت المدنيين الدروز على يد القوات الحكومية ومقاتلين قبليين مرافقين لها، والثانية استهدفت المدنيين البدو على يد جماعات مسلحة درزية بعد انسحاب القوات الحكومية، أما الثالثة فتمثلت في هجمات انتقامية نفذها مقاتلون من العشائر ضد المدنيين الدروز، وشملت حرق ونهب نحو 35 قرية ذات أغلبية درزية أو مختلطة.

وفي الحصيلة، تؤكد اللجنة أنها تلقت تقارير موثوقة عن مقتل أكثر من 1707 أشخاص، بينهم 1190 رجلاً درزيًا، و99 امرأة، و22 فتى، و31 فتاة، فضلًا عن قتلى من المجتمع البدوي المحلي الأصغر حجمًا، حيث قُتل منه 53 رجلًا و9 نساء و5 فتيان و3 فتيات. وكان معظمهم من المدنيين أو الأفراد الذين لم يشاركوا وقتها في الأعمال العدائية، كما أن ما لا يقل عن 225 من قوات الحكومة لقوا حتفهم، وكثير منهم في غارات جوية إسرائيلية في الفترة من 14 إلى 16 تموز/يوليو في كل من السويداء ودمشق، إلى جانب ضحايا إضافيين من العشائر.

كما لا يزال عشرات الأشخاص في عداد المفقودين، بينهم دروز وبدو وموظفون كحويين، في وقت ما تزال فيه المحافظة تعيش انقسامًا حادًا، وتوقفًا للحوار السياسي، واستمرارًا للاشتباكات، مع بقاء نحو 155 ألف نازح عاجزين عن العودة إلى منازلهم.

لا يكتفي تقرير اللجنة بتوصيف ما جرى، بل يوجه دعوة واضحة إلى المساءلة الشاملة، واتخاذ ضمانات ملموسة لمنع التكرار، وبناء الثقة بين المجتمعات المحلية، ومكافحة التحريض وخطاب الكراهية، بما في ذلك عبر الإنترنت.

السودان: رئيس الوزراء يوجه بإلغاء أي رسوم جديدة بعد احتجاجات وشلل حركة السفر في معبر أرقين

يشكل المعبر شرياناً حيوياً لحركة الركاب والبضائع بين السودان ومصر، في ظل الحرب التي دفعت مئات الآلاف من السودانيين إلى اللجوء إلى دول الجوار ومن ثم موجة العودة الواسعة للبلاد.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

أصدر رئيس الوزراء السوداني الدكتور كامل إدريس السبت توجيهاً عاجلاً يقضي بعدم إضافة أي رسوم أو ضرائب جديدة في المعابر الحدودية، وذلك في محاولة لاحتواء أزمة حادة اندلعت في معبر أرقين الحدودي مع جمهورية مصر العربية، حيث توقفت حركة السفر البري.

وشهد المعبر حالة من الشلل شبه التام عقب إعلان سائقي الباصات السفرية إضراباً مفتوحاً احتجاجاً على زيادات كبيرة في الرسوم والضرائب المفروضة على الباصات واستياثهم من الأوضاع، مشيرين إلى أن عودتهم جاءت استجابة لدعوات حكومية للعودة الطوعية، بعد استعادة الجيش السوداني نطاقاً واسعاً من المدن والولايات، ومع وعود بتحسين الخدمات.

مطالب سائقي النقل

تمثلت المطالب الرئيسية لسائقي الباصات في إلغاء الزيادة الأخيرة في الرسوم والضرائب الجمركية، والحد من تعدد الجبايات على الطرق القومية، وتحسين أوضاعهم وتقنين أوضاعهم بما يضمن استمرارية عملهم.

وأوضح السائقون أن الزيادة المفاجئة في الرسوم، إلى جانب ارتفاع أسعار الوقود، جعلت تشغيل الباصات أمراً غير مجدٍ اقتصادياً، خصوصاً في ظل ارتفاع التضخم.

ولم تقتصر الاحتجاجات على السائقين فقط، بل شملت أيضاً العائدين الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للبقاء لساعات طويلة في ظروف معيشية صعبة وسط الازدحام، بينما يصطف القادمون من جمهورية مصر في طوابير طويلة لإتمام الإجراءات الجمركية.

تداعيات إنسانية

يشكل معبر أرقين شرياناً حيوياً لحركة الركاب والبضائع بين السودان ومصر، خاصة في ظل الحرب المستمرة التي دفعت مئات الآلاف من السودانيين إلى اللجوء إلى دول الجوار ومن ثم موجة العودة الواسعة للبلاد بعد وعود حكومية بتعزيز الأمن وتحسين الخدمات.

ويشهد معبر أرقين البري عودة أعداد كبيرة من السودانيين من مصر عبر المعابر البرية، حيث سجل المعبر دخول مئات الحافلات يومياً مع آلاف الركاب العائدين من مصر.

وكانت الحكومة قد وعدت بتسهيل عودة الفارين من المعارك إلى دول الجوار بعد نحو ثلاث سنوات من اللجوء، وأطلقت دعوات للعودة الطوعية.

ومع ذلك، فإن الازدحام المروري والانتظار الطويل في المعبر لم يقتصر على المسافرين فحسب، بل امتد أيضاً إلى المركبات التي تنقل البضائع، ما أثر على حركة التجارة الحدودية بين البلدين.

وأدت هذه الأوضاع إلى توترات بين الجهات الجمركية ومسؤولي النقل والسائقين، إذ اتهم بعض السائقين السلطات بتباطؤ إجراءات التخليص الجمركي وإضافة عبء إداري يزيد من مدة الانتظار، بينما أشارت الجهات الرسمية إلى أن الازدحام لا يتعلق فقط بالضرائب وإنما بكثرة أعداد العائدين وارتفاع حركة المرور، ما يستدعي إجراءات تنظيمية أوضاع اقتصادية صعبة تشهدها البلاد منذ اندلاع الحرب منتصف نيسان/ابريل 2023.

وقد اعتبر السائقون هذه الزيادة عبئاً مفرطاً على قطاع النقل، الذي يعاني أصلاً من ارتفاع كبير في تكاليف التشغيل نتيجة لغلاء الوقود وتراجع القدرة الشرائية للمواطنين، وهو ما أدى إلى توقف حركة السفر عبر المعبر بشكل شبه كامل.

ومع تراجع حركة الباصات، تكدس مئات العائدين من مصر داخل باحات المعبر، في ظل ظروف إنسانية صعبة مع نقص واضح في الخدمات الأساسية مثل الماء والغذاء والمأوى.

وعبر العديد من العائدين عن غضبهم واستيائهم من الأوضاع، مشيرين إلى أن عودتهم جاءت استجابة لدعوات حكومية للعودة الطوعية، بعد استعادة الجيش السوداني نطاقاً واسعاً من المدن والولايات، ومع وعود بتحسين الخدمات.

السياق الاقتصادي والسياسي

تأتي هذه الأزمة في ظل أزمة اقتصادية مستمرة في السودان، حيث يعاني الاقتصاد من تراجع كبير، وارتفاع أسعار الوقود، ونقص الخدمات الأساسية نتيجة استمرار النزاع والصراع السياسي. ويعتمد قطاع النقل البري بشكل كبير على الباصات والناقلات لنقل الركاب والبضائع داخل وخارج البلاد، ما يجعل أي تغيير في الرسوم الجمركية وارتفاع التكاليف عاملاً حاسماً في استدامة هذا القطاع الحيوي.

ويرى خبراء اقتصاديون أن الأزمة الراهنة تسلط الضوء على معضلة أكبر تواجه الحكومة السودانية، تتعلق بكيفية زيادة الإيرادات في ظل ضائقة مالية وفي نفس الوقت تفادي تحميل العبء الأكبر على المواطنين والقطاع الخاص الذين يعانون من تبعات الحرب والتضخم.

تدخل الحكومي ومحاولات للتهدئة

بعد توجيه رئيس الوزراء، بدأت بعض الجهات الحكومية في التدخل لاحتواء الأزمة، حيث أعلن تعليق تطبيق الزيادات حتى مراجعتها رسمياً، وسط توقعات باستئناف حركة النقل تدريجياً وتحسين ظروف العبور في المعبر. لكن حتى ساعة إعداد هذا التقرير، لا تزال بعض التفاصيل المتعلقة بآلية التنفيذ النهائية للقرار قيد البحث والمراجعة بين الجهات المعنية، في انتظار توضيحات رسمية نهائية من وزارة المالية والهيئات الجمركية.

ويعتبر مراقبون تنفيذ هذا القرار اختباراً لقدرة الحكومة على تحقيق التوازن بين الضرائب والإيرادات من جهة، واحتياجات المواطنين والناقلين من جهة أخرى.

صارمة لضمان سلامة الإجراءات.

السنة السابعة والثلاثون العدد 11121 الأحد 29 آذار (مارس) 2026 – 10 شوال 1447 هـ

أوكرانيا: واشنطن تتهم زيلينسكي بالكذب وتدرس تحويل أسلحتها المخصصة لكييف إلى الشرق الأوسط

شهدت العمليات العسكرية تصعيدًا ملحوظًا في وتيرة الضربات المتبادلة بين الروس والأوكرانيين، مع استخدام مكثف للطائرات المسيّرة في هجمات طالت مواقع عسكرية وبنى تحتية في عمق أراضي الطرفين.

باريس–القدس العربي»: آدم جابر

اتهم وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو، الذي يُنظر إليه على أنّه من أشد المؤيّدين لأوكرانيا في إدارة الرئيس دونالد ترامب، اتّهم الرئيس الأوكراني بالكذب، رداً على تصريح فولوديمير زيلينسكي، في مقابلة مع وكالة «فرانس برس»، بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس ضغوطًا على كييف لسحب قواتها بالكامل من منطقة دونباس شرق البلاد، في إطار مساع لإنهاء الحرب مع روسيا التي دخلت عامها الرابع.

وشدد الوزير الأمريكي، على أنّ موقف بلاده واضح، وهو أن الضمانات الأمنية لن تُفعّل إلا بعد انتهاء الحرب، تفاديًا لأي انخراط مباشر في النزاع.

كما أكد وزير الخارجية الأمريكي أن بلاده قد تعيد توجيه شحنات الأسلحة إذا اقتضت الضرورة، قائلًا إن الأولوية ستكون دائماً للاحتياجات الأمريكية، مع الإشارة إلى أن أي تحويل لم يحدث حتى الآن، وذلك في وقت تحدثت فيه تقارير عن أن الإدارة الأمريكية بقيادة دونالد ترامب تدرس إمكانية إعادة توجيه بعض شحنات الأسلحة المخصصة لأوكرانيا نحو الشرق الأوسط، في ظل التصعيد مع إيران والحاجة لتعزيز الدفاعات الجوية الأمريكية وحلفائها في المنطقة.

صحيفة «واشنطن بوست»، ذكرت أنه لم يُتخذ قرار نهائي بعد، إلا أن هذا الخيار مطروح بقوة، خاصة مع تزايد الحاجة لاعتراض الصواريخ والطائرات المسيّرة في المنطقة. ونقلت الصحيفة عن ثلاثة مصادر مطلعة قولهم إن التغيير المحتمل في استراتيجية الولايات المتحدة قد يؤثر خصوصاً على صواريخ الاعتراض للدفاع الجوي التي تم طلبها ضمن برنامج PURL التابع لحلف شمال الأطلسي. وقد أُطلق هذا البرنامج العام الماضي، ويسمح للدول الشريكة بشراء أسلحة أمريكية لأوكرانيا، متجاوزةً بذلك القيود المفروضة على المساعدات المباشرة خلال إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب.

وتعتبر أنظمة باتريوت وثاد، التي تتميز بتكنولوجيا متقدمة لاعتراض الصواريخ والدفاع الجوي، من أكثر الأسلحة طلباً من قبل أوكرانيا. وقد تم بالفعل إعادة توجيه بعض هذه الأنظمة من قبل الولايات المتحدة إلى القيادة المركزية في الشرق الأوسط لمواجهة التهديدات الإيرانية. وأفادت مصادر قريبة من البنتاغون أن الشحنات المستقبلية قد لا تشمل معدات الدفاع الجوي.

هذا الأسبوع، عبّر الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي عن قلقه المتزايد من تأثير الحرب الدائرة في الشرق الأوسط على بلاده في حربها مع روسيا، وسط توقف مفاوضات السلام بينهما، التي ترعاها واشنطن، إثر اندلاع الحرب في الشرق الأوسط.

وقال، في مقابلة صحيفة «لوموند» الفرنسية هذا الأسبوع، أن تصاعد التوترات في الشرق الأوسط أدى إلى تراجع الاهتمام الدولي بالحرب في أوكرانيا، ما دفعها إلى مرتبة ثانوية في أولويات المجتمع الدولي. كما حذر الرئيس الأوكراني من مغبة أن هذا التحول قد ينعكس سلباً على حجم المساعدات العسكرية، خصوصاً في مجال الدفاع الجوي، في ظل محدودية القدرات الإنتاجية للولايات المتحدة. واعتبر أن أي تخفيف للعقوبات على النفط الروسي قد يمنح موسكو موارد مالية إضافية، تمكنها من مواصلة حربها بشكل أقوى، وربما تعزيز دعمها لإيران؛ مشددا على أن بلاده لا تطلب مقابلا مباشراً لهذه المساعدات، لكنها تتوقع استمرار الدعم الأمريكي.

وسط ذلك، زار الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي السعودية (مدينة جدة)، حيث وقّعت كييف والرياض اتفاقية تعاون دفاعي تهدف إلى تعزيز قدرات الدفاع الجوي. وهو اتفاق ستعمل أوكرانيا بموجبه على نقل خبراتها في مواجهة الطائرات المسيّرة، خاصة من طراز «شاهد» ذات التصميم الإيراني، لمساعدة الرياض على تطوير الأنظمة والمكوّنات التي لا تزال بحاجة إليها في مجال الدفاع الجوي.

وأوضح مسؤولون مطلعون أن الهدف من الاتفاق هو تمكين السعودية من التصدي بشكل أكثر فعالية لهذه التهديدات الجوية، في ظل تزايد استخدام هذا النوع من الطائرات في النزاعات الإقليمية. كما أكد زيلينسكي أن بلاده مستعدة لتقاسم خبراتها وأنظمتها الدفاعية، مشيرًا إلى أن لدى الرياض إمكانيات وموارد قد تهم أوكرانيا أيضًا، من دون الكشف عن تفاصيل إضافية.

وأشار الرئيس الأوكراني إلى أن بلاده تواجه منذ بداية الغزو الروسي عام 2022 هجمات مكثفة بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة، وهي - وفق تعبيره - تهديدات مشابهة لتلك التي يشهدها الشرق الأوسط ومنطقة الخليج نتيجة أنشطة إيران، ما يعزز أهمية هذا التعاون بين كييف والرياض في مواجهة التحديات الأمنية المشتركة.

وزار برلمانيون روس هذا الأسبوع الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة لـ«إحياء» العلاقات بين موسكو وواشنطن، حيث أجروا لقاءات مع نظراء أمريكيين في واشنطن، بحسب وسائل إعلام روسية. تزامن ذلك، مع تعبير الرئيس الفنلندي الكسندر ستوب الذي تربطه علاقات وثيقة بكل من نظيريه الأمريكي دونالد ترامب والأوكراني فولوديمير زيلينسكي، عن خشيته من وصول محادثات السلام التي تقودها الولايات المتحدة بشأن أوكرانيا إلى طريق مسدود. وقال في مقابلة مع صحيفة «في جي» النرويجية، «قد يعود ذلك إلى الحرب في إيران التي تُحوّل الأنظار بشكل كبير عن الحرب في أوكرانيا. ولكن من المحتمل أيضا أن تكون المفاوضات قد وصلت إلى طريق مسدود، ولم تعد تُحرز أي تقدم. أعتقد أن المفاوضين الأمريكيين بذلوا قصارى جهدهم، وأن جوهر المسألة بات يتمحور حول قضية واحدة ترتبط بدونيتسك والأراضي المتنازع عليها. لكن المشكلة الكبرى تكمن في أن روسيا لا ترغب في السلام في نظري».

وتواصلت على مدار الأسبوع العمليات العسكرية في جبهة القتال، التي شهدت تصعيدًا ملحوظًا في وتيرة الضربات المتبادلة بين الروس والأوكرانيين، مع استخدام مكثف للطائرات المسيّرة في هجمات واسعة النطاق طالت مواقع عسكرية وبنى تحتية في عمق أراضي الطرفين. وامتد تأثير الضربات إلى مدن بعيدة عن خطوط المواجهة.

Volume 37 - Issue 11121 Sunday 29 March 2026

ما إمكانات استئناف مفاوضات السلام في اليمن؟

تمثل حالة الجمود الراهنة في الملف اليمني تهديدًا بنسف ما تم تحقيقه جولات التفاوض السابقة، وبالتالي قد يتحول الجهد من استئناف إلى البدء من جديد.

صنعاء–«القدس العربي»: أحمد الأغبري

مع تطورات الصراع الإقليمي في المنطقة بدءًا من العدوان على غزة وما ترتب عليه من تصعيد إقليمي وإسناد يمني، ومرورًا بالهجوم الأمريكي الإسرائيلي على إيران؛ وبينهما اجتياح محافظتي حضرموت والمهرة شرقي اليمن، وما تلاه من تصعيد عسكري سعودي ضد المجلس الانتقالي (الانفصالي) في كانون الأول/ديسمبر الماضي، تراجع الاهتمام المحلي والإقليمي والدولي باستئناف مفاوضات السلام في اليمن، بل وصارت بيانات المبعوث الأممي الخاص لليمن، هانس غروندبرغ، باهتة وتخلو مما يُعد تطورًا حقيقيًا يتجاوز بهذا الملف حالة الجمود المستمرة منذ أكثر من ثلاث سنوات.

إن استمرار هذا الجمود يعني استمرار معاناة أكثر من عشرين مليون يمني، ممن يحتاجون للمساعدات والحماية، وفتح التوقعات على أسوأ الاحتمالات؛ وبالتالي فاستمرار تعليق ملف السلام يعني إمعانًا في تجاهل معاناة ملايين اليمنيين، الذين طحنتهم سنون الحرب والصراع؛ وبقاء مصير هذا البلد في نفق مظلم.

حسب بيانات الأمم المتحدة عن الوضع الإنساني في اليمن، «ففي عام 2026، سيحتاج أكثر من 22 مليون شخص – من بينهم 10.95 مليون امرأة وفتاة – إلى المساعدة الإنسانية وخدمات الحماية في جميع أنحاء اليمن. ويشمل ذلك 5.2 مليون نازح داخليًا».

ولفتت إلى «أن أحدث تحليل للتصنيف المرحلي المتكامل (IPC) يشير إلى مزيد من التدهور، بما في ذلك تحول بعض المناطق من مستوى الأزمة إلى مستوى الطوارئ، وحدوث جيوب من الظروف الكارثية التي تؤثر على بعض المجتمعات الأكثر هشاشة».

وأكد أن «مستويات سوء التغذية لا تزال مرتفعة بشكل حرج، حيث يعاني أكثر من 2.2 مليون طفل دون سن الخامسة من سوء التغذية الحاد، من بينهم 516.157 طفل يعانون من سوء التغذية الحاد الوخيم».

مما يعني أن الوضع مثير للقلق والخوف مما تحمله السنوات المقبلة في حال بقاء حالة الجمود الراهنة.

بالعودة إلى ما يصدر عن طرفي الصراع من تصريحات عن الحرب والسلام منذ توقيع اتفاق الهدنة عام 2022؛ لا يظهر للمتابع أن ثمة استعدادا حقيقيًا للسلام وأيضًا للحرب؛ وكأن كل طرف صار راض بوضعه الراهن. وقبل ذلك لم يعد يصدر ما يُفضي إلى تفاؤل بشأن مصير هذا الملف من قبل الحلفاء، الذين يقفون وراء القوى المتصارعة على امتداد اليمن، بما في ذلك اللجنة الرباعية الدولية المسؤولة عن هذا الملف، التي صارت تتعامل مع الملف بسياسة ترحيل وصولاً إلى تحويل الملف إلى درج الهامش، لاسيما مع انشغال العالم بقضايا دولية ذات أولوية، والتي لم تُعد معها قضية اليمن في المتن السياسي الدولي، والخوف من أنها صارت قضية منسية.

على الرغم من استمرار جولات المبعوث الأممي، ولقاءاته المستمرة بالأطراف المحلية والإقليمية والدولية الفاعلة، وذات العلاقة والتأثير بمسار الملف اليمني إلا أن تلك اللقاءات لم تعد تخرج بأكثر من بيانات دبلوماسية في لغتها المطاطية، والتي صارت لا تحمل نبأ بانفراج ما ولو بسيط. ولمعرفة حجم التعقيد الذي تفرضه الأطراف المتصارعة على مسار التفاوض، في حال افترضنا أن بيد هذه الاطراف قرار الحرب والسلم، يمكن التوقف قليلا أمام ما حققته اللجنة الاشرافية الخاصة بمتابعة ملف الأسرى، التي تداول الإعلام خبر بدء انعقاد جولتها الحادية عشرة في العاصمة الأردنية عمان في 5 شباط/فبراير، ولم يصدر منذئذ أي بيان أو خبر عن انفضاض اللقاء أو تحقيق تقدم ما، باستثناء تسريب، الجمعة الماضية، عن تمديد أسبوع لعمل اللجنة، لإتاحة الفرصة لها لاستكمال مهامها؛ ما يؤشر لما يفرضه المتفاوضون من تعقيدات لمسار التفاوض، لاسيما ونحن نقف على مفاوضات يفترض ألا تخضع للاستغلال السياسي والمناورة؛ لأنها تتعلق بملف إنساني، معني بأسرى هم في الأصل يمنيون والمتفاوضون هم أيضا يمنيون.

وسبقت الجولة المنعقدة في عمّان عدة جولات، آخرها جولة في مسقط نجحت في التوصل إلى اتفاق، لكن تعثر الطرفان في تنفيذه، وقبلها تعثرت جولتان في الوصول إلى اتفاق، وقبلها جولات أخرى.

وبالتالي فإن حالة اللاحرب واللاسلم التي باتت وكأنها تجمدت في اليمن، تمثل تحديًا خطيرًا أمام إعادة تفكيك الملف اليمني، أو بمعنى أوضح إعادته لواجهة الاهتمام الإقليمي والدولي، في ظل ما يلقاه من تجاهل وتعنت محلي إن جاز القول.

تمثل حالة الجمود الراهنة في الملف اليمني تهديدًا بنسف ما تم تحقيقه جولات التفاوض السابقة، وبالتالي قد يتحول الجهد من استئناف إلى البدء من جديد؛ والبدء من جديد قد يكون تفخيخًا لكل شيء، وفتح البلاد على فصل جديد من الصراع.

في قراءته للإشكالية، التي تمثلها حالة الجمود في الملف اليمني وإمكانات استئناف مفاوضات السلام، يرى أمين عام حزب التجمع الوحدوي اليمني، عبدالله عويل، أن حالة اللاحرب واللاسلم التي يعيشها اليمن منذ نيسان/أبريل 2022 هي الحالة الأخطر في تاريخ اليمن الحديث.

وقال متحدثًا لـ«القدس العربي»:«أدت هذه الحالة إلى تردي مستوى الخدمات إلى درجة غير مقبولة، وغابت المؤسسات، وسادت الفوضى والمجاعات، وساءت الحالة الإنسانية إلى أدنى مستوى في مناطق الحوثيين والشرعية على حد سواء. وقد توقفت تمامًا جهود حل الأزمة والحرب من قبل الاقليم والمجتمع الدولي، بعد السابع من تشرين الأول/اكتوبر 2023، خصوصًا بعد مشاركة أنصار الله في مساندة غزة وإغلاق باب المندب، مما أدى إلى تجميد خارطة الطريق التي كانت جاهزة للتوقيع في كانون الثاني/يناير 2024».

ويعتقد عويل أنه «منذ ذلك التاريخ توقف الاهتمام بالملف اليمني، لكن هذا الجمود في ظل سلطات الأمر الواقع تحول إلى كارثة على الشعب اليمني، إذ غابت المؤسسات وغابت الدولة، وتراجع القضاء، وأصبح مسؤولو هذه البلاد في حل من المحاسبة والرقابة. فتحولت إيرادات الدولة إلى جيوب هؤلاء القادة مدنيين وميليشيات، وتوقفت رواتب موظفي الدولة، وارتفعت أسعار السلع، وسادت المجاعة وحمل المواطن وزر الجبايات الجائرة وغير القانونية. والنتيجة إن المواطن أصبح مثخنًا بجراح سلطات أذاقته الويلات والمرارة».

ويضيف: «في 28 من شباط/فبراير قامت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بالعدوان على إيران، وإيران لاعب رئيسي في الملف اليمني، وقامت إيران بضرب الدول الخليجية، بما فيها المملكة العربية السعودية اللاعب الرئيسي أيضًا في الملف اليمني. ورغم أن المملكة السعودية ترفض أندلاع حرب ضد إيران نظرًا لخطورتها على دول المنطقة، ورغم أن السعودية لديها اتفاقية صلح مع إيران بوساطة الصين. وبالتالي فإن الطرفان المهمان في الملف اليمني حاليًا منشغلان بالحرب الدائرة في المنطقة، والتي أشعلتها أمريكا وإسرائيل بغرض الهيمنة على المنطقة العربية ومصادرة ثرواتها ومحاولة تفتيتها».

وفيما يتعلق بتصوره لموعد زمني لعودة الاهتمام بالملف اليمني، قال عويل :«لا أستطيع تصور موعد زمني لعودة الاهتمام بالملف اليمني، لكني أزعم إن طالت هذه الحرب فإن اليمن سيتحول إلى فوضى وانقسامات وحروب، وسيأتي أمراء حرب جدد، والعالم والإقليم مشغول من حولنا».

لكنه يرى «أن يبادر اليمنيون إلى حوار وطني جنوبي جنوبي، وشمالي شمالي، ثم حوار وطني شامل يرسم فيه اليمنيون خارطة طريق للخروج من الحرب نحو بناء الدولة وبالتشاور والتنسيق مع الاقليم. ونتمنى أن تنتهي هذه الحرب بسرعة؛ لأنها إذا طالت قد تؤدي إلى تغيرات دراماتيكية في المنطقة لا نعرف حدودها ومداها».

نخلص مما سبق إلى أن إمكانات استئناف مفاوضات السلام في اليمن في الوقت المنظور غير متاحة بالنظر للقضية اليمنية من خارجها؛ إلا أن تجاوز حالة الجمود تتطلب النظر إليها من داخلها، مما يعني أنها تتطلب إرادة وطنية خالصة من أطراف الصراع لامتلاك شجاعة اتخاذ القرار الوطني، والتحرر من التبعية، والانطلاق إلى إغلاق ملف الحرب، والذهاب إلى تفاوض عنوانه تقديم تنازلات حقيقية لصالح اليمن الكبير؛ تنازلات تضع حدًا لما تم إهداره من كرامة اليمنيين وأرواحهم وأموالهم وثرواتهم، وتحترم المستقبل والبناء من جديد لتحقيق التطلعات في دولة مدنية كاملة السيادة تحترم كل أبنائها.

«تأمينات» الأردنيين وآخر المستجدات: الحكومة تسعى لـ«تجميل القانون» وتحذيرات من اعتراضات في الشارع

قانون الضمان الاجتماعي ثم قانون الإدارة المحلية، في سياق التجاذب الشعبي الحاد وتعديلاتهما المفترضة مرفوضة على مستوى جماهيري لا يمكن إنكاره.

عمان–«القدس العربي»: بسام البدارين

آمال الحكومة في أن تخف حدة الهجوم الشعبي على معدل قانون الضمان الجديد تقلصت الأسبوع الماضي، بالرغم من كل محاولات «تجميل النصوص القانونية» المستحدثة التي تخص «التأمينات الاجتماعية»، خصوصا وأن مجلس النواب وبرأي النائب عبد الناصر خصاونة لديه كامل الحق في الحصول على مساحته كاملة في تعديل نصوص القانون وإجراء الحوارات الوطنية بشأنه بصرف النظر عن «ما تريده أو لا تريده الحكومة».

مجددا مع نهاية الأسبوع الأخير أظهرت كتابات واعتراضات ومقابلات مع نخبة واسعة من الناقدين والخبراء أن المزاج الشعبي لا يزال يعتبر قانون الضمان الاجتماعي وتوجهات الحكومة في ملف التأمينات الاجتماعية مسألة في باب الأولويات.

يمكن الاستدلال على ذلك من الحديث الذي سجله النائب السابق محمد الفايز ونصح فيه الحكومة بالتراجع عن موقفها الحالي في ملف الضمان الاجتماعي ملمحا إلى أن الظروف غير ملائمة والمزاج الشعبي حاد والوضع المعيشي خطر للناس والظرف الزمني معقد، معتبرا أن الأردني قد ينزل للشارع مجددا لمواجهة الحكومة إذا ما أصرت على تعديلاتها في ذلك القانون.

والحكومة بدورها زادت من مستويات التعقيد بأن كشفت النقاب عن نيتها قريبا تحويل قانون آخر من الطراز الجدلي إلى مجلس النواب، هو قانون الإدارة المحلية الجديد.

وكلاهما – قانون الضمان الاجتماعي ثم قانون الإدارة المحلية– في سياق التجاذب الشعبي الحاد وتعديلاتهما المفترضة مرفوضة على مستوى جماهيري لا يمكن إنكاره في تقدير الناشط السياسي محمد الحديد، الذي ينصح الحكومة بحساب خطواتها في السياق التشريعي.

مستوى الخلاف والتجاذب على قانون الضمان الاجتماعي رافق النقاش الأول لأعضاء اللجنة وهي لجنة العمل النيابية الذين حاولوا وضع خريطة طريق لفهم كيفية إدارة النقاشات مع ممثلي الرأي العام ومؤسسات المجتمع المدني. لاحقا استقرت أجندة اللجنة وبدأت حواراتها النشطة وبقيت على اتصال مع الطاقم الوزاري المختص ونصحها القطب البرلماني خميس عطية علنا بإبقاء أبواب نقاشاتها مفتوحة أمام وسائل الإعلام.

لكن النقاشات الأولية بعد نحو أسبوعين من المداولات لا تبدو مشجعة للمستوى الحكومي، خصوصا بعد ظهور محاولات نشطة تشريعيا لـ«تجميل وجه القانون» قدر الإمكان قبل تقديمه للقنوات الدستورية اللاحقة.

منسوب ومستوى التعليقات على منصات التواصل الاجتماعي يظهر مجددا أن الذاكرة الشعبية عموما لا تتجاهل قانون الضمان الاجتماعي وتعتبر النقاشات البرلمانية الفعالة الآن بين الأولويات الأساسية في اهتمامات الناس بدلالة طرح عشرات الأسئلة يوميا عبر المنابر الإلكترونية حول قضايا محددة ستتأثر بالقانون الجديد.

وبدلالة الرقم المنشور من جهة عدة خبراء عن انسحاب طوعي من قائمة «الاشتراك الاختياري» وصل إلى أكثر من 8 آلاف حالة بمجرد إعلان التعديلات، فيما الرقم مرشح للزيادة بسبب انخفاض القيمة التأمينية رقميا للمشتركين الاختياريين إذا ما عبرت التعديلات القانونية، وهو ما حذر منه وزير العمل خالد بكار علنا.

وعلى جبهة موازية يمكن القول إن حكومة الدكتور جعفر حسان بدأت تشعر بالوحدة عمليا وتدرس السيناريوهات الممكنة عندما يتعلق الأمر باستحقاقات وتداعيات ذلك القانون المهم والمثير بعد حصول التعديلات المقترحة على معدل قياسي من الرفض الشعبي.

القانون يتسبب في بؤرة تتبعها ذروة في النقاشات الخاصة خلف الستائر بين النواب وبين الطاقم الوزاري العامل مع حكومة حسان. حجم الضجيج الضاغط الذي يخص القانون أخفقت حتى الحرب مع إيران في تأجيله ولا تزال الشعارات التي يتبادلها الأردنيون عبر منصات التواصل تلك التي تقول..»الضمان أهم من إيران»، في مفارقة أثبتت أن إصرار حكومة حسان الذي أثار الاستغراب على الماضي قدما في وقت حرب بمشروع القانون شكل لغزا حتى بالنسبة للكتل البرلمانية التي طالبت الحكومة بالتخفيف من حدة النصوص القانونية الخاصة بالتأمينات الاجتماعية.

الحكومة وفي آخر تعليقات لرئيسها مع بعض الأوساط البرلمانية اعتبرت أن قانون الضمان الاجتماعي الجديد بين يدي مجلس النواب وأن المجلس لديه مساحة شاملة وواسعة لإجراء التعديلات التي يراها مناسبة.

الصيغة المطروحة أن التعديل «خيار دولة» وليس سيناريو تشريع حكومي.

عليه يصبح المطلوب من النواب التصرف مع هذا القانون المرفوض شعبيا على ذلك الأساس.

رئيس اللجنة المعنية أنديره حواري أبلغ مجددا «القدس العربي» حرصه مع بقية أعضاء اللجنة على «إشباع» حالة الحوار الوطني أفقيا عبر الإصغاء بحرص لكل الآراء والملاحظات بحيث تقوم اللجنة بواجبها الوطني وصولا إلى مقاربة مصالح وطنية لا تؤذي مؤسسة الضمان وتحافظ على مركزها ولا تمس بمصالح المواطنين.

حواري مهتم جدا بالوصول إلى نقطة تعادل حوارية منطقية وإيجابية لا تسقط من حساباتها أي تفصيلة.

ومحور الخلاف الأساسي بين الحكومة والشارع حول هذا القانون يتعلق بمسألتين.

الأولى هي رفع سن التقاعد خمس سنوات للرجال والنساء، والثانية تجميد التقاعد المبكر دون المساللتين تظهر الحكومة انفتاحا على مقترحات تجميلية تضمن عبور القانون.

حدث الأسبوع – ايران

الحرب الأمريكية الإسرائيلية عالقة في كماشة مضيق هرمز وجبهة لبنان وهاجس باب المندب

لندن– «القدس العربي»: محمد نون

أكملت الحرب الأمريكية والإسرائيلية على إيران شهرها الأول، بدون تحقيق النتائج التي يتوخاها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو رغم تكرار ادعاءاتهما بتحقيق نصر فيها، بينما يقول الإيرانيون إنهم هم المنتصرون الذين سيفرضون على عدوهم الاستجابة شروطهم.

ويعد فتح مضيق هرمز العقدة المعضلة الأبرز التي تواجه ترامب، حيث وضعت إيران شرطاً بشأنه يتمثل في الإقرار بسيادتها عليه، وبالتالي إعطاء الإذن أو عدمه بالملاحة فيه، وفرض رسوم للعبور تقول طهران إنها تماثل ما هو معمول به في قناة بنما، ومضيق البوسفور وقناة السويس.

ويوازيها في الأهمية معضلة تزداد تعقيدا لدى نتنياهو تتمثل في ضراوة المعركة في الجبهة اللبنانية مع المقاومة الإسلامية– الجناح العسكري لحزب الله والذي فاجأ الجيش وإسرائيل بالعودة القوية وتكبيده خسائر كبيرة على أرض المعركة في جنوبي لبنان، بعدما قيل في الداخل الإسرائيلي على مدى أكثر من عام ونصف بأن حزب الله أصابه الضعف بسبب اغتيال إسرائيل لأمينه العام السيد حسن نصر الله وكبار قادته عام 2024 وما تلاها من عمليات اغتيال استمرت على مدى 15 شهرا.

ومع تصاعد أزمة الطاقة العالمية بسبب إغلاق مضيق هرمز، واستعار الحرب في جنوب لبنان، يبدو أن حسابات الحقل التي أرادها ترامب وتنتياهو لحرب سريعة وقاصمة، لم تتوافق مع بيدر حرب الاستنزاف التي باتت تمتد من مضيق هرمز في الخليج حتى الحدود اللبنانية الإسرائيلية عند البحر المتوسط، مع توسعها إلى باب المندب على البحر الأحمر، إثر إعلان جماعة أنصار الله الحوثيين، دخولهم العسكري المباشر في الحرب الحالية إلى جانب إيران ولبنان، ونصرة لغزة على نطاق واسع.

الجديد الإقليمي في تطورات الحرب، كان معاودة حلفاء إيران في اليمن إطلاق الصواريخ على إسرائيل، اعتبارا من صباح السبت 28 آذار/مارس 2026، حيث أطلقوا صواريخ نحو مضيق إسرائيل وقالوا إنها تستهدف الإسرائيلي.

ويعد ذلك أعلن الحوثيون رسميا شنّ أول هجوم لهم على إسرائيل منذ اندلاع الحرب على إيران في 28 شباط/فبراير الماضي.

وقال المتحدث العسكري باسم جماعة «أنصار الله» يحيى سريع في بيان مصوّر أمس السبت إن «القوات المسلحة اليمنية نفذت أول عملية عسكرية وذلك بدفعة من الصواريخ الباليستية، استهدفت أهدافا عسكرية حساسة للعدوّ الإسرائيلي جنوبي فلسطين المحتلة»، موضحا أن ذلك يأتي «تزامنا مع العمليات البطولية التي ينفذها الإخوة المجاهدون في إيران وحزب الله في لبنان».

وسبق ذلك بعدة ساعات، إعلان جماعة «أنصار الله» (الحوثيون)، في وقت متأخر من مساء الجمعة، عن الاستعداد للتدخل العسكري المباشر في الحرب الدائرة بالمنطقة، مشيرة إلى أن ذلك سيحدث في حالات محددة تتعلق بالصراع.

وقال الناطق العسكري باسم أنصار الله العميد يحيى سريع، في بيان متلفز إن «أيدينا على الزناد للتدخل العسكري المباشر في حال: انضمام أي تحالفات أخرى مع أمريكا وإسرائيل ضد إيران ومحور الجهاد والمقاومة، أو ضد أحرار ومحور الجهاد والمقاومة، وبما يقتضيه مسرح العمليات العسكرية».

وحذر مما سماها «أي إجراءات ظالمة تهدف لتشديد الحصار على الشعب اليمني».

وأكد على ضرورة الاستجابة الفورية من الولايات المتحدة وإسرائيل للمساعي الدبلوماسية لوقف الحرب، و«ضرورة التوقف الفوري عن العدوان على فلسطين، ولبنان، وإيران، والعراق، ووقف الحصار الجائر على اليمن».

ولهذا الموقف دلالات بارزة حيث أن أنصار الله في اليمن كانوا أقفلوا سابقا بشكل شبه تام مضيق باب المندب على البحر الأحمر، أمام السفن التي اعتبروها مرتبطة بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على مدى سنتين من الحرب على غزة منذ أكتوبر 2023، ونفذوا هجمات بالصواريخ المسيرات على إسرائيل، كما اشتكوا مع قطع بحرية أمريكية في البحر الأحمر ما أجبر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى التوصل لاتفاق لوقف النار معهم في 6 أيار/مايو 2025، تاركا إسرائيل لوحدها في مواجهتهم.

ووقتها تم التوصل إلى هذا الاتفاق بوساطة سلطنة عُمان، ويتضمن أن لا يستهدف الطرفان بعضهما، خصوصاً السفن الأمريكية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب.

ولباب المندب أهمية استراتيجية، لكونه واحدا من أهم أربعة ممرات مائية في العالم، إلى جانب مضيق هرمز وقناة السويس في مصر وقناة ملقا بين ماليزيا وإندونيسيا.

ويمر عبر باب المندب حوالي 10 إلى 12 في المئة من التجارة العالمية، ونحو 6 إلى 7 ملايين برميل نفط يومياً، ونسبة كبيرة من تجارة النفط والغاز والحاويات بين آسيا وأوروبا، والسلع الاستراتيجية، وأي اضطراب في باب المندب يؤثر على أسعار النفط عالمياً.

وهذا يعني أن إيران وحليفها اليمني يسيطران تباعا على مضيق هرمز ومضيق باب المندب، كما أن حليفهما اللبناني حزب الله، قد يصبح عاملا مؤثرا في منع إسرائيل من استخراج الغاز في البحر المتوسط.

وجاء الدخول اليمني ليزيد الأمور تعقيدا، في ظل الغموض الذي يكتنف المسار التفاوضي بين واشنطن وطهران.

فعندما تحدث الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم الاثنين الماضي 23 آذار/مارس، عن تفاؤل بالتوصل إلى اتفاق قريب مع إيران، كانت طهران على النقيض عندما نفت حصول تفاوض مع الجانب الأمريكي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كما قال وزير الخارجية عباس عراقجي.

وما تبين لاحقا هو تبادل رسائل مكتوبة بين الجانبين عبر باكستان بالتعاون مع وسطاء آخرين، ووضع فيها الجانب الأمريكي 15 بندا وفقا لما أعلنه المبعوث الرئاسي الأمريكي ستيف ويتكوف.

ولكن إيران وجدت في البنود الأمريكية مبالغة لا يمكن الاستجابة لها، خاصة وأنها كانت مطالب تم رفضها خلال المفاوضات السابقة غير المباشرة بين الطرفين في جنيف وسلطنة عُمان قبل الحرب، ومن تلك المطالب التخلي عن البرنامج النووي عبر تصفير عمليات تخصيب اليورانيوم، وتسليم مخزون إيران من اليورانيوم المخصب بنسبة 60 في المئة، وكذلك تحجيم البرنامج الصاروخي عبر تدمير الصواريخ البعيدة المدى وحصرها في مديات قريبة لا تطال إسرائيل، إضافة إلى التخلي عن الحلفاء وخاصة حزب الله في لبنان، وفصائل المقاومة في فلسطين والعراق، وأنصار الله في اليمن.

هذه المطالب تعتبر بمثابة خطوط حمراء إيرانية، وهي كانت كذلك على مدار سنين طويلة، ولا يجد المسؤولون الإيرانيون كما أعلنوا أكثر من مرة، ما يدفعهم للقبول بها، خاصة وأنهم يرون أن تل أبيب قامت بتوريط واشنطن في الحرب الحالية التي باتت أشبه بحرب استنزاف.

ومع الغموض التفاوضي استمرت الغارات الأمريكية والإسرائيلية على مواقع حساسة للبنية التحتية الإيرانية بما فيها البنية النووية.

وأكدت إيران أن الغارات استهدفت مفاعلا يعمل بالماء الثقيل في وسط إيران يوم الجمعة 27 آذار/مارس، وتبنى الجيش الإسرائيلي عملية القصف وقال إنه قصف مصنع مفاعل الماء الثقيل في مدينة أراك، كذلك، أعلن أنه استهدف منشأة لمعالجة اليورانيوم في يزد في وسط إيران، واصفا إياها بأنّها «منشأة فريدة في إيران تستخدم لإنتاج المواد الأولية اللازمة لعملية تخصيب اليورانيوم».

وشكل هذا القصف خرقا لإعلان الرئيس ترامب تمديد مهلة عدم ضرب منشآت الطاقة الإيرانية حتى السادس من نيسان/أبريل المقبل.

وهذا الحدث رأى فيه الإيرانيون خداعا أمريكيا إسرائيليا يقوم على توزيع الأدوار بين ادعاء ترامب التهدئة، وقيام حليفه نتنياهو بالتصعيد عبر القصف الاستراتيجي للأهداف الحيوية الإيرانية.

ولذا قالت وكالة أنباء فارس نقلا عن المسؤول الإيراني في محافظة مركزي حسن قماري إن «مجمع خداب للماء الثقيل استُهدف على مرحلتين بهجوم من العدو الأمريكي والصهيوني». وأكدت عدم وقوع إصابات أو حصول تسرب إشعاعي من الموقع.

كذلك أفادت وكالة الأنباء الإيرانية «إرنا» بأنه تم قصف منشأة تنتج الماء الثقيل وأخرى تنتج الكعكة الصفراء.

ومعلوم أن الكعكة الصفراء هي شكل مركز من اليورانيوم بعد إزالة الشوائب من المعدن الخام.

ومجمع خداب المعروف دوليا باسم «مفاعل الماء الثقيل في آراك»، يقع على بُعد 55 كيلومترًا شمال غرب مدينة آراك، المركز الإداري لمحافظة مركزي، ويمتد على مساحة 20 هكتارا.

وبدأت أعمال بناء المجمع لأول مرة عام 1984، ودخل حيز التشغيل عام 2006، ويُنتج كميات كبيرة من هذا الثقيل سنويا، وتقوم إيران بتصدير جزء من هذا الإنتاج إلى دول مختلفة.

ويُعرف الماء الثقيل بأنه نوع خاص من الماء يحتوي بدلا من ذرات الهيدروجين العادية على نظير أثقل يُسمى الديوتيريوم.

وبما أن الديوتيريوم يزن تقريبا ضعف وزن الهيدروجين، فإن الماء الثقيل يكتسب خاصية إبطاء النيوترونات.

وتلعب هذه الخاصية دورا مهما، خاصة في المفاعلات النووية التي تستخدم وقود اليورانيوم الطبيعي. لذلك يُستخدم الماء الثقيل على نطاق واسع في إنتاج الطاقة النووية، وكذلك في إنتاج النظائر الطبية وفي الأبحاث العلمية المختلفة.

في سياق متصل قالت المنظمة الإيرانية للطاقة الذرية بأن غارات أمريكية وإسرائيلية استهدفت الجمعة مصنعا لمعالجة اليورانيوم في وسط إيران.

وقالت المنظمة عبر قناتها على تلغرام «استُهدفت منشأة أردكان الواقعة في محافظة يزد، في هجوم شنّه العدو الأمريكي الصهيوني»، لافتة إلى أن الهجوم «لم يسفر عن أي تسرب لمواد مشعة».

وبالتوازي أفاد الإعلام الإيراني بأن غارات جوية أمريكية إسرائيلية ألحقت الجمعة أضرارا بمصنعين رئيسيين للصلب في إيران.

وقال وزير الخارجية عباس عراقجي إنّ الضربات «تتناقض» مع «المهلة الممددة للدبلوماسية» التي أعلنتها واشنطن، مؤكدا أن طهران «ستجعل إسرائيل تدفع ثمنا باهظا على جرائمها».

وسارع الحرس الثوري إلى توجيه تهديد شديد اللهجة متوعدا برد الصاع صاعين، من خلال تصريح للعميد مجيد الموسوي قائد القوة الجو فضائية للحرس.

وقال الموسوي عبر منصة أكس»: إن العالم يشهد أنكم تلعبون بالنار من خلال ضرب منشآت البنية التحتية...لكن هذه المرة لن نكتفي فقط بالقول العين بالعين... عليكم الانتظار وسترون».

وبعد هذا التهديد شن الحرس الثوري الإيراني خمس هجمات صاروخية مساء الجمعة وصباح السبت، طالت إسرائيل من جنوبها حيث تقع منطقة ديمونا التي تضم فاعلها النووي الشهير، مرورا بوسط إسرائيل ومنطقة تل أبيب الكبرى، وصولا إلى منطقة الجليل وخليج حيفا في الشمال.

وعند الجبهة الإسرائيلية الشمالية مع جنوب لبنان، كانت تسقط صواريخ مسيرات حزب الله من لبنان، بالإضافة إلى الصواريخ القادمة من إيران، وفق تنسيق يفيد بوجود غرفة عمليات مشتركة بين الجانبين.

وليس بعيدا عن ذلك أيضا، الاشتباكات العنيفة التي تدور على أرض جنوبي لبنان بين الجيش الإسرائيلي المتوغل فيها، ومجموعات المقاومة المدافعة عنها، مع إعلان حزب الله أن مقاتليه أصابوا عشرات الدبابات الإسرائيلية خلال الأسبوع المنصرم، وأوقعوا عددا كبيرا من الجنود الإسرائيليين بين قتيل وجريح، بينما اعترف الجيش الإسرائيلي بسقوط قتلى وجرحى في صفوفه داخل الأراضي اللبنانية.

وتواصل القوات الإسرائيلية توغلها في قرى في جنوب لبنان، معلنة رغبتها في إقامة ما تسميه «منطقة أمنية» على غرار ما فعلت في قطاع غزة الفلسطيني.

وبفعل الاشتباكات المستمرة وعجز الجيش الإسرائيلي عن هزيمة حزب الله، فإن المستوطنات الإسرائيلية في إصبع الجليل صارت غير آمنة، وبدأت تتعالى الأصوات من المستوطنين ورؤساء البلديات الإسرائيلية ضد حكومة نتنياهو وخاصة في مستوطنة نهاريا.

وتحركت المعارضة الإسرائيلية لتنهي الاجماع الذي كان حول دعم الحرب ضد إيران ولبنان، وخاصة بعدما طالب الجيش الإسرائيلي بحشد المزيد من القوات على الجبهة مع حزب الله في لبنان.

وحذّر زعيم المعارضة يائير لابيد يوم الخميس الماضي الإسرائيليين قائلا «أننا نواجه كارثة أمنية جديدة».

وقال في بيان له بثه الإعلام العبري إن «الجيش الإسرائيلي بلغ أقصى طاقته وأكثر. الحكومة تترك الجيش ينزف في ساحة المعركة».

وشكّلت هذه التصريحات تبدلا جذريا بعد التأييد الذي أبداه لابيد، كغيره من القيادات السياسية، لقرار حكومة نتنياهو المضي في الحرب على الجمهورية الإسلامية وحلفائها وخاصة حزب الله.

لابيد رأى أيضا أن «الحكومة الإسرائيلية تُدخل الجيش في حرب متعددة الجبهات من دون استراتيجية، ومن دون الوسائل اللازمة، ومع عدد قليل جدا من الجنود».

وجاءت تصريحات لابيد غداة مواقف في غاية الخطورة لرئيس الأركان الإسرائيلي إيال زامير كما قوله أمام المجلس الوزاري الأمني المصغّر، حيث نقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية قوله إن «الجيش الإسرائيلي على وشك الانهيار»، وتحذيره من أن قوات الاحتياط «لن تصمد».

وأبلغ زامير المجلس الوزاري بوجود جنود احتياط يؤدون فترة تكليف للمرة السادسة أو السابعة، وأن هؤلاء «منهكون ومستنزفون، ولم يعودوا قادرين على مواجهة تحدياتنا الأمنية».

وحذّر من أنه «ليس لدى الجيش ما يكفي من الجنود لتنفيذ مهام».

وشدد زامير، على الحاجة الى «قانون تجنيد»، في إشارة الى الحاجة لتشريع يتيح تطويع اليهود المتشددين (الحريديم) المعفيين إلى حدّ كبير من الخدمة الإلزامية.

ويشكل هذا الاعفاء الذي يعود الى عقود، نقطة خلاف في المجتمع الاسرائيلي. ولجأ نتنياهو الذي يعوّل على أحزاب حريدية حليفة لضمان استمرار ائتلافه الحكومي، إلى مجموعة من التكتيكات لتأخير إقرار مشروع القانون المتعلق بالتجنيد.

وأدلى رئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت بموقف مماثل. وقال في مقابلة تلفزيونية الخميس «لا تحقق الحكومة الانتصار في أي مكان، لا في لبنان، ولا في غزة... وسنرى في إيران».

وانتقد الإعفاء الممنوح للحريديم، مضيفا «لقد أنشأنا دولة حريدية داخل إسرائيل».

وواصل زامير، وصولا إلى منطقة الجليل وخليج حيفا في الشمال.

وعند الجبهة الإسرائيلية الشمالية مع جنوب لبنان، كانت تسقط صواريخ مسيرات حزب الله من لبنان، بالإضافة إلى الصواريخ القادمة من إيران، وفق تنسيق يفيد بوجود غرفة عمليات مشتركة بين الجانبين.

وليس بعيدا عن ذلك أيضا، الاشتباكات العنيفة التي تدور على أرض جنوبي لبنان بين الجيش الإسرائيلي المتوغل فيها، ومجموعات المقاومة المدافعة عنها، مع إعلان حزب الله أن مقاتليه أصابوا عشرات الدبابات الإسرائيلية خلال الأسبوع المنصرم، وأوقعوا عددا كبيرا من الجنود الإسرائيليين بين قتيل وجريح، بينما اعترف الجيش الإسرائيلي بسقوط قتلى وجرحى في صفوفه داخل الأراضي اللبنانية.

وتواصل القوات الإسرائيلية توغلها في قرى في جنوب لبنان، معلنة رغبتها في إقامة ما تسميه «منطقة أمنية» على غرار ما فعلت في قطاع غزة الفلسطيني.

وبفعل الاشتباكات المستمرة وعجز الجيش الإسرائيلي عن هزيمة حزب الله، فإن المستوطنات الإسرائيلية في إصبع الجليل صارت غير آمنة، وبدأت تتعالى الأصوات من المستوطنين ورؤساء البلديات الإسرائيلية ضد حكومة نتنياهو وخاصة في مستوطنة نهاريا.

وتحركت المعارضة الإسرائيلية لتنهي الاجماع الذي كان حول دعم الحرب ضد إيران ولبنان، وخاصة بعدما طالب الجيش الإسرائيلي بحشد المزيد من القوات على الجبهة مع حزب الله في لبنان.

وحذّر زعيم المعارضة يائير لابيد يوم الخميس الماضي الإسرائيليين قائلا «أننا نواجه كارثة أمنية جديدة».

وقال في بيان له بثه الإعلام العبري إن «الجيش الإسرائيلي بلغ أقصى طاقته وأكثر. الحكومة تترك الجيش ينزف في ساحة المعركة».

وشكّلت هذه التصريحات تبدلا جذريا بعد التأييد الذي أبداه لابيد، كغيره من القيادات السياسية، لقرار حكومة نتنياهو المضي في الحرب على الجمهورية الإسلامية وحلفائها وخاصة حزب الله.

لابيد رأى أيضا أن «الحكومة الإسرائيلية تُدخل الجيش في حرب متعددة الجبهات من دون استراتيجية، ومن دون الوسائل اللازمة، ومع عدد قليل جدا من الجنود».

وجاءت تصريحات لابيد غداة مواقف في غاية الخطورة لرئيس الأركان الإسرائيلي إيال زامير كما قوله أمام المجلس الوزاري الأمني المصغّر، حيث نقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية قوله إن «الجيش الإسرائيلي على وشك الانهيار»، وتحذيره من أن قوات الاحتياط «لن تصمد».

وأبلغ زامير المجلس الوزاري بوجود جنود احتياط يؤدون فترة تكليف للمرة السادسة أو السابعة، وأن هؤلاء «منهكون ومستنزفون، ولم يعودوا قادرين على مواجهة تحدياتنا الأمنية».

وحذّر من أنه «ليس لدى الجيش ما يكفي من الجنود لتنفيذ مهام».

وشدد زامير، على الحاجة الى «قانون تجنيد»، في إشارة الى الحاجة لتشريع يتيح تطويع اليهود المتشددين (الحريديم) المعفيين إلى حدّ كبير من الخدمة الإلزامية.

ويشكل هذا الاعفاء الذي يعود الى عقود، نقطة خلاف في المجتمع الاسرائيلي. ولجأ نتنياهو الذي يعوّل على أحزاب حريدية حليفة لضمان استمرار ائتلافه الحكومي، إلى مجموعة من التكتيكات لتأخير إقرار مشروع القانون المتعلق بالتجنيد.

وأدلى رئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت بموقف مماثل. وقال في مقابلة تلفزيونية الخميس «لا تحقق الحكومة الانتصار في أي مكان، لا في لبنان، ولا في غزة... وسنرى في إيران».

وانتقد الإعفاء الممنوح للحريديم، مضيفا «لقد أنشأنا دولة حريدية داخل إسرائيل».

كذلك حذّر يائير غولان، وهو نائب سابق لرئيس الأركان، من أن الائتلاف الحكومي «يتخلى عن أمن إسرائيل».

وتحدث الجيش الإسرائيلي علنا عن معاناته نقصا في العديد.

وقال المتحدث العسكري آفي دفرين خلال مؤتمر صحافي متلفز الخميس «هناك حاجة إلى مزيد من الجنود المقاتلين» على جبهات متعددة، لا سيما في لبنان.

وأضاف «على الجبهة اللبنانية، تتطلب منطقة الدفاع الأمامية التي نعمل على إنشائها قوات إضافية من الجيش الإسرائيلي»، مشيرا أيضا إلى حاجات متزايدة في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة وجنوب سوريا.

ووسط الخلل الذي يتسلل إلى الجبهة الداخلية الإسرائيلية، فإن الجانب الأمريكي ما زال يبحث عن جواب على السؤال المتعلق بالمدى الزمني لنهاية الحرب. وهنا أعلن وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو أن واشنطن تتوقع أن تستكمل تحقيق أهدافها من الحرب في إيران خلال الأسبوعين المقبلين. وبعد انتهاء محادثات مجموعة السبع التي عُقدت قرب باريس، قال روبيو للصحافيين «عندما ننتهي منهم (الإيرانيين) خلال الأسبوعين المقبلين، سيكونون في أضعف حالاتهم في تاريخهم الحديث».

لكن وعلى العكس من ذلك فإن الجانب الإيراني يعتبر أنه المنتصر في هذه الحرب، ويقول جيشه في بيان يوم الجمعة «بما أننا نحن المنتصرون فإننا سنفرض شروطنا التي ينبغي أن يستجيب لها الأعداء».

هذا الموقف يترافق مع إمساك إيران بزمام المبادرة في مضيق هرمز الاستراتيجي، حيث أعلن الحرس الثوري أنه أعاد ثلاث سفن حاولت عبور المضيق أدراجها، مجددا التأكيد أنه مغلق أمام حركة الملاحة من الموانئ المرتبطة بـ«العدو» وإليها، في ظل الهجوم الأمريكي الإسرائيلي على إيران.

وفي واشنطن، تراوح تصريحات ترامب منذ أيام، بين التهديد بضربات قاصمة والتلميح إلى قرب انتهاء الحرب.

وبالتوازي يدرس البيت الأبيض ووزارة الدفاع إرسال ما لا يقل عن عشرة آلاف جندي إضافي إلى الشرق الأوسط في الأيام المقبلة، وفق صحيفة «وول ستريت جورنال» وموقع «أكسيوس» في مؤشر جديد إلى أن عملية برية أمريكية في إيران يجري الإعداد لها بجدية.

لكن أوساطا أمريكية تحذر من التورط في الحرب البرية، لأن الخسائر قد تكون كبيرة، علما أن الحصيلة آخذة في الارتفاع حتى قبل الدخول البري، إذ أعلنت القيادة المركزية الأمريكية الجمعة الماضي عن إصابة أكثر من 300 جندي أمريكي منذ بدء الحرب.

ويخشى ترامب من ارتفاع الخسائر خاصة بعدما أظهر استطلاع للرأي أجرته وكالة رويترز وأعلنت نتائجه يوم الاثنين الماضي، أن تأييد ترامب وصل إلى أدنى مستوى له منذ إعادة انتخابه عام 2024.

كما يكرر ترامب شكواه من عدم انخراط حلفائه في الحرب إلى جانبه وخاصة حلف الناتو الذي وصفه بأنه نمر من ورق بدون الولايات المتحدة الأمريكية الأمريكية.

ولا تبدي بقية الأطراف حماسة للانخراط في الحرب، فبعد اجتماعهم الجمعة قرب باريس، أصدر وزراء خارجية مجموعة السبع بيانا مشتركا حثّوا فيه على وقف فوري للهجمات على السكان والبنية التحتية المدنية» في الشرق الأوسط.

ويزداد التشكيك من الحلفاء في مواقف ترامب الذي يكرر الحديث عن تحقيق نصر كبير وسحق إيران وتغيير نظامها، فقد استبعد المستشار الألماني فريدريش ميرتس أن تؤدي الحرب التي تشنّها الولايات المتحدة وإسرائيل إلى «تغيير النظام» في إيران.

وفي المقابل تبدو إيران وحلفاؤها مصممين على الاستمرار في حرب استنزاف مؤلمة للجانبين الأمريكي والإسرائيلي بما يؤدي وفق خطتهم، إلى رسم معادلات جديدة على مساحة الشرق الأوسط.

واسعة كقائد أعلى للقوات المسلحة، ومن يطالب بضرورة تفويض تشريعي واضح قبل أي تصعيد إضافي».

على الصعيد الإقليمي، حذّر المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية جون برينان من أن السياسات الإسرائيلية، خصوصًا في لبنان، تسهم في «صب الزيت على نار المواجهة»، مشيرًا إلى أن العمليات الإسرائيلية في جنوب لبنان، بالتزامن مع الحرب الأمريكية ضد إيران، تزيد من خطر اتساع رقعة النزاع، في وقت أعلن فيه الجيش الإسرائيلي تنفيذ عمليات برية محدودة في الجنوب اللبناني مستهدفا ما وصفه بالبنية التحتية المرتبطة بإيران.

وفي موازاة التصعيد العسكري، يلفت تقرير تحليلي للكاتب روبرت سي. كوهر إلى ما وصفه بحرب أمريكية– إسرائيلية متصاعدة ضد إيران، محذرًا من احتمال الانزلاق نحو مواجهة نووية. وينقل عن الكولونيل الأمريكي المتقاعد لورنس ويلكرسون أن الحرب «ذات أمد طويل»، وأن فهمها داخل دوائر القرار الأمريكية قد يكون أقل وضوحًا مقارنة بإسرائيل، حيث يُعتقد أن بعض السيناريوهات القصوى لا تُستبعد في حال تفاقم الأزمة.

ويضيف التقرير أن إسرائيل تمتلك ترسانة نووية غير معلنة، يُعتقد أنها تضمّ أكثر من مئة رأس نووي، ضمن ما يُعرف بخيار «شمشون»، وهو مفهوم يقوم على الردّ الكارثي في حال التهديد الوجودي، بما يجعل أي تصعيد غير مضبوط محفوفًا بمخاطر غير مسبوقة. وفي هذا السياق، يحذّر الكاتب من أن الحديث عن مواجهة نووية لم يعد مجرد افتراض نظري، بل احتمال يجب التعامل معه كخطر قائم.

ويختتم التقرير بالإشارة إلى أن تفادي هذا السيناريو لا يمكن أن يكون لاحقًا، بل يجب أن يتم قبل الوصول إلى نقطة اللاعودة، عبر تحرك سياسي وشعبي أوسع لوقف التصعيد، لافتًا إلى تزايد الاحتجاجات داخل الولايات المتحدة ضد ترامب تحت عنوان «يوم لا للملوك»، في مؤشر على تنامي القلق الداخلي من مسار الحرب، رغم بقاء هذا الحراك غير كاف لوقف الانزلاق نحو مواجهة أوسع.

وتعكس هذه التطورات مجتمعة حالة من التداخل المعقد بين الحرب والدبلوماسية والسياسة الداخلية الأمريكية، حيث تتصاعد العمليات العسكرية في الخارج بالتوازي مع انقسام داخلي متزايد في واشنطن، وسط غياب رؤية استراتيجية واضحة، ما يضع الإدارة الأمريكية أمام اختبار بالغ الخطورة بين استمرار التصعيد أو محاولة احتوائه قبل الانزلاق إلى مواجهة أوسع وأكثر كلفة وربما غير قابلة للسيطرة.

عنصريات إسرائيلية: سفارديم وقردة!

صبحي حديدي

القاعدة عتيقة، عابرة للعصور والثقافات والأعراق والقارات، وضاربة الجذور في كثير من الفقه الحاخامي: أن يكون امرؤ ما يهوديا، تقول تأويلات القاعدة، أمر لا يعفيه من الذمّ والقدح والشتائم البذيئة، ولا ينجيه من التحقير على أسس عنصرية إن توفرت، ولا تشفع له آياد بيضاء وخدمات جليلة قدمها شخصياً أو سبقه إليها آبٌ هنا أو أمّ هناك في سبيل رفعة الكيان الصهيوني.

وإذا حدث أن هذه وسواها تصدر عادة عن جهات دينية متشددة أو قومية مغالية أو يمينية متطرفة، فإنها ليست بمنأى عن السنة ساسة ومسؤولين ونوّاب كنيست وكتّاب وصحافيين، في قلب دولة الاحتلال الإسرائيلي، وفي درجات عليا من هرم السلطة؛ لسبب جوهري: أنها، ببساطة، قاعدة عريقة تعددت وظائف استخدامها عبر العصور، وباتت قرينة ثقافية أكثر منها مظهر اعتلال سلوكي.

أحدث الأمثلة ما فضحته القناة 12 الإسرائيلية من تسريبات جرت على لسان زيف أغمون، المقرب من رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو، لأنه أيضاً الناطق باسمه؛ وانطوت على توصيفات مقذعة بحقّ اليهود الشرقيين (السفارديم) عموماً، والمغاربة منهم خصوصاً. هؤلاء، يعتقد أغمون، أشبه بـ«قِرَدة البابون» على غرار عضو الكنيست نسيم فاتوري، أو هم «مغاربة متخلفو العقل» على شاكلة عضو الكنيست إيلي ديفيفو، وحزب «شاس» الحريدي السفارديم «لا يعرف سوى نهب المال»، وفي حزب بيني غانتس ليسوا بدورهم سوى «قِردة»؛ ومن المؤسف والحال هذه، يتابع أغمون، «أننا لا نستطيع ببساطة تعيين القائمة بأكملها [في الكنيست] والتخلص من الانتخابات التمهيدية».

نموذج سابق على تشخيص قدحي من طراز آخر كان موضوعه هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق والأشهر؛ الذي كان من أفضاله أنه قدّم ذات يوم نصيحتين أثثتين إلى دولة الاحتلال، على سبيل كسر الانتفاضة: «اطردوا كاميرات التلفزة، على غرار ما كانوا يفعلون في جنوب أفريقيا!»؛ و«اقمعوا أعمال الشغب الفلسطينية بوحشية، سريعاً، وعلى نحو شامل». كيسنجر هذا، اليهودي للتذكير، استحقّ لعنة آلاف اليهود، وخُلعت عليه ألقاب مثل «اليهودي الألماني»، و«زوج الشقراء العاهرة»، و«الدمن على رأقصات هزّ البطن».

مارتن إنديك، سفير الولايات المتحدة الأسبق في تل أبيب، ومساعد وزارة الخارجية لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لاحقاً، كان أوّل يهودي يتولى الموقع، وتلك مكرمة كبرى مفاجئة قدّمها الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلنتون هدية نفيسة إلى أصدقائه في مختلف مجموعات الضغط اليهودية الأمريكية. ومع ذلك، حين غادر إنديك منصبه لم يُودَع بالامتنان والعرفان، بل بسباب وشتائم وتوصيفات بذيئة؛ لم يكن أقلها حدّة أنه «يهوديم» ناقص الدين، وليس أقذعها أنه... «ابن عاهرة».

نموذج ثالث هو رام إمانويل، وكان كبير موظفي البيت الأبيض في إدارة كلنتون أيضاً، ويحمل الجنسيتين الأمريكية والإسرائيلية، وسبق له أن خدم متطوعاً في جيش الاحتلال أثناء حرب الخليج الأولى، 1991؛ الذي زار أسرته في القدس المحتلة لاسباب عائلية، وأخرى دينية للاحتفال أمام حائط المبكى ببلوغ ابنه زاخ سنّ الـ13. وبدل أن يتظاهر ضده فلسطينيون في شوارع القدس العتيقة، قابله الإسرائيليون بتوصيفات «المعادي للسامية» و«كاره اليهود» وشتائم وأعمال شغب استدعت تدخل شرطة الاحتلال لحمايته وأسرته.

وفي العودة إلى مثال أغمون، كان طبيعياً أن ينفي ما نسبته التسريبات إليه، وأن يتباكى، ويعتذر، بل ويتفاخر أيضاً بأنه لا يحبّ السفارديم فقط، بل ينتمي إليهم من حيث أصوله العائلية. وأما استقالته، إلى جانب كونها مطلباً ضاغطاً من أطراف الائتلاف الحاكم، فإنها على الأرجح لا تنفصل عن عواقب تسريبات أخرى نُسبت إليه، وتمسّ زوجة نتنياهو وابنه يائير. ذلك لأنّ «ديمقراطية» الموز الإسرائيلية يمكن أن تتيح شتى القبائح العنصرية، كما توفّر طرائق «لفلفة» فضيحها والجعجعة... سواء بسواء!

«التفاوض بالقنابل»... ازدواجية أمريكية تدفع الصراع مع إيران إلى المجهول

واشنطن– «القدس العربي»: رائد صالحة

في وقت تتقاطع فيه التطورات العسكرية والدبلوماسية، تتكشف ملامح مرحلة شديدة الحساسية من الصراع المتصاعد بين الولايات المتحدة وإيران، حيث تتداخل العمليات العسكرية مع محاولات متعثرة لإطلاق مسار تفاوضي، بينما يزداد الانقسام داخل الإدارة الأمريكية والكونغرس حول أهداف الحرب وكلفتها واتجاهها المستقبلي، في ظل تحذيرات متصاعدة من احتمالات توسع المواجهة وصولا إلى مستويات غير مسبوقة من التصعيد.

وفي هذا السياق، عقد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الاجتماع الحادي عشر لمجلس وزرائه في ولايته الثانية، حيث تصدرت الحرب على إيران جدول الأعمال، في وقت يشهد فيه الملف العسكري والدبلوماسي تداخلاً غير مسبوق بين التصعيد الميداني ومحاولات التهدئة السياسية. وبحسب ما ورد، كان الاجتماع أقصر نسبيًا من الاجتماعات السابقة، إذ استمر لأكثر من ساعة ونصف فقط، مع مشاركة محدودة للوزراء مقارنة بالجلسات المعتادة، في مؤشر على تركيز النقاش على ملفات محددة أبرزها الحرب في إيران والتطورات الأمنية المرتبطة بها، كما شهد الاجتماع أول مشاركة لوزير الأمن الداخلي ماركواين مولين بعد أدائه اليمين الدستورية مؤخرًا.

وعلى المسار الدبلوماسي، أكد المبعوث الأمريكي الخاص ستيف ويتكوف أن واشنطن قدّمت إطارًا أوليًا لخطة سلام مع إيران يتضمّن 15 نقطة، واصفًا المحادثات بأنها إيجابية ومنتجة، موضحًا أن المقترح نُقل عبر وساطة باكستانية في إطار جهود دبلوماسية غير مباشرة. وأشار ويتكوف إلى أن الإدارة الأمريكية تتحرك وفق توجيهات مباشرة من ترامب الذي شدد على ضرورة عدم التفاوض عبر الإعلام. وفي المقابل، قدّمت إيران ردًا يتضمّن مطالب تشمل وقف الحرب وتعويضات عن الأضرار والاعتراف بسيادتها على مضيق هرمز، ما يعكس استمرار الفجوة الكبيرة بين الطرفين وصعوبة التوصل إلى اتفاق نهائي في هذه المرحلة.

وفي موازاة ذلك، قال وزير الدفاع بيت هيغسيث إن الولايات المتحدة ترحب بأي اتفاق سلام محتمل، لكنها في الوقت نفسه ستواصل العمليات العسكرية ضد إيران في إطار ما وصفه بـ«الضغط المستمر»، مضيفًا أن واشنطن ستواصل «التفاوض بالقنابل»، في إشارة إلى استمرار الضربات العسكرية بالتوازي مع المسار الدبلوماسي. وتأتي هذه التصريحات في

الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران
باتت حرب استنزاف تتفاقم نتائجها وتساؤلات عن جدواها

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

تدخل الحرب الإسرائيلية الأمريكية على إيران شهرها الثاني، تتسّع نارها وتطال المنطقة وتتفاقم تبعاتها على المستوى العالمي على الأقل من ناحية الطاقة والتجارة بدون أن تتضح مآلاتها في الأفق لاسيما وأن صاحب القرار الأول والأخير فيها، الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، متقلّبُ المزاج والغايات، لا أحد يستطيع أن يعلم حقا مبتغاه النهائي. قبَيل انتهاء موعد الإنذار الثاني أعلن عن إنذار ثالث لعشرة أيام وما لبث أن طرح ورقة مطالبه في مفاوضات غير مباشرة تشمل 15 بندا تعتبر عمليا وثيقة استسلام. كانت وما زالت الترجيحات والتحليلات متفاوتة بين من يرى أن ترامب يبحث عن سلم وعن «صورة انتصار» وبين من يرى أنه يعمل على كسب الوقت لاستكمال مراكمة القوة والتصعيد في الحرب على إيران، وهناك من لا يستبعد قيامه بحملة برّية للسيطرة على مضيق هرمز أو على جزر إيرانية غنية بموارد الطاقة. بين هذا وذاك ورغم أنها إنزال الجحيم على إيران منذ شن الحرب في 28 شباط/فبراير الماضي فإنها تراوح في المكان، تتبدل أهدافها وتزداد جبهاتها وتبدو أنها قد دخلت مرحلة الاستنزاف. وفي الأثناء تتزايد الانتقادات في إسرائيل على غرار ما يحدث داخل الولايات المتحدة حول إدارة الحرب، حقيقة أهدافها وتأمين خطة تشمل مخارج منها إضافة لاستمرار تعرّض الإسرائيليين للصواريخ والمسيّرات من لبنان وإيران ودفع الأثمان المتزايدة على أنواعها. هذه الفجوة بين ما وعدوا وبشّروا به بأن «محور الشر» ضرب من أساسه إلى رأسه في حرب حزيران الماضي وفي الحرب الحالية حتى الآن يرى الإسرائيليون الوقائع مغايرة تماما على الأرض، صواريخ تتساقط بدون بخلاف وعوده ولم يسقط النظام الحاكم ولم يحقق أهدافه المعلنة والقيادة الإيرانية صارت أكثر تشددا. منذ أسابيع لم يتحدث الأمريكيون عن إسقاط النظام وقد أدركوا أنهم تسلقوا شجرة عالية وأن هذا الهدف غير واقعي. ابن الشاه ليس خيارا أبدا ولا توجد معارضة حقيقية داخل إيران ونحن الذين دفعنا ترامب للركوب على موجة المظاهرات والاحتجاجات دون أي رؤية أو خطة وهذا خطأ فادح. اغتيال قائد هنا وقائد هناك مهم لكنه يبدو كمحاولة لتجفيف البحر بمعلقة. ولذا يحتاج ترامب الآن لشيء ما يتكأ عليه كي يغلق الملف.

بقاء إيران ماذا يعني؟ عن هذا السؤال قال زيف إنه «من أجل دفع الجمهور الإيراني للخروج للشارع أنت تحتاج لتصعيد الحصار ولوضع اقتصادي غير محتمل ينعكس بفقدان الأمن الغذائي. ربما تساعد الضربة العسكرية لكن التعويل عليها وحدها كانت خطوة غير حكيمة». وسئل زيف سؤال بات يطرح يوميا هل تستطيع إسرائيل البقاء في هذا الحالة المتعطلة النازفة رغم أن نتنياهو يقول سنواصل الحرب طالما اقتضت الحاجة؟ عن ذلك لم يتردد بالاعتراف بالواقع على الأرض: «إسرائيل اليوم في حرب استنزاف في عدة جبهات..وهذا أمر سيء وأقول نتنياهو كلمات فارغة». وردا على سؤال آخر قال زيف إن إغلاق الحرب يتأتى من خلال حل مشكلة اليورانيوم وإلا تكون هذه الحرب قد زادت حالة إسرائيل سوءا». وعن احتمالات المفاوضات مقابل الحرب والتصعيد يعتقد زيف ضمن رؤيته المتشائمة أن المفاوضات تحت النار أكثر جدوى، بطرحها الرئيس ترامب ويؤكد أن إيران سترفضها بكل الأحوال. ومضى في انتقاداته: «لم يساعد ترامب الإيرانيين خارك وغيرها لأن ذلك يعطيه مكسبا بيده لكنني أشك باحتمالات نجاح ذلك».

بما يتعلق بلبنان حزب الله ينجح استهدافنا بقوة فماذا نفعل؟

عن ذلك قال: «لا توجد عندنا إمكانيات كثيرة فمهمة الجيش بالأساس هي إيران والآن ينضم الحوثيون مما يثقل علينا وبدلا من إغلاق جبهات تفتتح جبهة جديدة». قال زامير وبحق إن هناك فرصة حقيقية ليست عسكرية لإحداث تغييرات داخل لبنان بسبب ضعف إيران وتغير سوريا وبسبب المعارضة اللبنانية الداخلية: إلى جانب القوة وحزام الأمن حتى الليطاني ينبغي مساعدة حكومة لبنان لترتيب الأوراق شمال الليطاني وإلا نجد أنفسنا في ذات سيناريو لبنان التاريخي. «ينبغي منح ذلك فرصة وإن كانت النتيجة غير مؤكدة وهذا مفضل قبل أن نذهب لاحتلال لبنان..علينا توفير تسليح وتدريب لفرقة لبنانية تتولى هي عملية التفكيك ضمن أجندة زمنية محدّدة وزيادة القيادة الإيرانية ولكن هذا أيضا لم يحدث ولذا يقيت أمريكا وإسرائيل في الجبهة مقابل هذا التحدي وهناك تباين في المصالح بين إسرائيل (اليورانيوم) والولايات المتحدة (هرمز) مما يطرح تحديا إضافيا علينا». وخلص أيالون للقول: «لا أريد أن أسدي النصائح للإيرانيين لكن أمامهم فرصة لدق الأسافين بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة من خلال تلبية مطالب ترامب بما يتعلق بالاقتصاد وفتح هرمز ورفض مطالب إسرائيل المتعلقة باليورانيوم والصواريخ البالستية».

وفي المقابل أشار «أن هناك ضغوطا متزايدة في الداخل الأمريكي وترامب يعاين الآن إمكانية السيطرة على جزيرة ثلاث سنوات وتفرض عليه حماية المستوطنين وتستنزف قواته دون أهداف محددة».

ويتقاطع مع زيف دانيي أيالون السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن الذي قال في حديث للقناة 13 العبرية إن هناك ضغوطا متزايدة على ترامب داخل الولايات المتحدة منوها لتراجع البورصة وبقاء أسعار النفط عالية ووسائل الإعلام الليبرالية وحتى المركزية واليمينية تثقل بانتقاداتها واتهاماتها خاصة الاتهام بأن نتنياهو غرّر بترامب وأوقعه في مصيدة. ولا يستبعد أيالون أن يتجه ترامب «صاحب صورة المنتصر» للتصعيد بحثا عن حفظ هيبته وصورته ويضيف: «ربما يريد ترامب الإنهاء ولا يستطيع لأن إيران تواصل صمودها وتحديّها وترفض شروطه. النظام الحاكم في إيران النازفة مصمّم ويفضّل التضحية بالشعب الإيراني على أن يستسلم وهو نظام ديني غيبي يؤمن بعودة الإمام المنتظر. كان الأمل أن ينهار النظام من الداخل بفعل الضربات والاغتيالات وهذا لم يحدث رغم أن عشرات الملايين من الإيرانيين يعارضون النظام لكنهم لا يخرجون للشارع لأنهم بلا سلاح. كذلك كان الأمل أن ينشق قسم من القيادة الإيرانية ولكن هذا أيضا لم يحدث ولذا يقيت أمريكا وإسرائيل في الجبهة مقابل هذا التحدي وهناك تباين في المصالح بين إسرائيل (اليورانيوم) والولايات المتحدة (هرمز) مما يطرح تحديا إضافيا علينا». وخلص أيالون للقول: «لا أريد أن أسدي النصائح للإيرانيين لكن أمامهم فرصة لدق الأسافين بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة من خلال تلبية مطالب ترامب بما يتعلق بالاقتصاد وفتح هرمز ورفض مطالب إسرائيل المتعلقة باليورانيوم والصواريخ البالستية».

قطر تشيع شهداء المروحية
وتكثف جهودها الدبلوماسية لخفض التصعيد

الدوحة ـ «القدس العربي»: حامد محمد

أسبوع توقفت خلاله التحذيرات الأمنية التي كانت ترسلها وزارة الداخلية القطرية في ظل الهجمات الإيرانية على أراضي الدولة، ما بعث شعورًا بالطمأنينة لدى كثيرين، غير أن هذا الشعور قطعه تحذير أمني صباح الجمعة، من دون أن تعلن وزارتا الدفاع والداخلية عن أسبابه.

وشهدت دولة قطر خلال الأسبوع الماضي سلسلة من التطورات على مختلف الأصعدة، يأتي في مقدمتها حادث سقوط مروحية تابعة للقوات المسلحة القطرية في المياه الإقليمية للدولة، أسفر عن استشهاد سبعة أشخاص، كما واصلت قطر جهودها لخفض التصعيد في المنطقة، وبدأت عودة تدريجية للحياة الطبيعية في مختلف القطاعات الحكومية والتعليمية والاقتصادية.

وأعلنت وزارة الدفاع القطرية، الأحد الماضي، تعرض طائرة مروحية تابعة للقوات المسلحة لعطل فني أثناء تأدية واجب روتيني، ما أدى إلى سقوطها في المياه الإقليمية للدولة، وعلى إثر ذلك باشرت الجهات المختصة على الفور عمليات البحث والإنقاذ.

وأكدت وزارة الداخلية أن فرقها المختصة بدأت عمليات البحث في موقع الحادث بمشاركة فريق البحث والإنقاذ البحري التابع للإدارة العامة لأمن السواحل والحدود، إلى جانب مجموعة البحث والإنقاذ القطرية الدولية التابعة لقوة الأمن الداخلي «لخويا».

وأعلنت وزارة الدفاع استشهاد جميع من كانوا على متن الطائرة، وعددهم 7 أشخاص، بينهم منتسبون للقوات المسلحة القطرية والقوات المشتركة القطرية التركية، إضافة إلى متعاونين مدنيين من الجنسية التركية.

وأعربت الجهات الرسمية عن خالص التعازي والمواساة لأسر الشهداء، سائلة الله أن يتغمدهم بواسع رحمته.

وأدى جموع المصلين من القطريين والمقيمين صلاة الجنازة على الشهداء السبعة، تقدمهم الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، بحضور عدد من كبار المسؤولين وأفراد القوات المسلحة تلاها مشاركة واسعة في مراسم تشييع الجثامين.

وأعرب مسؤولون قطريون عن حزنهم العميق للحادث وتعازيهم لأسر الشهداء، حيث عبرت الشيخة موزا بنت ناصر عن حزنها العميق لفقدان شهداء الوطن، داعية الله أن يتغمدهم بواسع رحمته وأن يلهم أسرهم الصبر والسلوان، كما نعى الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية شهداء الواجب، مشيداً بتضحياتهم أثناء أداء واجبهم الوطني.

وقدمت العديد من الدول تعازيها لدولة قطر والجمهورية التركية في حادث الطائرة، وأعربت دول الإمارات والكويت والبحرين والأردن ومصر وسوريا عن خالص تعازيها وتضامنها مع قطر وتركيا، مؤكدة وقوفها إلى جانب البلدين في هذا المصاب الأليم.

كما عبر جاسم محمد البديوي، الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية عن خالص التعازي لدولة قطر ولأسر الشهداء، مشيدا بتضحياتهم أثناء أداء واجبهم الوطني، كما قدم أحمد أبو الغيط الأمين العام لجامعة الدول العربية تعازيه لدولة قطر قيادة وحكومة وشعباً، معرباً عن مواسائه لأسر الضحايا.

جهود دبلوماسية

على الصعيد الدبلوماسي، شهد الأسبوع الماضي سلسلة من الاتصالات الدبلوماسية التي أجراها الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر مع عدد من قادة الدول.

فقد تلقى أمير دولة قطر اتصالات هاتفية من الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، والرئيس برابوو سوبيانتو رئيس جمهورية إندونيسيا، والرئيسة ناتاشا بيرتس موسار رئيسة جمهورية سلوفينيا، وكيرياكوس ميتسوتاكيس رئيس وزراء جمهورية اليونان، ورئيس وزراء باكستان محمد شهباز شريف، ورئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني.

تناولت هذه الاتصالات تطورات الأوضاع في المنطقة، وسبل خفض التصعيد وتعزيز الأمن والاستقرار، إلى جانب تبادل التعازي في شهداء حادث المروحية.

وأكد أمير دولة قطر خلال هذه الاتصالات موقف دولة قطر الداعي إلى وقف التصعيد العسكري والعودة إلى الحلول الدبلوماسية والحوار.

وخلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية، اجتمع الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني، رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، في واشنطن، مع جي دي فانس، نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الصديقة، وسكوت بيسنت، وزير الخزانة.

جرى خلال الاجتماع، استعراض علاقات التعاون الاستراتيجية الوثيقة بين دولة قطر والولايات المتحدة الأمريكية وسبل دعمها وتعزيزها في مختلف المجالات، لاسيما الشراكة في مجال الدفاع.

كما جرى مناقشة تطورات أسواق الطاقة العالمية، والتأكيد على أهمية تهيئة الظروف الملائمة لاستدامة إمدادات الطاقة.

كما اجتمع مع بيت هيغسيث، وزير الحرب الأمريكي.

جرى خلال الاجتماع، استعراض علاقات التعاون الاستراتيجية الوثيقة بين دولة قطر والولايات المتحدة الأمريكية، وسبل دعمها وتطويرها في المجالات الدفاعية والأمنية، في ظل الظروف التي تشهدها المنطقة.

وتلقى رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية القطري اتصالات من عدد من نظرائه في الدول الشقيقة والصديقة، تناولت التطورات الإقليمية والجهود المبذولة لاحتواء التوتر في المنطقة.

وأكد الدكتور ماجد الأنصاري مستشار رئيس مجلس الوزراء المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية خلال الإحاطة الأسبوعية لوزارة الخارجية أن موقف قطر واضح في الدعوة إلى إنهاء الحرب عبر السبل الدبلوماسية، مشددا على أن الوصول إلى طاولة المفاوضات يمثل الخيار الأفضل لإنهاء الأزمة.

وأشار الأنصاري إلى أن قطر تركز حالياً على حماية سيادتها والدفاع عن أمنها الوطني، مؤكداً رفض أي استهداف لمنشآت الطاقة أو تهديد لأمن المنطقة.

ونوه إلى أن قطر ليست منخرطة في المحادثات بين إيران وأمريكا، وأن إيران بلد جار وموجود في المنطقة بواقع جغرافي ويجب إيجاد سبل لحل المشاكل، لافتاً إلى أن دول الخليج بحاجة لإعادة تقييم منظومة الأمن الإقليمي المشترك، والحاجة لموقف خليجي موحد وعلى مستوى التنسيق الإقليمي لمواجهة التهديدات، وأن الشراكات الدفاعية لدول الخليج أثبتت نجاعتها خلال الحرب، مع ما اتخذه مجلس التعاون من إجراءات للدفاع عن دول الخليج منذ الاعتداء السابق على قطر.

والتقى الشيخ سعود بن عبد الرحمن بن حسن آل ثاني، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدولة لشؤون الدفاع، لويجي دي مايو، الممثل الخاص للاتحاد الأوروبي لمنطقة الخليج العربي، حيث جرى بحث آخر التطورات الأمنية في المنطقة.

كما التقى وزير الجيوش وشؤون المحاربين القدامى الفرنسي خلال زيارة رسمية لقطر، حيث ناقش الجانبان أوجه التعاون الدفاعي والتنسيق المشترك في ظل الظروف الراهنة.

ومع توقف الهجمات الإيرانية على دولة قطر، بدأت الحياة بالعودة تدريجيا إلى طبيعتها.

فقد أعلن ديوان الخدمة المدنية والتطوير الحكومي عودة الموظفين إلى العمل من مقارهم اعتباراً من 24 آذار/مارس، بعد فترة من العمل عن بعد بصورة جزئية.

كما أعلنت وزارتا العمل والتجارة والصناعة انتهاء العمل بالتوصية الخاصة بنظام العمل عن بعد في مؤسسات القطاع الخاص، واستئناف العمل وفق النظام المعتاد.

وفي قطاع التعليم، أعلنت وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي استئناف الدراسة الحضورية تدريجياً في المدارس والجامعات ومؤسسات التعليم العالي، مع الالتزام بإجراءات السلامة المعتمدة، حيث عاد طلاب التعليم العالي إلى الدراسة الحضورية بالجامعات 24 آذار/مارس، فيما يعود طلاب المدارس إلى الدراسة داخل الصفوف اليوم الأحد. بالجانب الاقتصادي، أعلنت «قطر للطاقة» حالة القوة القاهرة في بعض عقود توريد الغاز الطبيعي المسال طويلة الأجل المتضررة، والتي تشمل عملاء في إيطاليا وبلجيكا وكوريا الجنوبية والصين.

ورغم التأثر الكبير لصادرات قطر من الغاز المسال، أكدت وكالة موديز للتصنيف الائتماني قدرة قطر للطاقة على تحقيق تدفقات نقدية سنوية تصل إلى نحو 15 مليار دولار، ما يتيح لها مواجهة أي تحديات تشغيلية.

كما حافظ الاقتصاد القطري على قوته، حيث أكدت وكالة كابيتال إنتليجنس تمتع قطر بتصنيف ائتماني سيادي مرتفع (AA+) مع نظرة مستقبلية مستقرة، مدعوما بفوائض مالية كبيرة واحتياطيات ضخمة من النقد الأجنبي.

وحققت الخطوط الجوية القطرية زيادة واضحة في وجهاتها مع استقرار الأوضاع، فقد أعلنت الشركة زيادة تدريجية في عدد الرحلات إلى أكثر من 90 وجهة حول العالم.

ووفقًا لتصنيف موقع «أيرلاين ريتينجز»، تصدرت الخطوط الجوية القطرية قائمة أفضل شركات الطيران متكاملة الخدمات في العالم لعام 2026.

وحرصت الجهات المعنية على تشديد الرقابة على الأسواق، فنفذت وزارة التجارة والصناعة حملات تفتيش مكثفة شملت قرابة 50 ألف عملية أمر تفتيش طارئ خلال الفترة من 28 شباط/فبراير وحتى 22 آذار/مارس، خلفت خلالها 80 منشأة تجارية، وإغلاق منشآتين تجاريتين.

ودعت الوزارة المستهلكين إلى الإبلاغ عن أي ارتفاع غير مبرر في الأسعار، حرصًا على المشاركة المجتمعية في الرقابة على الأسواق.

في الوقت نفسه، أعلن بنك قطر للتنمية استمرار دعمه للشركات والمصانع، خاصة في القطاعات الغذائية والصحية، لضمان استمرارية أعمالها في ظل المستجدات الإقليمية.

على وقع توترات المنطقة... بوادر حرب داخلية بين الحكومة والفصائل في العراق

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

تواصل الحكومة والمسؤولون في العراق، الضغط لمنع الفصائل الشيعية المسلحة المنضوية في ائتلاف «المقاومة الإسلامية»، من المضي بهجماتها التي تستهدف منشآت أمريكية وغربية في داخل العراق والمنطقة، متمسّكة بحقها في اتخاذ قرار «السلم والحرب» في البلاد، من دون أي بوادر على رضوخ تلك الفصائل المقربة من إيران، الأمر الذي يُنذر بتصعيد مرتقب مع قوات الأمن الحكومية.

ومنذ اندلاع الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية على إيران، في 28 شباط/فبراير الماضي، أعلنت الفصائل العراقية تنفيذ مئات العمليات التي استهدفت فيها «مواقع العدو» داخل وخارج العراق، بأستخدام الصواريخ والطائرات المسيّرة.

كما أعلن فصيل «أولياء الدم» المنضوي ضمن ما يُعرفُ بـ«المقاومة العراقية»، تنفيذ 136 عملية خلال 22 يوماً، تركزت الحصة الأكبر منها في إقليم كردستان العراق، إلى جانب هجمات في سوريا والأردن ودول خليجية.

وحسب إنفوغراف صدر عن الفصيل، فقد توزعت العمليات بواقع 55 عملية استهدفت القواعد الأمريكية في إقليم كردستان، و31 عملية طالت قاعدة فكتوريا ضمن محيط مطار بغداد الدولي، إضافة إلى عملية استطلاع جوي للسفارة الأمريكية وسط العاصمة الاتحادية.

كما أظهر الإنفوغراف تنفيذ 11 عملية في سوريا، و19 عملية في الأردن، إلى جانب 11 عملية في السعودية و8 عمليات في الكويت، باستخدام الطائرات المسيّرة والصواريخ.

اشتراك الفصائل العراقية في استهداف دول إقليمية، دفع الأردن ودول خليجية إلى مطالبة الحكومة العراقية بكبح جماح تلك الجماعات المقربة من إيران، وإنها تمتلك الحقّ في الردّ على استهدافها، الأمر الذي وضع الحومة الاتحادية في موقف حرج لا تُحسد عليه.

ووفق الاجتماع الأخير لمجلس الوزراء للأمن الوطني العراقي، المنعقد الأسبوع الماضي برئاسة محمد شياع السوداني، فإن «الدولة بسلطاتها وحسب الدستور هي من تملك قرار الحرب والسلم»، وإنها «لن تسمح لأي جهة أو فرد بمصادرة هذا الحق، وستتخذ الإجراءات القانونية بحق أي جهة تعمل خلاف ذلك».

كذلك، يؤكد رئيس مجلس القضاء الأعلى، القاضي فائق زيدان، أن تصرفات بعض الفصائل المسلحة ومحاولتها الانفراد بقرارات الحرب والسلم يشكّل «تهديداً خطيراً لسيادة الدولة واستقرار المجتمع».

ويرى أيضاً أن انفراد هذه الفصائل المسلحة بإعلان حالة الحرب عملياً من خلال ممارسة نشاطات ذات طبيعة حربية يُعد «خرقاً صريحاً للدستور»، إذ أن هذا الحق محصور بالسلطات الدستورية الشرعية، التي تمثل إرادة الشعب وتعمل ضمن إطار قانوني منظم، وعندما تقوم بعض الفصائل باتخاذ مثل هذه القرارات، فإنها «تُضعف هيبة الدولة وتُقوّض مبدأ سيادة القانون».

وطبقاً لرأي القاضي زيدان فإن هذا الانفراد يؤدي أيضاً إلى تعدد مراكز القرار العسكري، ما يخلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، وقد يجرّ البلاد إلى نزاعات داخلية أو إقليمية من دون وجود توافق وطني، كما أن انتشار السلاح خارج إطار الدولة يزيد من احتمالية «وقوع صدامات مسلحة» بين جهات مختلفة داخل المجتمع.

وبالفعل، بدأت قوات الأمن الاتحادية بالتحرك الفعلي تجاه الفصائل، بإعلانها القبض على أربعة عناصر عقب شنّ هجوم صاروخي استهدف العمّق السوري.

وفي تفاصيل العملية، قال الناطق باسم القائد العام للقوات المسلحة صباح النعمان في بيان، إنه «في عمل متهور بعيد عن الحكمة والالتزام بالنهج الحكومي واستراتيجية الدولة العراقية في المحافظة على أمن واستقرار البلاد، أقدمت عناصر خارجة عن القانون على إطلاق مجموعة من الصواريخ من ناحية ربيعة (بمحافظة نينوى الشمالية) بواسطة عجلة نوع (كيا) باتجاه الأراضي السورية».

وأضاف: «فور وقوع عملية الإطلاق في الساعة 20:20 من يوم 23 آذار/مارس الجاري، تحركت قطعاتنا الأمنية مسنودة بجهد استخباري، وتمكنت من إلقاء القبض على أربعة من المنفذين وضبط العجلة، وإحالتهم إلى الجهات المختصّة للتحقيق معهم»، مردفا: «كما شرعت بالبحث عن جميع المتورطين في هذا العمل الإجرامي المدان».

وأكد الناطق أن «العراق حريص على أمن الدول المجاورة، ولن يسمح بأن يكون منطلقا لأي اعتداء على أي دولة، وفق ما تمليه ثوابتنا الدستورية والقانونية».

هذه الحادثة تفتح الباب واسعاً أمام احتمال حدوث احتكاك مباشر بين الفصائل وقوات الأمن العراقية، فيما ترى الأولى في استهداف المصالح الأجنبية في العراق والمنطقة يمثل التزاماً بنهجها، تخشى الأخيرة من انخراط العراق في الحرب رسمياً، كنتيجة طبيعية لتداعيات تلك الهجمات، وهو ما يخالف السياسة العامة للبلد.

الوزير العراقي السابق، باقر الزبيدي، اتهم «العدو» في السعي لإشعال «نار الفتة» بين أجهزة الدولة بمختلف أشكالها، وخصوصا بين الأجهزة الأمنية و«الحشد».

واعتبر الزبيدي حادثة استهداف مبنى جهاز المخابرات الوطني في بغداد، الأسبوع الماضي، بطائرة مسيّرة، بالإضافة إلى استهداف قوات جهاز مكافحة الإرهاب والسجون بمحيط مطار العاصمة، بأنها هجمات «يراد لها إشعال نار الفتنة» بين العراقيين.

وذكر في بيان صحافي، أنه «لن يقبل إن الهجمات التي تستهدف العراق تنفذ بطائرات إيرانية نقول انه حسب تقرير إذاعة مونت كارلو الدولية فإن مشاة البحرية في الولايات المتحدة الأمريكية قامت بتطوير منظومة مسيّرة منخفضة التكلفة تحمل اسم (لوكاس) وصفت بأنها نسخة من المسيّرة الايرانية (شاهد- 136)، وبحسب تقرير سابق لمجلة ناشونال إنترست اضطرت واشنطن إلى دراسة النموذج الإيراني والاستفادة منه».

وأكد أن «هذه الطائرات منحت من قبل أمريكا للكيان ضمن إطار الدعم العسكري اللا محدود الذي يقدم لتل أبيب».

أما من وجهة النظر السياسية، فيشير الزبيدي إلى أنه «ليس من مصلحة إيران ان ينتشر الإرهاب في العراق أو تضعف الدولة. وهذا من وجهة نظر المصالح التي تفرضها السياسة، فالعراق هو حليف لإيران في مواجهة المد الإرهابي الجولاني، وهذا الأمر يدحض تماما فرضية ان إيران أو الفصائل مسؤولين عن مهاجمة السجون أو استهداف الأجهزة الأمنية بكافة أشكالها».

وأوضح أن «مؤامرة خلط الأوراق هي لعبة خطيرة لابد ان تكون هناك إجراءات قوية في مواجهتها، خصوصا مع وجود بعض الجهات التي تقبل بالتضحية بأي شيء في سبيل المصالح والمناصب، وهي نفس الجهات التي تصمت على الاستهداف المتكرر لقواتنا الأمنية وحدشنا الشعبي من قبل الكيان وأمريكا».

لبنان: تصعيد على الحدود وتصدّع في الحكومة وأي ارتدادات لطرد السفير الايراني؟

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

تشهد الساحة اللبنانية منذ مطلع آذار/ مارس واحدة من أخطر جولات الصراع بين إسرائيل و«حزب الله»، حيث تحوّل الصراع من قصف بالغارات والصواريخ إلى مواجهات عنيفة تجمع بين التوغّل البري، وحرب الاستنزاف، تترافق مع انقسام سياسي داخلي، وتوتر إقليمي مرتبط بإيران.

ووفقاً للمعطيات، بدأ الجيش الإسرائيلي تطبيق الأهداف التي عبّر عنها وزير الحرب الإسرائيلي يسرائيل كاتس بفرض سيطرة على مناطق واسعة في جنوب لبنان، من خلال توغل تكتيكي يقوم على التقدم المحدود والمدروس وصولاً إلى نهر الليطاني مع السيطرة على نقاط استراتيجية في خطوة تعكس توجها لتوسيع العدوان وإقامة منطقة عازلة ومحروقة حيث يعمد جيش الاحتلال إلى تدمير الجسور فوق النهر لعزل الجنوب عن باقي لبنان لمنع «حزب الله» من استخدامها لنقل أسلحة وتعزيزات عسكرية، كما يعمد إلى هدم المنازل منعاً لعودة مَن نزحوا من القرى الجنوبية إلى أرضهم، ضماناً لأمن سكان الجليل.

وبات معروفاً ميدانياً، أن محاور التوغّل تتركز على عدة قطاعات: القطاع الشرقي الذي يضم الخيام والطيبة، القطاع الأوسط الذي يضم مارون الراس وبنت جبيل، والقطاع الغربي الذي يضم الناقورة.

في المقابل، يحاول «حزب الله» التعامل مع التوغل كفرصة لادخال الجيش الإسرائيلي في حرب استنزاف طويلة واعتماد تكتيكات الكمائن واستخدام صواريخ مضادة للدروع مستهدفا الدبابات والتجمعات، مستفيداً من الطبيعة الجغرافية الصعبة.

وبموازاة التوغل الإسرائيلي ودلالاته الخطيرة، سارع رئيس الحكومة نواف سلام بعد جلسة مجلس الوزراء إلى التواصل مع أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش لوضعه في صورة المستجدات العسكرية وإلى الطلب من وزير الخارجية يوسف رجي القيام فوراً بتقديم شكوى أمام مجلس الأمن، رفضا لتهديدات وزير الحرب الإسرائيلي باحتلال المنطقة الواقعة جنوب الليطاني وتفجير الجسور وتنفيذ عملية تهجير جماعي للسكان وتدمير المنازل وتجريفها، بما يتناقض تماماً مع القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني وميثاق الأمم المتحدة.

بالتوازي مع المواجهة في الجنوب، انفجرت أزمة سياسية داخلية في لبنان بعد قرار الخارجية اللبنانية طرد السفير الايراني محمد رضا شيباني واعتباره شخصاً غير مرغوب فيه لمخالفته أصول التعامل الدبلوماسي وموجباته كسفير معين في لبنان حيث أن المادة 41 من اتفاقية فيينا تمنع الدبلوماسيين من التدخل في الشؤون الداخلية للدول المعتمدين لديها وإدلاء السفير شيباني بتصريحات تدخّل فيها في السياسة الداخلية للبنان وقيّم القرارات المتخذة من قبل الحكومة، إضافة إلى ذلك، أجرى لقاءات مع جهات غير رسمية لبنانية بدون المرور بوزارة الخارجية.

وسبق هذا الإجراء اتهامات حكومية للحرس الثوري الإيراني بإدارة عمليات «حزب الله»، وطلب رئيس الحكومة نواف سلام توقيف كل من له علاقة بالحرس الثوري الإيراني داخل الأراضي اللبنانية، والعمل على إعادتهم إلى إيران، في إطار الإجراءات التي تقرّر اتخاذها على خلفية التطورات واستهداف قيادات في الحرس الثوري في عدد من الفنادق.

وقد ردّ «الثنائي الشيعي» بحدة على هذا الإجراء، وقاطع وزراء «حزب الله» و«حركة أمل» جلسة مجلس الوزراء يوم الخميس الفائت اعتراضاً على عدم التراجع عن قرار الطرد من دون أن تبلغ المقاطعة حد الاستقالة، في وقت تمايز الوزير الشيعي الخامس علي مكي واختار المشاركة في الجلسة «رغم معارضته للتدبير الذي اتخذته وزارة الخارجية، إيماناً منه كما قال «بأن المشاركة الفاعلة تشكل ضرورة وطنية لضمان انتظام العمل العام ومواجهة التحديات المتفاقمة».

وقوبلت مشاركة الوزير مكي بعملية تخوين إذ تبرّأ منه أهالي بلدته حبوش في الجنوب الذين اعتبروا «أن مواقف وتصرفات الوزير لا تعبّر عنهم ولا عن تاريخ البلدة»، قبل أن يصدر بيان مقابل بإسم أهالي البلدة أيضاً يؤكد أن «لا جهة أو مجموعة يمكنها اختزال بلدة بكاملها أو الادّعاء التحدث باسم جميع أبنائها».

وعلى الرغم من اعتبار البعض مشاركة الوزير الشيعي الخامس إشارة إيجابية من رئيس مجلس النواب نبيه بري لإبقاء قنوات التهدئة مفتوحة، إلا أن معلومات أفادت بأن الرئيس بري تمنى على الوزير مكي عدم المشاركة في الجلسة وأنه شعر باستياء كبير من قرار طرد السفير الذي صدر بعد يوم واحد على زيارته قصر بعبدا ولقائه رئيس الجمهورية العماد جوزف عون وإعلانه لدى مغادرته أنه «بوجود فخامة الرئيس دائما مطمئن».

ونقل زوار الرئيس بري عنه قوله «ما حصل لن يمر»، وإنه اتصل بالسفير الإيراني وأبلغه «ممنوع أن تغادر»، وأعقبه ببيان عن «حركة أمل» شبيه ببيان «حزب الله» وتضمّن نبرة متشددة ووصفاً للخطوة بـ«المشبوهة» ودعوة إلى التراجع عنها. وأشار الزوار إلى أن مقاطعة وزراء الثنائي الشيعي هو بمثابة «جرس إنذار» قبل الوصول إلى أزمة حكم في غير أوانها رداً على محاولة فريق معارض للثنائي تعديل موازين القوى الداخلية واتخاذ قرارات تتطلب توافقاً وطنياً خلافاً لما حصل في جلستي 5 و7 آب/أغسطس حول حصرية السلاح وفق جدول زمني وبعدها في جلسة 2 آذار/مارس التي حظرت الأنشطة العسكرية والأمنية لـ«حزب الله».

وعليه، تتجه الأنظار إلى ما سيفعله السفير شيباني اليوم الأحد مع انتهاء المهلة المعطاة له للمغادرة مع ترجيح التعامل مع قرار وزارة الخارجية اللبنانية وكأنه لم يكن، خلافاً لما يعتقده عضو تكتل «الجمهورية القوية» النائب ملحم رياشي الذي توقّع مغادرة السفير لأن وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي يعرف الأصول الدبلوماسية ولا مصلحة لطهران بمخالفة اتفاقية فيينا في هذه الظروف.

واللافت هو استحضار فريق الثنائي خطوة مشابهة حصلت عام 1983 عندما تم تحدي قرار حكومة الرئيس شفيق الوزان في عهد الرئيس أمين الجميل قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران وإغلاق سفارتها في بيروت، والطلب من القائم بالأعمال محمد نوراني وأعضاء السفارة مغادرة لبنان بسبب تورط طهران في إيصال وحدات من «الحرس الثوري» إلى البقاع ومهاجمة الجيش اللبناني ووحدات «المارينز» والوحدات الفرنسية العاملة في إطار «القوة المتعددة الجنسية».

في حينه، لم يغادر القائم بالأعمال والدبلوماسيون المتبقون معه لبنان على الفور، بسبب تعطل حركة المطار. وعندما عاود العمل، حطت طائرة إيرانية لنقل البعثة الدبلوماسية، قرر «تجمع العلماء المسلمين» التمرد على قرار طرد الدبلوماسيين، ومنع نوراني من السفر، فغادرت الطائرة من دون الدبلوماسيين، ليتدهور الوضع أكثر فأكثر وتحصل انتفاضة 6 شباط/فبراير وبحصل انشقاق داخل الجيش اللبناني ويغرق لبنان في فوضى كتلك التي يتم التهديد بها حالياً من قبل قيادي «حزب الله» وآخرهم نائب رئيس المجلس السياسي محمود قماطي الذي هدد بقلب البلد، مشبّهاً الحكومة بحكومة «فيشي» في فرنسا. على هذه التهديدات الرامية إلى إسقاط الحكومة، يرد خصوم «حزب الله» بالقول «إذا كان إسقاط الحكومة واجبًا وطنيًا، فلماذا البقاء فيها؟ ولماذا لا يستقيل وزراء الحزب فورًا؟ أما البقاء في الحكومة مع الدعوة إلى إسقاطها فيكشف حجم المأزق الذي يعيشه هذا الفريق، وعجزه عن ترجمة تهديداته إلى أفعال. ومع ذلك، لا يجوز التهاون مع هذا الخطاب التصعيدي، بل ينبغي مواجهته سياسيًا ودستوريًا، وصولًا إلى طرح مسألة إقالة هؤلاء الوزراء الذين يجمعون بين السلطة ومعارضتها في آن واحد إلى حد تخوينها والدعوة إسقاطها بالقوة».

ورأى الخصوم في عدم تطرّق مجلس الوزراء إلى قرار وزير الخارجية بطرد السفير الإيراني واعتباره شخصًا غير مرغوب فيه، هو بالضبط ما كان يجب أن يحصل، لأن هذه المسألة ليست موضع نقاش أصلا.

على خط المبادرة التي أطلقها الرئيس عون لوقف إطلاق النار وإجراء مفاوضات مباشرة بين لبنان وإسرائيل، لم يحصل أي تقدم في ظل إصرار الفريقين المتحاربين لفرض أمر واقع على الأرض لتحسين شروط التفاوض. واذا كان رئيس مجلس النواب إمتنع عن تسمية عضو شيعي في الوفد اللبناني المفاوض وطالب بالابقاء على لجنة «الميكانيزم» وتطبيق إسرائيل التزاماتها في اتفاق وقف الأعمال العدائية الموقّع في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، فقد تبيّنَ أن طهران لا تريد للبنان أن يتفاوض مع إسرائيل وأنها تسعى إلى ربط ملف لبنان بملفها. ولعل أبرز من عبّر عن هذا الموقف الإيراني هو أمين عام «حزب الله» الشيخ نعيم قاسم الذي أعلن الرفض الكلي لأي تفاوض مع إسرائيل، معتبراً «أن التفاوض مع إسرائيل تحت النار يمثل استسلاماً»، مراهناً على أن «إيران ستنتصر في الحرب»، ومعترضاً على «طرح حصرية السلاح الذي يشكل خطوة على طريق زوال لبنان»، ما يعني مرة جديدة أن «الحزب» والسلاح توأمان.

ختاماً، تدور البلاد في حلقة مفرغة بين استحالة إجبار تل أبيب على التفاوض ووقف اعتداءاتها على لبنان، واستحالة إقناع «حزب الله» بتسليم سلاحه طوعاً ما يؤشر إلى مرحلة طويلة من الاستنزاف والانقسام السياسي.

الخليج بين الرهينة والاستنزاف: حرب على «النموذج» في جغرافيا حاكمة!

رلى موفّق

لا يمكن قراءة الحملة العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية ضد إيران بمعزل عن الكلفة التي تتحمّلها دول الخليج، إذ تحوّلت بحكم موقعها الجغرافي والتحالفي مع أمريكا، وما تمثله من «نموذج» نقيض للجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلى خط تماس مباشر في صراع لم تختره. فالصواريخ الباليستية والمسيّرات الإيرانية لم تستهدف القواعد العسكرية الأمريكية بقدر ما استهدفت المنشآت المدنية والنموذج الاقتصادي – الاجتماعي والتنموي القائم على الاستقرار، والطاقة، والانفتاح على الأسواق العالمية.

يتّخذ الثمن الذي تدفعه دول الخليج أبعاداً متعددة، تبدأ من الكلفة الأمنية ولا تنتهي عند حدود الكلفة الاستراتيجية بعيدة المدى. تواجه هذه الدول تحديا يوميا يتمثل في حماية بنية تحتية مترامية ومعقدة، تشمل منشآت النفط والغاز، ومحطات تحلية المياه، والمطارات، والموانئ. صحيح أن الاستثمارات الضخمة في أنظمة الدفاع الجوي التي عملت دول الخليج على تعزيزها، أمّنت قدرات ذات كفاءة عالية، إلا أنه مهما بلغت فاعليتها لا تستطيع توفير حماية كاملة أمام هجمات منخفضة الكلفة وعالية الكثافة، ما يفرض حالة استنزاف مستمرة، ليس فقط عسكريا، بل ماليا أيضا.

تبدو الكلفة الاقتصادية أكثر عمقاً وأقل ظهوراً في المدى القصير، لكنها أشد تأثيراً على المدى الطويل. فاستهداف منشآت الطاقة لا يُهدّد الإنتاج فقط، بل يضرب ثقة الأسواق العالمية، ويُضعف صورة المنطقة كمصدر موثوق ومستقر للطاقة. كما أن استمرار التهديد ينعكس مباشرة على بيئة الاستثمار، حيث ترتفع كلفة التأمين، وتتراجع شهية المستثمرين، وتتأثر خطط التنويع الاقتصادي التي تعتمد أساساً على الاستقرار والأمان.

ولا يقل البُعد الحياتي – الاجتماعي أهمية، فدول الخليج تواجه تحدياً يتعلق بالمياه. يُهدّد استهداف محطات التحلية أحد أكثر القطاعات حساسية في المنطقة، ما يجعل الأمن المائي جزءاً لا يتجزأ من معادلة الأمن القومي. وهنا، لا يعود الأمر متعلقاً بالبنية التحتية فقط، بل بقدرة الدول على ضمان استمرارية الحياة اليومية لمجتمعاتها في ظل تهديدات متزايدة.

السؤال الذي لا مفرَّ منه يكمن في ما إذا كان ممكناً، بعد هذه الاعتداءات الإيرانية، احتواء منظومة الصواريخ والمسيّرات الإيرانية، أم أن تفكيكها بات شرطاً لإعادة التوازن في المنطقة؟ هو سؤال لم يعد نظرياً، بل أصبح في صلب الاستراتيجية الإقليمية. فمنذ بدء العملية العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية المشتركة ضد إيران في 28 شباط/فبراير، تشهد دول الخليج العربي، ولا سيما الكويت والبحرين وقطر والإمارات والسعودية، هجمات بالصواريخ الباليستية والمسيّرات الانتحارية على منشآتها الحيوية والمدنية، بذريعة استهداف القواعد والمصالح الأمريكية. وما زالت دول الخليج الخمس تتلقى 83 – 85 في المئة، مقابل 15 – 17 بالمئة باتجاه إسرائيل من مجموع ما تُطلقه إيران من مقذوفات، بالرغم من إعلان دول الخليج رفض استخدام واشنطن لقواعدها العسكرية الموجودة في هذه الدول منطلقا لعمليات هجومية على إيران.

يوم وُقّع الاتفاق النووي عام 2015، جرى الفصل بين الملف النووي والبرنامج الصاروخي الإيراني بناء على طلب طهران. هذا الفصل لم يكن تقنياً بقدر ما كان سياسياً. الرئيس الأمريكي الديمقراطي باراك أوباما أراد اتفاقاً نووياً بأي ثمن؛ أوروبا سعت إلى إنقاذ الاتفاق كأولوية استراتيجية؛ أما الصواريخ، فتم ترحيلها إلى مرحلة لاحقة لم تأتِ قط. كان نظام الخامنئي يرى أن اقتصار الاتفاق على النووي يُشكّل إقراراً وقبولاً بتمدد إيران خارج حدودها نحو الجوار العربي كما ببرنامجها الصاروخي.

وحذّرت دول الخليج مراراً، ولا سيما السعودية، من أن التهديد الحقيقي لا يقتصر على النووي، بل يكمن في قدرة إيران على استخدام الصواريخ لضرب العمق الاقتصادي والأمني لجيرانها. غير أن هذه التحذيرات لم تتحوّل إلى هاجس غربي – دولي يستلزم الحل، بل بقيت ضمن دائرة القلق غير المعالَج، أو بالأحرى اعتماد سياسة غض الطرف. جاء استهداف منشآت أرامكو السعودية عام 2019 كنقطة تحوُّل مفصلية، ذلك أن الهجوم لم يكن فقط دقيقاً وفعّالاً، بل كشف عن تحوُّل نوعي في طبيعة التهديد المستند إلى قدرة على إصابة أهداف حيوية بدقة عالية، واستخدام مزيج من الصواريخ والمسيّرات، والتأثير المباشر على سوق الطاقة العالمي. حمل ذلك الهجوم رسالة بالبعد الاختباري – التجريبي لا النظري لما أصبحت عليه القوة الصاروخية الإيرانية من قدرة على تعطيل شريان الاقتصاد العالمي. حينها ورغم حجم الصدمة، لم يُترجم هذا الإدراك إلى تغيير جذري في السياسات الغربية، بل اقتصر على إدانات وضغوط محدودة من دون الانتقال إلى معالجة جذرية للتهديد. وجاء حكم الديمقراطيين ليساهم عملياً في منح إيران الوقت لتطوير أدواتها.

برزت المنظومة الصاروخية والمسيّرات في حرب الـ12 يوماً في حزيران/يونيو 2025، بوصفها العمود الفقري للقدرة الإيرانية على الصمود والمناورة، وأوقعت أضراراً جسيمة في إسرائيل محققة إصابات دقيقة. أعلن وقف إطلاق النار ليبدأ كل طرف بالتحضير عملياً، لما يعتقده كل طرف، أنها الحرب الأخيرة وليست معركة ضمن جولات. انطلقت الحملة العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية في 28 شباط/فبراير 2026، لم تقتصر الهجمات الإيرانية على إسرائيل والبوارج الأمريكية المنتشرة في عرض البحار، بل كان الاستهداف بشكل مباشر للبنية التحتية في دول الخليج تحت ذريعة استهداف القواعد العسكرية المتواجدة فيها والتي لم يطالها الاستهداف بشكل مكثف.

التعامل مع البرنامج الصاروخي كملفّ ثانوي لم يعد ممكناً، بل وجب النظر إليه كمنظومة حربٍ قائمة بذاتها، بيد دولة مارقة متهورة عقائدية تحمل مشروعها التوسّعي – الإمبراطوري لاستعادة أمجاد مضت حين تغيّرت خرائط العالم برمته، وسقطت إمبراطوريات كبرى.

أدخلت إيران ورقة مضيق هرمز في المواجهة، مهددة ليست بأزمة طاقة فقط بل بأزمة اقتصادية – غذائية عالمية. لا بدَّ لهذا الواقع من أن يفرض تحوّلاً ليس فقط في المقاربة الأمريكية والإسرائيلية بل في المقاربة الإقليمية والغربية عموماً، حيث لا يمكن أن يكون الهدف مقتصراً على إنهاء الخطر النووي الإيراني وردع أو احتواء سلوكها الصاروخي، بل أضحى تفكيك قدراتها الصاروخية أولوية ضرورية، خصوصاً بعد محاولة استهداف قاعدة دييغو غارسيا التي تقع في عمق المحيط الهندي، ما يعني أن إيران كانت تُمأسس البنتاغون إلى التفاهم معهم، فكيف سيكون الأمر في حالة القوات الإيرانية وخاصة أن مضيق هرمز في متناول حتى البنادق الإيرانية وليس فقط الصواريخ والمسيرات بسبب صغر المضيق؟

إن الحرب الأمريكية–الإسرائيلية تبرز تكرار سيناريو التضخيم العسكري رغم الفشل الواضح من طرف القوات الأمريكية والإسرائيلية في حسم الحرب. وتأتي هذه الحرب لتضفي المصداقية على قرارات الرؤساء الأمريكيين السابقين بلاده صواريخ يتعدى مداها الـ2000 كلم. باتت الصواريخ بوظيفتها الهجومية تشكّل تجاوزاً لخطوط أمريكية حمراء، ويُفترض أن تكون أوروبية أيضاً نظراً لخطرها على أمنها القومي، تماماً كما يُشكّل إقفال مضيق هرمز عاملاً مؤثراً في أمن الطاقة والتجارة العالمية. لكن أوروبا ما زالت تُعلن رفضها الانخراط في حرب ترامب – نتنياهو، وتتمسّك بخيار التهدئة والدبلوماسية، رغم إدراكها أن هذا المسار لم يعد كافياً لمعالجة التحدي القائم.

أثبتت هذه الحرب أن البرنامج الصاروخي الإيراني ليس أداة دفاعية، بل منظومة هجومية متكاملة صُمّمت لتكون وسيلة ضغط عابرة للحدود. التجاهل لهذا الواقع سابقاً لم يؤدِ إلى احتوائه، بل سمح له بالتطوُّر حتى أصبح أحد أبرز محددات التوازن الإقليمي والدولي.

خرج ترامب في ختام مؤتمر «مبادرة مستقبل الاستثمار» في مدينة ميامي الأمريكية ليُعلن أن العمليات العسكرية الأمريكية الأخيرة «غيّرت قواعد اللعبة» في الشرق الأوسط، وأدّت إلى «تفكيك قدرات عسكرية رئيسية» لدى إيران، بما في ذلك منشآت حسّاسة وبنية صناعية دفاعية. وأن الضربات الأخيرة استهدفت منشآت استراتيجية «بدقة عالية»، وأسفرت عن «شلّ قدرات رئيسية» لدى طهران، خصوصاً في مجالات الصواريخ والطائرات المسيّرة.

فهل فعلاً سينتهي كابوس الصواريخ البالستية والمسيّرات التي باتت أساس معادلة الصراع، إذا ذهب الأمريكيون إلى طاولة المفاوضات مع مَنْ تبقى من النظام الحالي؟ سيد «البيت الأبيض» يريد أن يمنح هذا النظام فرصة وراء الفرصة من أجل إحداث تغيير في تركيبته وسلوكه وليس القضاء عليه.

نقط التلاقي بين حربي أوكرانيا وإيران: التضخيم

لندن ـ «القدس العربي»: حسين مجدوبي

خلال الحرب الروسية ضد أوكرانيا، جرى إقناع العالم أن تزويد الغرب للجيش الأوكراني بأسلحة غربية متطورة تعمل على تغيير مسار المواجهة العسكرية، وتبين لاحقا سراب هذه الرواية. ويبدو أن هذا السيناريو يتكرر مع ما يجري في الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران بشأن قرارات عسكرية لا سيما في ظل الحديث عن إنزال قوات المارينز وقوات النخبة من المظليين. يحدث هذا في وقت لم تنجح أي سفينة عسكرية أمريكية في عبور الخليج منذ اندلاع النزاع، ما يؤكد التطورات والتغييرات الواقعة في عالم الحروب.

ويوجد اختلاف بين الحربين، ذلك أن الحرب الروسية–الأوكرانية تبقى كلاسيكية بسبب استعمال الدبابات والمدفعية والمواجهة المباشرة بين الجنود علاوة على المقاتلات، والجديد فيها هو استعمال صواريخ جديدة فرط صوتية والمسيرات. في حين تبقى الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران أول حرب حقيقية عن بعد بسبب الاقتصار على المقاتلات في مواجهة الصواريخ والمسيرات الإيرانية، فهي حرب جوية بامتياز، ومكملة لحرب حزيران/يونيو الماضي التي جرت وداعت فقط 12 يوما وليس بكثافة الحرب الحالية. إلا أن الحربين يلتقيان في قيام الإعلام الغربي وجزء منه عربي بتضخيم السلاح الغربي والقرارات العسكرية وسوء التقييم.

وحتى الأشهر الأخيرة، دأبت وسائل الإعلام الغربية، إلى جانب عدد من الخبراء، على الترويج لكل سلاح جديد يتم تزويد أوكرانيا به باعتباره «سلاح الحسم» في مواجهة روسيا، التي بدأت غزو المناطق الشرقية الأوكرانية في شباط/ فبراير 2022. وتجلى هذا في التعاطي الإعلامي والسياسي مع عدد أنواع من الأسلحة، في مقدمتها أنظمة الدفاع الجوي الأمريكية «باتريوت»، ثم صواريخ «هيمارس»، ولاحقًا الصواريخ البريطانية «ستورم شادو»، إضافة إلى مقاتلات «إف–16»، وأخيرًا الصواريخ الألمانية «تاوروس» التي لم يتم تسليمها حتى الآن. غير أن الواقع الميداني أظهر عدم تحقيق الجيش الأوكراني نتائج حاسمة تُذكر ولم تغير هذه الأسلحة من الواقع الميداني للحرب. بل إن كيف باتت، في ظل تطورات النزاع، أكثر استعدادًا للنظر في خيارات تتضمن التخلي عن بعض مناطق شرق أوكرانيا مقابل التوصل إلى اتفاق سلام.

يتكرر هذا السيناريو في سياق الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران، حيث يتحول كل إعلان عسكري قبل البحر الأحمر إلى قاعدة عسكرية في اليونان لإجراء أعمال إصلاح وصيانة، عقب اندلاع حريق في أحد أقسامها، رغم استمرار الشكوك حول أسبابه الحقيقية. وفسر بعض المحللين أن هذا الانسحاب مرده أن الحرب انتهت ولم يعد للإيرانيين من قدرات عسكرية بعد القصف الأمريكي–الإسرائيلي، إلى مسافة تتجاوز 1500 كيلومتر عن السواحل الإيرانية، في خطوة تعكس بوضوح حجم القلق من القدرات الصاروخية الإيرانية، خاصة بعد إعلان الحرس الإيراني استهدافه لهذه القطعة البحرية الضخمة بل واستهداف حتى سفن الدعم كما وقع فجر السبت من الأسبوع الجاري ضد سفينة كانت جنوب مياه بحر العرب.

وقد تزامن هذا التحرك مع تقارير عن نجاح إيران في استهداف بعض أنظمة الرادار المتطورة التابعة للجيش الأمريكي في قواعد عسكرية بدول الخليج العربي. كما أعلن عن سحب أكبر حاملة طائرات في العالم، «جيرالد فورد»، من الخليج لا تستطيع أن تمر منه ولو سفينة عسكرية أمريكية واحدة؟ لا يمكن لأي دولة خليجية أن توافق على استقبال قوات المارينز لتنطلق من أراضيها، لأن ذلك سيجعلها عرضة مباشرة لردّ إيراني قد يتجسد في قصف مكثف بمئات الصواريخ والطائرات المسيّرة. ونشرت جريدة «نيويورك تايمز» الثلاثاء من الأسبوع الجاري أن القواعد العسكرية الأمريكية في الخليج أصبحت شبه فارغة بسبب القصف الإيراني. وحول صعوبة العمليات، تنشر جريدة الجيش الأمريكي «ستارس آند ستريبس» الجمعة أنه «يقدّر المحللون أن إرسال قوات برية إلى إيران أو محاولة فتح مضيق هرمز بالقوة سيكون أمرا صعبا، وقد يؤدي إلى إطالة أمد الحرب وجعلها أكثر دموية».

ولم يكشف البنتاغون عن طبيعة المهام الموكلة إلى قوات المظليين، غير أن فرضية إنزالهم في مضيق هرمز تبدو غير واقعية. فعمليات الإنزال الجوي تتطلب التحليق على ارتفاعات منخفضة—لا تتجاوز عادة 300 متر—ما يجعل الطائرات عرضة بشكل كبير لأنظمة الدفاع الجوي بل حتى الرشاشات. إضافة إلى ذلك، فإن انتشار المظليين على الأرض سيضعهم في بيئة شديدة الخطورة، حيث سيكونون مكشوفين لعمليات القنص والاستهداف من قبل وحدات الكوماندوس مستشهدين بتصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأنه تم سحق القوة العسكرية الإيرانية، غير أن الحرب تستمر.

وشكل الإعلان عن إرسال 2200 من قوات المارينز على متن السفينة الحربية طرابلس وسفينتين أخريتين مرافقتين لها بأن الأمر يتعلق أساسا بالتدخل لفتح مضيق هرمز. كما جرى اعتبار ارسال ألفا من المظليين إلى الشرق الأوسط يدخل في الهدف نفسه. غير أن معطيات التاريخ العسكري القريب، وهي حرب العراق، تظهر أن 70 ألفا من قوات المارينز نزلت جنوب العراق رفقة 70 ألفا أخرى من القوات الكلاسيكية، بينما كان العراق بلدا منهكا عسكريا عكس إيران. والتساؤل العريض الذي يحضر هنا: كيف ستنزل قوات المارينز لفتح مضيق هرمز في وقت لا تستطيع أن تمر منه ولو سفينة عسكرية أمريكية واحدة؟ لا يمكن لأي دولة خليجية أن توافق على استقبال قوات المارينز لتنطلق من أراضيها، لأن ذلك سيجعلها عرضة مباشرة لردّ إيراني قد يتجسد في قصف مكثف بمئات الصواريخ والطائرات المسيّرة، بوصفها العمود الفقري للقدرة الإيرانية على الصمود والمناورة، وأوقعت أضراراً جسيمة في إسرائيل محققة إصابات دقيقة. أعلن وقف إطلاق النار ليبدأ كل طرف بالتحضير عملياً، لما يعتقده كل طرف، أنها الحرب الأخيرة وليست معركة ضمن جولات. انطلقت الحملة العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية في 28 شباط/فبراير 2026، لم تقتصر الهجمات الإيرانية على إسرائيل والبوارج الأمريكية المنتشرة في عرض البحار، بل كان الاستهداف بشكل مباشر للبنية التحتية في دول الخليج تحت ذريعة استهداف القواعد العسكرية المتواجدة فيها والتي لم يطالها الاستهداف بشكل مكثف.

العسكري والتنازلات في دونباس وهرمز

وسط كل هذا، تكشف التجربة الأخيرة للحوثيين في اعتراض سفن الشحن البحري في باب المندب أن اعتراض السفن في مضيق هرمز صعب بشكل مضاعف مرات عديدة، فقد فشلت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عبر بعثتين عسكريتين وهما «حارس الرفاهية» و«أسبيديس» في مواجهة الحوثيين واضطر البنتاغون إلى التفاهم معهم، فكيف سيكون الأمر في حالة القوات الإيرانية وخاصة أن مضيق هرمز في متناول حتى البنادق الإيرانية وليس فقط الصواريخ والمسيرات بسبب صغر المضيق؟

إن الحرب الأمريكية–الإسرائيلية تبرز تكرار سيناريو التضخيم العسكري رغم الفشل الواضح من طرف القوات الأمريكية والإسرائيلية في حسم الحرب. وتأتي هذه الحرب لتضفي المصداقية على قرارات الرؤساء الأمريكيين السابقين والقيادات العسكرية التي كانت بجانبهم والتي ارتأت تجنب الحرب مع إيران. وعلى رأس هؤلاء، الجنرال ويليام فالون القائد السابق للقيادة الوسطى الذي منذ عهد الرئيس جورج بوش الإبن وهو ينصح بتفادي الحرب مع إيران.

تلتقي حرب أوكرانيا مع حرب إيران في قصور أو فشل التقييم الحقيقي للقدرات العسكرية للطرف الآخر في هذه الحالة روسيا وإيران.

ويصبح كل إجراء عسكري آكان انتشارا للمارينز مثل حالة الولايات المتحدة ضد إيران أو أرسال سلاح مثل منظومة باتريوت في حالة أوكرانيا لمواجهة الطيران والصواريخ الروسية بمثابة الحسم النهائي للحرب. وهكذا، تقف الحرب الأوكرانية عند نقطة تنازل كيف عن الأقاليم الشرقية لصالح روسيا، وتقف الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران عند التنازل المرتقب لواشنطن عبر وصفة الإعلان عن الانتصار مقابل فتح مضيق هرمز.

حدث الأسبوع غزة

غزة تواجه تطورات صعبة وخطة «مجلس السلام» تخدم إسرائيل

غزة – «القدس العربي»: أشرف الهور

تكشف التطورات الأخيرة الخاصة بملف قطاع غزة، أن إسرائيل ماضية في خططها التي تتجاهل فيها المأساة التي وقعت ولا تزال آثارها قائمة في القطاع، بسبب الحرب الطويلة الممتدة منذ السابع من أكتوبر 2023، وتدفع فيها باتجاه استمرار احتلال القطاع، ورفض أي تطوير أو مشاريع إغاثة أو إعمار، في الوقت الراهن، مستعينة بخطة جديدة قدمها «مجلس السلام» تضع شروطا مجحفة قبل تنفيذ هذه المشاريع الإنسانية، وتربطها بـ«نزع سلاح غزة».

أوضاع صعبة

وعلى مدار الأسبوع الماضي، وأغلبها كانت أيام عيد الفطر لم تنقطع الهجمات الإسرائيلية الدامية، التي كرست فيها من جديد سياسات الأمر الواقع، وهو إبقاء التهدئة القائمة بوضعها الهش، فيما تمضي هي في سياسات القتل اليومي والحصار. فشهد قطاع غزة هجمات دامية وعنيفة، طالت العديد من المناطق الواقعة خارج نطاق «الخط الأصفر» الذي تسيطر عليه قوات الاحتلال، ويمثل أكثر من 53 في المئة من مساحة قطاع غزة، وتعمدت خلالها استهداف النازحين والأمنين في بيوتهم وفرق شرطية كما فعلت الأسبوع قبل الماضي، لتوقع الكثير من الضحايا، بينهم تسعة قضوا خلال فترة عيد الفطر، بالإضافة إلى آخرين قضوا بعد انتهاء العيد. وسجلت المزيد من الخروقات الجديدة، في وقت كانت تتضاعف فيه مأساة قطاع غزة الإنسانية، مع استمرار تشديد قيود الحصار الذي يحول دون وصول المزيد من المساعدات الغذائية والطبية، وهي مأساة تعمقت بشكل أكبر مع نهاية الأسبوع حين تعرض القطاع لواحد من أعنف منخفضات فصل الشتاء، أدى إلى تدمير المزيد من خيام النزوح وأجبر سكانها على التشرد من جديد بعدما فقدوا المأوى وما فيه من مستلزمات بسيطة، حيث أغرقت أمطار الشتاء الغزير مناطق النزوح، فيما دمرت الرياح الشديدة الكثير من الخيام البلاستيكية.

وأشارت الأمم المتحدة إلى هذه المأساة الكبيرة، فأمام مجلس الأمن الدولي الذي بحث القضية الفلسطينية، قال رامز الأكبروف منسق الأمم المتحدة المقيم في الأراضي الفلسطينية، إن «وقف إطلاق النار في غزة هش بدرجة كبيرة»، وتطرق إلى مواصلة العمليات العسكرية الجوية الإسرائيلية والقصف وإطلاق النيران بأنحاء قطاع غزة بما في ذلك في محيط ما يُعرف بـ«الخط الأصفر».

القيود المشددة

أما المكتب الإعلامي الحكومي، فقد ندد بمواصلة الاحتلال الإسرائيلي فرض قيود مشددة ومنهجية على إدخال السلع والبضائع لغزة، ومن ضمنها قطع الغيار بمختلف أنواعها، والزيوت الصناعية اللازمة لتشغيل المولدات الكهربائية، التي تغذي مشافي غزة بالطاقة، وأكد أن هذه السياسات «تشكل جزءاً من منظومة الحصار المفروضة على القطاع، وتمثل انتهاكاً واضحاً لقواعد القانون الدولي الإنساني، لا سيما ما يتعلق بحماية السكان المدنيين وضمان استمرارية الخدمات الأساسية، وترقى إلى مستوى العقاب الجماعي المحظور دوليا».

ويبين المكتب أن هذه الإجراءات تنعكس بشكل مباشر وخطير على الواقع الإنساني، وقال إن استمرار هذا الوضع «ينذر بتداعيات كارثية على حياة المرضى، لا سيما في أقسام العناية المركزة وغرف العمليات، في ظل انهيار منظومة الكهرباء الأساسية»، لافتا إلى أن القيود على عمل المعابر وإدخال السلع تؤدي إلى تعطيل واسع في القطاعات الحيوية، بما يشمل النقل، والإغاثة، والخدمات البلدية، ما يفاقم من حدة الأزمة الإنسانية والاقتصادية، ويرفع معدلات الفقر والبطالة، وحذر من أن استمرار هذه الإجراءات، الممتدة منذ بدء «حرب الإبادة الجماعية»، يعكس تعمّد الأزمة وتراكم آثارها بشكل خطير، ويُنذر بانهيار شبه كامل لمنظومة الحياة اليومية، ووقوع كارثة إنسانية مركبة تتجاوز القدرة المحلية على الاستجابة، وقد حمل الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية الكاملة عن التداعيات الخطيرة المترتبة على هذه الإجراءات الخطيرة، وطالب في ذات الوقت المجتمع الدولي بالتحرك العاجل لتحمل مسؤولياته القانونية والإنسانية، والضغط لوقف هذه السياسات فوراً.

كما طالب وسطاء اتفاق وقف إطلاق النار، والجهات الضامنة والراعية للاتفاق، بممارسة ضغط فعّال على الاحتلال لفتح المعابر، وضمان إدخال قطع الغيار والزيوت الصناعية وكافة المستلزمات الأساسية بدون قيود، وقال منذرا «إن استمرار الصمت الدولي إزاء هذه الانتهاكات يفاقم الكارثة الإنسانية، ويمنح الاحتلال غطاءً لمواصلة سياساته التي تستهدف الحياة المدنية بشكل مباشر».

ولذلك وجه الناطق باسم جهاز الدفاع المدني في غزة محمود بصل «رسالة إنسانية» إلى المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان، قال فيها إنه في ظل انشغال العالم بالعدوان الحالي على لبنان وإيران «يواجه سكان غزة تشديداً للحصار وحرماناً من أبسط مقومات الحياة، مع تقليص دخول المساعدات الأساسية».

وأكد أن غزة لا تطالب إلا بحقوق إنسانية كفلها القانون الدولي، مشيرا إلى تفاقم المعاناة في ظل صمت عالمي مؤلم، وأضاف في رسالته التي جاءت مع دخول منخفض جوي عميق واجهه سكان غزة نهاية الأسبوع الماضي «لا تنسوا غزة فهناك شعب يُحاصر ويُجوع ويُحرم من حقه في الحياة، والصمت لم يعد مقبولاً، والتحرك العاجل ضرورة إنسانية». وأدى هذه المنخفض الجوي إلى تدمير وغرق الكثير من خيام النازحين في كافة مناطق قطاع غزة، وتشريد سكانها، ليزيد من حجم المأساة الإنسانية، ويفاقم المأساة التي يواجهها سكان قطاع غزة.

أما حركة حماس، فعلى لسان الناطق باسمها حازم قاسم، قالت إن تصعيد الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة من خلال استمرار عمليات القتل وتشديد الحصار «يشكل تأكيداً واضحاً على قرار الاحتلال بتخريب مسار وقف إطلاق النار وجهود مجلس السلام»، وأكد أن القتل المستمر لسكان قطاع غزة وتشديد الحصار ومنع الإعمار «يمثل امتداداً لحرب الإبادة الجماعية بوتيرة مختلفة»، مشيرا إلى أن مواصلة الاحتلال خروقات اتفاق وقف إطلاق النار «تستوجب من جميع الوسطاء والجهات الضامنة ممارسة ضغط فعلي على الاحتلال لوقف هذه الخروقات ورفع الحصار، بما يتيح للأطراف استكمال مسارات وقف إطلاق النار».

لكن في المقابل كانت إسرائيل تصم آذانها عن كل هذه النداءات، وتمضي تحت غطاء انشغال العالم بالحرب على إيران، في ارتكاب المزيد من الجرائم وتواصل خرق البروتوكول الإنساني، وتحكم الحصار على غزة، وتضاعف بذلك أزمات السكان.

خطة مجلس السلام

وبدا واضحا أن إسرائيل تستفيد من الدعم الأمريكي الكبير لها، وهو أمر ظهر في خطة «مجلس السلام» التي قدمت مؤخرا، وتشمل عدة بنود، لكنها تربط تحسين الوضع في قطاع غزة، بـ«نزع سلاح المقاومة» بشكل يرضي إسرائيل، وهو أمر لا تزال ترفضه المقاومة الفلسطينية.

وكشفت «القدس العربي» أن هذه الخطة تشمل على مقترحات للانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، بما في ذلك مناطق الحدود المحتلة، التي تشكل حاليًا أكثر من 53 في المئة من مساحة قطاع غزة، خلال فترة تمتد من 6 إلى 9 أشهر، وتربط ذلك بإنجاز ملف «سلاح المقاومة»، إذ تتطلب خطة مجلس السلام سحبه «بالتدريج»، ليس من حركة «حماس» فقط، بل من جميع فصائل المقاومة في غزة، وفقًا لخطة يجري التفاوض عليها لاحقًا، في حال الموافقة على «الخطوط العريضة» المقدمة، وذلك قبل أن يكشف الممثل السامي لـ «مجلس السلام» نيكولاي ميلادينوف عن بنود هذه الخطة أمام مجلس الأمن الدولي.

ميلادينوف أكد أن الخطة تأتي في إطار العمل، وأن المناقشات الجادة تجري الآن بشأنها، وأن الخطة الشاملة التي وافقت عليها الأطراف أرست مبدأ السلطة الواحدة، القانون الواحد، السلاح الواحد، لافتا إلى أن هذا الأمر ينطبق على جميع الأطراف المسلحة في قطاع غزة بدون استثناء، وقد أشار إلى أن ذلك يتطلب النزع الكامل للأسلحة في قطاع غزة، ووضعها تحت سيطرة السلطة الفلسطينية الانتقالية.

وخلال كلمته كشف أيضا أن إطار العمل يقوم على خمسة مبادئ، أولها «التبادلية»، حيث يتم نزع السلاح بالتوازي مع الانسحاب الإسرائيلي المرحلي، وشدد ميلادينوف على أهمية ذلك لمصداقية سائر العملية، وأوضح أن الترتيب الثاني للعملية يكون من خلال التعامل أولا مع أخطر الأسلحة والصواريخ والذخيرة الثقيلة والمعدات المتفجرة والبنادق الهجومية لدى الجماعة المسلحة، وتحييد الأنفاق. ثم التعامل أخيرا مع الأسلحة الشخصية عبر عملية تسجيل وجمع، وقال إن البند الثالث يكون من خلال «رصد الامتثال والتحقق منه»، وأضاف «لن يتسنى بدء إعادة الإعمار إلا بعد توثيق مراحل نزع السلاح».

وبخصوص البند الرابع قال إنه يشمل توفير مسارات للأفراد المرتبطين حاليا بجماعات مسلحة لـ «يدخلوا مرة أخرى إلى الحياة المدنية بكرامة عبر تدابير عفو هيكلية وبرامج لإعادة الإدماج»، وكان بذلك يشير إلى ما يعرف بنظام «العفو» عن المسلحين وعدم ملاحقتهم، فيما البند الخامس يؤكد أن مكتب الممثل السامي، ستكون له سلطة تمديد الأطر الزمنية عندما تبذل الأطراف مساع حميدة.

وخلال احاطته قدم الممثل السامي لـ «مجلس السلام» في غزة، الشكر لمصر على موافقتها، حيث تمثل «الشريك التدريبي الرئيسي» لتطوير نواة القوة الشُرطية في غزة، كما أشاد بالمغرب وإندونيسيا وكازاخستان وكوسوفو وألبانيا للالتزامهم بالمساهمة بقوات في قوة الدولية لتحقيق الاستقرار في غزة، تحت قيادة الولايات المتحدة، ودعا جميع الدول إلى المساهمة في هذه القوة.

احتمال فشل الاحتواء

وفعليا يدور الحديث عن بدء حركة حماس التي زار وفدها القيادي الأسبوع الماضي تركيا، ومن قبلها مصر، شرع في بحث المقترح المقدم، لكن ما يتضح من هذا الأمر لا يبشر بأن الأمور ذاهبة نحو القبول بهذا الأمر، في ظل عدم وجود ضمانات تمنع إسرائيل من شن هجمات على غزة، أو تحمي «المقاومة» من أي هجمات من جماعات مسلحة مرتبطة بإسرائيل، في حال أقدمت على تسليم سلاحها.

وبما يدلل على ذلك، أكد عضو المكتب السياسي لحركة حماس باسم نعيم، أن ربط ميلادينوف ملف السلاح بدخول اللجنة الإدارية والقوات الدولية إلى غزة والانسحاب الإسرائيلي وإعادة الإعمار الجزئي والكلي، مخالف لاتفاق شرم الشيخ وقرار مجلس الأمن 2028 وحتى خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب نفسه. وفي تصريحات لنعيم أكد أن ميلادينوف «يحاول قلب المسار بما يخدم أجندات الاحتلال وتجاوز تمامًا أن الاحتلال لم ينفذ شيئًا من المرحلة الأولى ولم يقدم أي ضمانات على تنفيذ أي من التعهدات القادمة»، وأن ميلادينوف «يهدد الفلسطينيين بالعودة للحرب بالنيابة عن نتنياهو وحكومته الفاشية بدلًا من أن يكون فعلا ميعوثًا لمجلس يسمي نفسه «مجلس السلام».

ويوضح أن ميلادينوف يتحدث عن اختراقات لوقف إطلاق النار بدون أي ذكر لمن يخترق الاتفاق وهو الإسرائيلي فقط وتغافل تمامًا عن كل التفاصيل التي يملكها حول حجم الانتهاكات، وقد استعرض جملة من الانتهاكات الإسرائيلية لاتفاق وقف إطلاق النار، وختم نعيم تصريحاته بالقول، «إنهم يريدون تحقيق ذواتهم على حساب شعبنا وحقوقه المشروعة إرضاءً للأمريكي والإسرائيلي».

ولذلك تظل احتمالات التصعيد الحربي ضد غزة، وفرض المزيد من إجراءات الحصار هي التوقع الأقرب لنهج إسرائيل تجاه القطاع في المرحلة القادمة، حيث تستغل بذلك أيضا الانشغال العالمي بالحرب ضد إيران.

بسلاح البرد... عدوان إسرائيلي صامت على طفولة غزة في الخيام

غزة – «القدس العربي»: بهاء طباسي

لم تكن الطفلة سها نافع (10 أعوام) تتخيل أن يصبح الشتاء امتحانًا يوميًا للبقاء، لا فصلا عابرًا من فصول العام. منذ أن دُمّر منزل عائلتها، في بداية حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، باتت الخيمة عالمها الصغير، ومدرستها، وملجأها الوحيد من بردٍ لا يرحم. في صباحات غزة الرمادية، تخرج سها من خيمتها المدرسية المصنوعة من القماش، تحاول أن تُخفي ارتجاف يديها تحت دفاتر بالية، بينما تتسلل الرياح الباردة إلى أجساد الأطفال كأنها تبحث عن أضعف نقطة فيهم.

في شتاء غزة القاسي، تتجدد فصول المعاناة على النازحين للعام الثالث على التوالي، حيث تحولت الخيام البالية إلى مأوى لا يقي بردًا ولا يحفظ كرامة. هنا يواجه الأطفال أقسى الفصول، لا في بيوتهم، بل داخل مدارس من القماش بلا جدران تحميهم، ولا وسائل تدفئة تقاوم برد الشتاء القارس. تتحول الحصص الدراسية إلى محاولات للبقاء دافئين، ويتراجع التعليم إلى مرتبة ثانية أمام أولوية النجاة من البرد والمرض.

تقول سها، وهي تحاول شد معطفها الخفيف حول جسدها الصغير: «أدرس بخيمة، دارنا قُصفت، وتأتي المياه علينا من كل جهة». فيما تأمل العودة إلى منزلها ودارها في حي التفاح، بعد إعمارهما وتوقف الحرب: «أتمنى أرجع لدارنا، وإلى مدرستي الحقيقية، ويأتوا لنا بمراجيح وألعاب جديد». تتوقف لحظة، ثم تضيف بصوت خافت خلال حديثها لـ«القدس العربي»: «نفسي نرجع نضحك ونفرح مثل قبل. في الليل أشعر بالبرد الشديد. أخاف جدًا من الإصابة بالإنفلونزا، هذا يقلق والدتي كثيرًا، خصوصًا إنه ليس هناك دواء».

لا تحلم سها بأكثر من حقها الطبيعي كطفلة؛ سقف يقيها المطر، صف دراسي لا يتطاير مع الريح، ودفء يمنحها الأمان. لكنها، مثل آلاف الأطفال في غزة، وجدت نفسها في مواجهة شتاء طويل بلا حماية، حيث تصبح الأحلام الصغيرة ترفًا بعيد المنال.

ومع مرور الأيام، تتضاعف معاناة الأطفال الذين تفتحت أعينهم على الإبادة، حيث حُرموا من أبسط مقومات الحياة؛ فلا ساحات للعب، ولا أندية، ولا مساحات آمنة للفرح، إذ التهمت الحرب كل شيء، ولم يبقَ للطفولة سوى واقع استثنائي قاس يجبر الأطفال على النضوج قبل أوانهم. حتى الأطفال الرضع لم يسلموا من هذه الحرب، إذ بات البرد والمرض يطاردهم منذ أيامهم الأولى.

في الخيمات والشوارع، اختفت أصوات الضحك لتحل محلها نوبات سعال وبكاء متواصل. صار اللعب مخاطرة، والفرح مؤجلًا، بينما تقف الأمهات عاجزات أمام معاناة أطفال لا يملكون مناعة كافية لمواجهة هذا الواقع القاسي. هنا، لا تُقاس الطفولة بعدد الألعاب، بل بعدد الأيام التي ينجو فيها الطفل من المرض.

داخل خيمة غارقة بمياه الأمطار في شارع الثلاثيني بمدينة غزة، تحتضن نائلة العف (34 عامًا) طفلها الرضيع، محاولةً أن تنقل إليه ما تبقى من دفء جسدها. تقول بألم: «إن ابني يعاني من المرض، وقد تضرر كثيرًا من برد الشتاء القارس ومن تداعيات هذه الحرب المستمرة. يفتقر الطفل لأدنى مستويات الرعاية الصحية، ولا يجد مأوى آمنًا؛ فنحن نقيم في خيام تغرق بمياه الأمطار».

تضيف نائلة لـ«القدس العربي»: «لقد دُمرت منازلنا وتشردنا، وها نحن الآن نعيش في العراء داخل خيام غارقة، بينما يعاني أطفالنا من الأمراض والآلام. حتى عندما أحاول التوجه للمراكز الطبية لإعطائه حقنة علاجية، ترفض الطواقم الصحية ذلك أحيانًا بسبب تفاقم حالته الصحية نتيجة البرد الشديد».

وتتابع بحرقة: «الحقيقة أننا نعاني من عجز في كل شيء؛ فلا يتوفر حليب صحي ولا حفاضات للأطفال. إنها معاناة حقيقية، فما ذنب هذا الطفل ليولد في زمن الحرب ويشهد كل هذا البؤس؟ لا أستطيع كأم تلبية احتياجاته الأساسية، ولا توفير النظافة اللازمة له».

وتشير إلى محاولاتها اليومية للبحث عن علاج: «نذهب إلى مركز دار الحكمة بمدينة غزة فنواجه الصعوبات، ونعود إلى الخيام لنجد معاناة أكبر؛ حيث لا نظافة، ولا غاز للطهي، ولا مستلزمات للطفل. لقد ظُلم هذا الطفل بولادته في الحرب، فهو محروم من أبسط حقوقه».

ولا تخفي نائلة قلقها حتى في ظل الهدنة الهشة، قائلة: «ليس المواليد الجدد وحدهم من يعانون، بل حتى أطفالنا في عمر السنتين والثلاث والخمس سنوات يعانون من الإنفلونزا والرشح والقيء والإسهال. وتزداد المعاناة مع انتشار القشرة في الرأس والحشرات، في ظل انعدام الفرص لتوفير المنظفات والعلاجات اللازمة. إننا نعيش معاناة شديدة جدًا».

وتختم بنداء مفتوح: «أطالب بتوفير كل المتطلبات الأساسية للشعب الفلسطيني، وبأن ينال الطفل حقوقه في فراش صحي، ونظافة، وخيمة تقيه البرد. الدواء الذي ذهبت لأبحث عنه لم أجده، وحتى تطعيمات الأطفال لم تعد متوفرة».

أجساد صغيرة منقّلة بالمرض

أطفال كبروا على صوت القصف، ولم يعرفوا من طفولتهم سوى تعبئة المياه والبحث في تكيات الطعام عن وجبة تسد الجوع. أما المرضى منهم، فتتضاعف آلامهم في ظل نقص العلاج وقسوة الطقس، لتتحول أيام الشتاء إلى عبء إضافي على أجساد صغيرة أنهكها الحصار والبرد.

في هذا الواقع، يصبح المرض رفيقًا دائمًا، وتتحول رحلة العلاج إلى مغامرة محفوفة بالمخاطر، خاصة للأطفال ذوي الإعاقة، الذين يواجهون معاناة مضاعفة في ظل انهيار المنظومة الصحية.

تروي حميدة شاهين (38 عامًا)، من سكان منطقة الرمال بمدينة غزة، تفاصيل معاناة طفلها (من ذوي الإعاقة) قائلة: «إن الوضع في غاية الصعوبة، وبالتأكيد تفاقمت الأمور بشكل مأساوي مع استمرار الحرب. اضطررت للخروج في هذا البرد القارس لأتمكن من إجراء جلسة علاج طبيعي لابني، بعد أن كان يتلقى علاجه قبل الحرب في مركز سجا الذي توقف عن العمل».

تضيف لـ«القدس العربي»: «ابني يحتاج إلى حفاضات والعديد من المستلزمات الأخرى التي لم تعد متوفرة بتاتًا في غزة. هناك أدوية وعلاجات ضرورية يحتاجها وهي مفقودة تمامًا، والأوضاع تزداد سوءًا يومًا بعد يوم».

وتشير إلى خسائرها المتراكمة: «منزلنا قُصف وفقدنا كل ما نملك، حتى ألعابه الخاصة دُمرت. وحتى هذا الكرسي المتحرك الذي ترونه ليس ملكه، بل استعرته من بعض الناس، لأن كرسيه الخاص ظل تحت أنقاض منزلنا».

وتؤكد حميدة أن معاناة الأطفال ذوي الإعاقة تفوق الوصف، قائلة: «هم أكثر الفئات تضررًا، خاصة مع ازدياد أعداد الأشخاص ذوي الإعاقة بسبب هذه الحرب. أما عن الواقع الصحي، فقد دُمرت عيادات الأونروا، وعيادات وزارة الصحة بالكاد تستطيع توفير بعض الأدوية البسيطة».

شتاء بلا حماية

يبقى شتاء غزة شاهدًا على معاناة إنسانية متواصلة، حيث يواجه الأطفال أقسى الظروف في غياب أبسط مقومات الحماية والحياة الكريمة، لتظل الطفولة هنا صرخة مكتومة تنتظر دفئًا وعدلًا وإنقاذًا عاجلًا.

من داخل قطاع غزة، أطلق جميل سرحان، نائب مدير عام الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، تحذيرًا شديد اللهجة، مؤكدًا أن ما يواجهه أطفال القطاع لم يعد مجرد نقص في الاحتياجات، بل «عملية تصفية ممنهجة لجيل كامل باستخدام سلاحي البرد والمرض».

وأوضح سرحان أن الهيئة وثقت خلال شهر واحد وفاة 12 طفلا نتيجة الانخفاض الحاد في درجات الحرارة داخل خيام النازحين، مشيرًا إلى أن هذه الوفيات ليست حالات فردية، بل نتيجة مباشرة لانهيار المنظومة الصحية، التي باتت عاجزة عن توفير الدفء أو الدواء لنحو 7.700 طفل رضيع، في ظل حرمان 90 في المئة من أطفال القطاع من المضادات الحيوية واللقاحات الأساسية.

ووصف سرحان الوضع البيئي في غزة بـ«الكارثي»، موضحًا لـ«القدس العربي» أن فيضانات مياه الصرف الصحي واختلاطها بمياه الأمطار حولت المخيمات إلى بؤر للأوبئة، ما أدى لإصابة قرابة 900 ألف طفل بأمراض معوية وجلدية خطيرة، في وقت يعاني فيه أكثر من 3.500 طفل من سوء تغذية حاد يجعل أبسط نزلة برد خطرًا يهدد حياتهم.

واختتم سرحان تصريحه بالتأكيد على أن الصمت الدولي تجاه هذه الأرقام في عام 2026 يمثل «تواطؤًا مباشرًا في جريمة حرب مستمرة»، مشددًا على أن «الطفل الذي يرتجف اليوم تحت المطر في غزة هو شهادة حية على موت الضمير العالمي وعجز القوانين الدولية عن حماية أبسط الحقوق الإنسانية: الحق في الحياة والدفء».

السنة السابعة والثلاثون العدد 11121 الأحد 29 آذار (مارس) 2026 – 10 شوال 1447 هـ

الوقوع السريع في المستنقع: كل الأوراق بيد إيران

إبراهيم درويش

بعد مرور شهر على الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران، تخلط إدارة دونالد ترامب الأوراق وتواصل إرسال الرسائل الغامضة، وتراوح بين التصعيد، بإرسال المزيد من قوات المارينز إلى الخليج والزعم في الوقت نفسه بأنها تسعى للدبلوماسية وبروز دور باكستان في الوساطة أو نقل الرسائل.

وكما تشير الدروس الحديثة، عندما تتحدث الإدارات الأمريكية عن التصعيد في حروبها الخارجية، فإنها تسعى لتجنب نهاية مذلة لحروب اختيارية.

وتقول المعلقة في صحيفة «نيويورك تايمز» (2026/3/27). إنه لم يسبق أن وصلت أمريكا إلى حافة مستنقع كهذا بهذه السرعة، مع كل هذا التحذير المسبق بشأن الأخطاء التي ترتكبها»، مضيفة «لقد أمضينا معظم العقد الماضي، ويرجع ذلك جزئيا إلى انتخاب ترامب، في مواجهة ثمن حرب العراق على الاستقرار العالمي والتماسك الأمريكي، ولأول مرة أتذكرها، يمتلك الحزبان الرئيسيان فصائل مناهضة للحرب ذات نفوذ كبير. فقد ترشح ترامب للرئاسة، رغم كذبه، كمرشح للسلام، مدعيا أن كامالا هاريس ستقود أمريكا إلى الحرب العالمية الثالثة. ومع ذلك، ها نحن ذا، ندفع نحو نسخة جديدة من كارثة مألوفة، نعاني من شكل وطني من هوس التكرار المرضي».

وقالت إن الجمهوريين اكتشفوا أن الحرب على إيران تسير بشكل سيء، فلم يعد الخوف من انحراف حرب دونالد ترامب في إيران عن مسارها مقصورا على الديمقراطيين في الكونغرس فحسب، بل يمتد ليشمل أعضاء جمهوريين آخرين. فبعد جلسة إحاطة سرية في البنتاغون يوم الأربعاء، بدا على أعضاء لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب الجمهوريين القلق.

وقالت غولدبرغ إن الغزو البري لإيران لا يحظى بدعم من الرأي العام لأنه فكرة كارثية بكل المقاييس.

ويبدو أن ترامب نفسه يخشى إطالة أمد مغامرته مع إيران. وذكرت صحيفة «وول ستريت جورنال»(2026/3/26) أنه يريد إنهاء الحرب سريعا، ويظهر وكأنه أحيانا يتوسل إلى القادة الإيرانيين للتوصل إلى اتفاق. فقد كتب صباح الخميس: «من الأفضل لهم أن يكونوا جادين قريبا، قبل فوات الأوان، لأنه بمجرد حدوث ذلك، لن يكون هناك رجوع»، فقد كان التوتر واضحا عليه.

ومع ذلك، ورغم كل الأسباب التي تدعو أمريكا إلى عدم تصعيد حربها مع إيران، إلا أن هناك احتمالا كبيرا أن تفعل ذلك. فترامب يحشد آلافا إضافية من الجنود إلى الشرق الأوسط، وفي الماضي، عندما حشد قوات عسكرية خارج دولة معادية، استخدمها. وذكر موقع «أكسيوس» يوم الخميس: «يعتقد بعض المسؤولين الأمريكيين أن استعراضا ساحقا للقوة لإنهاء القتال سيمنحهم مزيدا من النفوذ في محادثات السلام، أو ببساطة سيعطي ترامب شيئا يشير إليه ويعلن النصر». ومن هنا فطلب البنتاغون 200 مليار دولار، لتمويل حرب تستنزف مئات الملايين من الدولارات يوميا يعد مؤشرا واضحا على مسار التصعيد.

وما أوردته صحيفة «واشنطن بوست» (2026/3/26) أن البنتاغون يفكر بإرسال معدات عسكرية مخصصة إلى أوكرانيا دليل على استنفاد الجيش أصولا عسكرية مهمة، وخاصة صواريخ كروز توماهوك التي أطلقت منها على إيران أكثر من850 كروز توماهوك خلال أربعة أسابيع من الحرب.

كارثة الخداع

ويكتشف ترامب أن استراتيجية الخداع في إيران لم تعد مجدية وتؤدي إلى خسارة مصداقيته على مستوى العالم، كما يقول فريد زكريا في «واشنطن بوست» (2026/3/27). وقال إن مخادعة ترامب في إيران تعد كارثة من صنعه. وأشار إلى خط باراك أوباما الأحمر في سوريا والذي أصبح أحد أبرز أخطائه في السياسة الخارجية. فقد تعهد بمعاقبة سوريا إذا استخدمت أسلحة كيميائية، ولكن عندما ظهرت أدلة على استخدامها لتلك الأسلحة، أحال مسألة التدخل العسكري إلى الكونغرس الذي رفض اتخاذ أي إجراء. والغريب أن الرئيس الحالي وصف قرار أوباما حينذاك بأنه «كارثة»، كما وصفه السناتور الجمهوري عن فلوريدا، ماركو روبيو بأنه سبب «ضررا يمتد لأجيال». ورأى بيت هيغسيث، بعد بضع سنوات، أنه جزء من «متاهة غير متماسكة» في السياسة الخارجية. وأوضح السناتور الجمهوري عن ساوث كارولينا، ليندزي غراهام أن أوباما، بتجاهله الخط الأحمر الذي رسمه، خاطر بتبديد مصداقية أمريكا في العالم. وليس غريبا أن كل الأصوات الشاجبة حينذاك هي من تدير الحرب ضد إيران اليوم.

ويعلق زكريا أن تراجع أوباما عن خطه الأحمر يبدو نموذجا للحكمة في صنع السياسات مقارنة بما شهدناه منذ بدء الحرب الإيرانية.

وفي هذا السياق أشار إلى تخبط ترامب في الملف الإيراني وتصريحاته الغامضة والفوضوية. وليس أدل على ذلك من تصريحاته المتناقضة بشأن مضيق هرمز. فمن التهديد بنسف المنشآت المدنية خلال 48 ساعة والتراجع إلى 5 أيام والآن عشرة أيام. ثم اختراعه فكرة مفاوضات مع إيران واستجداءه الحلفاء بفتح المضيق، ثم التقليل من شأنه لأن أمريكا لا تستخدمه وغير ذلك من الرسائل الغامضة.

ويعلق زكريا أن ترامب يعمل الآن وفقا لمعايير محددة، فعندما يقول إنه سيوقع الرسوم الجمركية إلى 130في المئة أو أنه سيفجر أكبر حقل غاز في إيران أو أن «الحرب شبه منتهية»، فإن أيا من هذه التصريحات لا يعني الكثير. وقد تكون هذه سياسات أمريكية فعلية، أو لا، أو قد تبقى سياسة ليوم أو أسبوع ثم تتغير. فبعد أن قال إن الحرب قد انتهت تقريبا، أكد ترامب في اليوم نفسه أننا «لم نحقق انتصارات كافية» وأننا «لن نتراجع حتى يهزم العدو هزيمة ساحقة وحاسمة».

وقال إنه وافق على التفاوض مع قادة إيران، لكنه لم يتمكن من ذلك لاحقا بسبب استمرار مقتلهم، مع أن جيشه (وجيش إسرائيل) هو من يقوم بعمليات القتل. هل كل شيء واضح؟

وخلافا لما يقوله مؤيدو ترامب من أن هذا التناقض «عبقرية استراتيجية»، وأنه يبقي الناس في حالة ترقب، إلا أن السياسة تتغير مثلما يغير الرئيس مواقفه بسرعة.

ورغم حرصه على وقف الحرب، إلا أن المشكلة هذه المرة، تكمن وعلى عكس ما حدث مع الرسوم الجمركية، في أنه لا يستطيع وقف ما بدأه. فإيران صوت في هذا الشأن، وهي تصوت حاليا على مواصلة القتال، مدركة أنه على الرغم من ضعفها، إلا أنها تمتلك قوة عسكرية كافية لإلحاق الضرر بالاقتصاد العالمي، وبالتالي إلحاق الضرر بالولايات المتحدة.

وقال زكريا أن احدا لم يعد يصدق ما يطلق عليها «المصداقية الأمريكية» بل وأصبح الأمر أشبه ببرنامج تلفزيوني غريب، حيث يراوغ بطله ويتفادى الأزمات بمهارة، متمنيا أن يحل ما يقوله اليوم الأزمة التي سببتها أقواله بالأمس. ولا ريب أن الفوضى في التصريحات ليست استراتيجية في التعامل مع الحلفاء الذي يسخر منهم كلما أراد ثم يستجديهم طلبت للمساعدة في مضيق هرمز، وهو ما وصفهم مسؤولون أوروبيون بالحيرة مما يقول أو ما يريده منهم، كما نقلت مجلة «بوليتيكو» (2026/3/22).

أوراق إيرانية رابحة

وكما ذكرت مجلة «إيكونوميست» (2026/3/26) ففي الوضع الحالي تملك طهران الأوراق الرابحة، حيث أحكم النظام سيطرته على البلاد بدلا من انهياره، وأصبح الحرس الثوري، يقود النظام والحرب كما ذكرت المجلة في سياق آخر.

والأهم هو أن إيران استطاعت خنق الاقتصاد العالمي بشكل اضر بدول الخليج المصدرة للنفط والغاز، ووضعت إدارة ترامب أمام معضلة الخيارات التي تبدو كلها سيئة، سواء التفاوض أو العمل العسكري باحتلال جزر قريبة من مضيق هرمز الذي تتحكم به إيران أو جزيرة خارك النفطية الإيرانية أو حتى أجزاء من السواحل الإيرانية. ولم يعد النظام خائفا من الثورات التي لوحت إسرائيل بها بدعم جماعات عرقية أو دينية للانفصال. ويتردد الأكراد في الدخول بالحرب إلى جانب أمريكا وإسرائيل، وخاصة أن الولايات المتحدة تخلت عن إخوانهم في سوريا لصالح النظام الجديد، كما أن أكراد العراق كان لهم موقف واضح من تدخل أكراد إيران.

وباتت أحلام الثورة متلاشية، فالإيرانيون غير قادرين على التظاهر لأن الحرب الجوية باتت تستهدفهم. وسيكون من المغارقة أن يطلب ترامب من الإيرانيين التظاهر ضد النظام القمعي وطائراته والطيران الإسرائيلي يمطر الحمم يوميا عليهم، فالدعوة للخروج هي دعوة للإنتحار. ويبدو أن افتراضات الموساد وبالضرورة إنهم قادرون على تحشيد دعم لثورة ضد النظام، كانت خاطئة، وهي الأفكار التي قدمت إلى ترامب، هذا إن صدقنا تسريبات «نيويورك تايمز» هذا الأسبوع. ويبدو أن نتنياهو كان يفكر بأنه يستطيع تكرار سي أي إيه/أم اي6 بالإطاحة بحكومة محمد مصدق في منتصف القرن الماضي. ويعرف الجميع أن تلك العملية بذرت البذور الحقيقية للثورة الإسلامية في عام 1979. وما يحدث اليوم هو تكرار لعملية جيمي كارتر في عام 1980 لتحرير الرهائن الأمريكيين في طهران، وهي العملية التي أنهت مستقبل كارتر السياسي.

ومن جانب آخر، لم تحل الحرب الملف النووي، فلا تزال كمية اليورانيوم عالي التخصيب مدفونة تحت الأرض، بسبب غارات العام الماضي. ولا شك أن إخراجها يحتاج إلى عملية عسكرية معقدة تستمر أياما وغطاء جويا مستمرا وقوات خاصة وآليات حفر. ومن هنا تبدو كلمة «مستنقع» أصدق ما يمكن أن يصف الحرب بعد شهر على اندلاعها. وسواء اختار ترامب التصعيد أم الدبلوماسية، فلم يتأثر النظام الإيراني الذي لا يزال يملك الأوراق الرابحة بيده، على الأقل في الوقت الحالي. مع أن إيران تعرضت لضربة قاسية، حيث تم قتل العديد من قادتها وسقط مئات من المدنيين ودمرت دفاعاتها المدنية وتم قصف بحريتها وراجمات الصواريخ، لكن النظام تحمل هذه الضربات. «وكما حذرنا عندما بدأت هذه الحرب، فمجرد النجاة يعتبر انتصارا من نوع ما» على حد تعبير «إيكونوميست» (2026/3/26).

واستراتيجية خداع ترامب كارثة من صنع نفسه

من ليبيا إلى إيران

ربما نجحت القوة الغاشمة بالسيطرة على الجو في عمليات محدودة، رغم إدراك كل المحللين وصناع السياسة أن القوة الجوية لا يمكن أن تطيح بنظام. وهو ما يعيد الأذهان إلى حملة الناتو ضد نظام معمر القذافي. وفي مقال بمجلة «فورين بوليسي» (2026/3/26) قال الزميل بمؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، كريستوفر تشيفيس، إن السياسة التي اتبعتها أمريكا تجاه إيران، على مدى الأسابيع القليلة الماضية، تتخذ نمطا يذكر بالحرب التي خاضتها قبل 15 عاما في ليبيا. كانت تلك آخر مرة شنت فيها الولايات المتحدة حربا جوية لتغيير نظام الحكم في دولة كبيرة غنية بالنفط وذات أغلبية مسلمة.

وقال إنه إذا استمرت إيران في اتباع نهج ليبيا، فإن العالم مقبل على أيام طويلة وخطيرة. مضيفا أنه مع نجاة النظام الإيراني من الضربة الأمريكية والإسرائيلية الأولى، لم يعد أمام واشنطن خيارات جيدة. فمهاجمة البنية التحتية المدنية، كما هدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مؤخرا، سيقضي على أي فرصة لانتفاضة مؤيدة للولايات المتحدة في طهران. أما إرسال قوات برية لوقف الهجمات على أسواق الطاقة فلن يؤدي إلا إلى تفاقم تكلفة الحرب. وأخيرا، فإن التفاوض على وقف إطلاق النار، رغم كونه الخيار الأمثل المتاح، سيؤكد علنا حدود سلطة ترامب في الداخل والخارج. وقال إن التدخل في ليبيا عام 2011 والذي جاء ردا على تهديدات معمر القذافي في حينه للهجوم على بنغازي المكتظة بالسكان تحول إلى حملة عسكرية استمرت شهورا لمنع الهجوم والإطاحة بنظام القذافي. وما حدث هو أن الناتو سيطر على الأجواء ولم تستطع ضرباته الإطاحة بالنظام، وأصبح البلد ممزقا بين الثوار ونظام القذافي. وسرعان ما تحولت الأسابيع إلى شهور تبعه إحباط وقلق من تراجع زخم العملية، حيث أضافت واشنطن وحلفاؤها طائرات هليكوبتر ووسعوا قائمة الأهداف، بدون أثر يذكر على الارض. كما باءت محاولات التفاوض مع القذافي بالفشل لرفضه التفاوض من موقع ضعف، ولعدم إدراكه مدى خطورة وضعه.

وقال إن نفس النمط يتكرر في الآن في إيران. فقد أظهر الجيش الأمريكي قدرته الفائقة على سحق دفاعات النظام الإيراني وقيادته وسيطرته وبنيته التحتية وبدون انهيار النظام. فقد تسيطر الولايات المتحدة وإسرائيل على المجال الجوي، لكنهما ستفتقران قريبا إلى أهداف عسكرية ذات قيمة للهجوم. عندها، لن يكون أمامهما خيار سوى شن ضربات واسعة النطاق على البنية التحتية المدنية، وهي خطوة من شأنها أن تفشل الهدف المتمثل في إثارة التمرد ضد النظام.

وتتشابه إيران مع ليبيا في عهد القذافي في بعض الجوانب، سواء كانت جغرافية وثروات ودرجات تعليم بين السكان، لكنها تختلف عنها اختلافا جوهريا. ولعل أبرز اختلاف بين إيران وليبيا هو أن الولايات المتحدة في ليبيا تدخلت دعما لثورة مسلحة ضد النظام الليبي. أما في إيران، فلا وجود لثورة مماثلة، ولا مؤشرات على ظهورها وسيكون إشعال فتيل ثورة كهذه أمرا عسيرا، لا سيما وأن الشعب الإيراني لديه مثال ليبيا المؤلم الذي يدفعه للتريث قبل الانتفاضة. ويذكرنا الدرس الليبي بمعضلة إدارة ترامب في إيران اليوم. وما هو مهم هو أن الدرس الليبي يذكرنا بأن القضاء على النظام بالقوة العسكرية لا يعني نتيجة أفضل، مهما كانت قدرة هذه القدرة من السيطرة على الأجواء، فقتل القيادات وتدمير البنى العسكري لا يعني الحصول على أفضلية في الحرب.

من المسؤول؟

وسط هذه الفوضى التي أحدثها ترامب وجره أمريكا لحرب غير شعبية، بات الكثير من الأمريكيين يتساءلون عن المسؤول؟ والمرشح في هذا السياق هو نتنياهو وإسرائيل، فمن الواضح لدى نقاد الحرب على إيران أن ترامب يعمل ما تريده إسرائيل نتنياهو. ومن هنا يواجه اللوبي المؤيد لإسرائيل أياما صعبة، وبدا هذا واضحا في مواقف الديمقراطيين الذين يبتعدون عن جماعات مؤثرة مثل اللجنة الأمريكية–الإسرائيلية للعلاقات العامة أو «أيباك»، ويقول عدد من النواب أو المرشحين المحتملين أنهم لم ولن يقبلوا مال جماعات العمل السياسي المدعومة من أيباك، كما أشارت «بوليتيكو» (2026/3/25).

أيام صعبة على أيباك

وقالت وقالت مجلة «إيكونوميست» (2026/3/26) إن المواقف المتغيرة من إسرائيل أثرت على عمل اللوبي أيباك. وذكرت ان كلا من جون ميرشماير وستيفن وولت نشرا قبل عقدين من الزمان كتاب «جماعات الضغط الإسرائيلية والسياسة الخارجية الأمريكية»، جادلا فيه بأن تحالفا فضفاضا من جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل يمارس نفوذا كبيرا على النقاشات السياسية الأمريكية ويوجه صناع القرار أحيانا نحو مسارات، مثل دعم حرب العراق، أثبتت ضررها على أمريكا. وقد كان رد الفعل عنيفا وفوريا: فقد وصف النقاد العمل بأنه رديء وساذج بل وحتى معاد للسامية.

لكن اليوم، ومع خوض أمريكا الحرب جنبا إلى جنب مع إسرائيل ضد إيران، تتغير النظرة إلى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية، وعاد الكتاب ليتصدر قوائم الكتب الأكثر مبيعا.

حرب الإبادة في الضفة الغربية المحتلة والمواقف الدولية

نيويورك ـ الأمم المتحدة ـ «القدس العربي»:
عبد الحميد صيام

عقد مجلس الأمن الدولي جلسة دورية يوم الثلاثاء الماضي استغرقت نحو أربع ساعات حول القضية الفلسطينية ومدى التزام إسرائيل بالقرار 2334 (2016) المتعلق بوقف الاستيطان في الأرض الفلسطينية المحتلة والذي اعتمد في أواخر أيام الرئيس أوباما في البيت الأبيض بدون استخدام الفيتو. كان الموضوع الأساسي في الجلسة أحوال الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وما يتعرض له الفلسطينيون تحت الاحتلال منذ 59 سنة. وقدمت الأمم المتحدة تقريرا مفصلا حول موضوع تفاقم الاستيطان من جهة وعنف المستوطنين من جهة أخرى. بينما قدم نيكولاي ملادينوف تقريرا مفصلا عن جهود مجلس السلام ولجنة إعادة إعمار غزة ومدى التزام إسرائيل بالقرار 2803 (2025) المتعلق بخطة ترامب لوقف الحرب وإعادة الإعمار وإحلال السلام في المنطقة. والتقرير خطير جدا لأنه لم يتحدث عن الاحتلال وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها الكيان الصهيوني وحمل المسؤولية المطلقة لكل ما جرى في غزة لهجوم السابع من أكتوبر 2023.

جميع أعضاء المجلس تحدثوا عن استشراء الاستيطان وعنف المستوطنين إلا مندوبي الولايات المتحدة والكيان الصهيوني. مايك والتز، مندوب الولايات المتحدة، بعد كل ما ذكره حول أشرار حماس وعبقرية ترامب أورد جملة يتيمة حول الضفة الغربية: «لقد أعلن الرئيس ترامب أنه ضد ضم الضفة الغربية». لم يأت على ذكر الاستيطان وعنف المستوطنين وهدم البيوت والتهجير القسري، لم يذكر أن بلاده فتحت خدمات قنصلية في مستوطنتين (معاله أدوميم وإيريل) وأن سفير بلاده الصهيوني المسيحي المتطرف أكثر من نتنياهو، مايك هاكابي، أيد فكرة إقامة إسرائيل الكبرى لأن ذلك كان مذكورا في التوراة وبالتالي يصبح حقا حصريا لإسرائيل. الشيء المخجل أن خطابه مرّ من دون رد، بل وكان هناك إطراء على مواقف ترامب من كارثة غزة.

أما خطاب المستوطن برتبة سفير، داني دانون، فقد كان بالكامل يتعلق بإيران وحزب الله. ومما جاء في كلمته محرضا الدول الأعضاء ضد إيران: «يا أعضاء هذا المجلس، إن عواصمكم تقع في مرمى صواريخ إيران. لقد جربنا الدبلوماسية لسنوات، إلا أن النظام استغلها، مضللاً بذلك المجتمع الدولي بشأن نواياه النووية الحقيقية».

قبل الجلسة وقف أمام قاعة مجلس الأمن الدولي سفراء سبع دول وألقوا بيانا مشتركا قرأه سفير البحرين بالنيابة عن الدنمارك وفرنسا واليونان ولاتفيا وباكستان والصومال والمملكة المتحدة، بشأن القضية الفلسطينية أكدوا فيه رفضهم للاستيطان ومصادرة الأراضي وهدم البيوت وتشريد الأهالي، كما أدانوا عنف المستوطنين بشدة وأكدوا تمسك هذه الدول بحل الدولتين، فلسطين وإسرائيل تعيشان جنبا إلى جنب بسلام، حسب قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولي. من بين هؤلاء أثمن موقف الدنمارك وباكستان، أما الباقون، وخاصة بريطانيا وفرنسا، فهما أكبر المنافقين عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية مذكرين بقول الشاعر: «يعطيك من طرف اللسان حلاة ويروغ منك كما يروغ الثعلب».

ماذا يجري في الضفة الغربية؟

وأود أن أقدم بعض المعلومات الهامة حول الأوضاع في الضفة الغربية:

قامت سلطات التخطيط الإسرائيلية مؤخرا بإقرار خطط لبناء ما يزيد عن 6000 وحدة سكنية في الضفة الغربية المحتلة، تشمل نحو 3160 وحدة سكنية في «المنطقة (ج)»، و2850 وحدة سكنية في القدس الشرقية.

كما نشرت وزارة الإسكان الإسرائيلية عطاءات لبناء 5375 وحدة سكنية في «المنطقة (ج)»، يقع 3401 منها في منطقة (ي –1). وفي 8 شباط/فبراير، صادق مجلس الوزراء الإسرائيلي على سلسلة من التدابير الرامية إلى توسيع نطاق السلطة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، وزيادة ترسيخ السيطرة الإسرائيلية في مجالات التخطيط والإنفاذ والإدارة، بما في ذلك في أجزاء من «المنطقتين (أ) و(ب)». وتشمل هذه التدابير نقل صلاحيات بلدية الخليل– مثل تلك المتعلقة بإصدار تراخيص البناء في محيط المسجد الإبراهيمي/كهف البطاركة– إلى السلطات الإسرائيلية. كما تهدف هذه التدابير، التي يتطلب تنفيذ معظمها إصدار أوامر عسكرية، إلى إزالة العوائق التنظيمية التي تعترض عمليات حيازة الأراضي والبناء من قِبَل الإسرائيليين، وتدّعي نقل صلاحيات معينة من السلطة الفلسطينية إلى «الإدارة المدنية» الإسرائيلية.

في 15 شباط/فبراير، صادقت الحكومة الإسرائيلية على خطة لاستئناف عمليات تسجيل الأراضي في «المنطقة ج» من الضفة الغربية المحتلة، وخصصت لهذا الغرض نحو 244 مليون شيكل. كما تسارعت وتيرة عمليات هدم ومصادرة المنشآت المملوكة للفلسطينيين؛ فبحجة الافتقار إلى تراخيص البناء الصادرة عن السلطات الإسرائيلية، من المستحيل الحصول عليها، قامت السلطات الإسرائيلية بهدم أو مصادرة 429 منشأة في الضفة الغربية المحتلة، بما في ذلك القدس الشرقية، أو أجبرت أصحابها على هدمها، مما أدى إلى تهجير 575 شخصا، من بينهم 290 طفلا و150 امرأة. وقد كانت 28 من هذه المنشآت ممولة من جهات مانحة. كما استمرت أيضاً عمليات إخلاء الفلسطينيين من منازلهم في القدس الشرقية المحتلة.

وفي غضون ذلك، استمرت مستويات العنف المرتفعة في الضفة الغربية المحتلة، بما في ذلك القدس الشرقية، بوتيرة مثيرة للقلق. وبشكل عام، قُتل في الشهور الثلاثة الأخيرة في الضفة الغربية المحتلة 32 فلسطينيا، بينهم سبعة أطفال، خلال عمليات واسعة النطاق نفذتها قوات الأمن الإسرائيلية، وهجمات شنها المستوطنون، وحوادث أخرى. كما أصيب 833 فلسطينياً، بينهم 138 طفلا؛ حيث أصيب 172 منهم على يد قوات الأمن الإسرائيلية جراء استنشاق الغاز المسيل للدموع، و141 بالذخيرة الحية، و322 على يد مستوطنين إسرائيليين ومدنيين آخرين. وقد اعتقلت قوات الأمن الإسرائيلية أكثر من 1600 فلسطيني خلال مداهمات وعمليات نفذتها في الضفة الغربية المحتلة. وتُحتجز إسرائيل حالياً ما لا يقّل عن 9245 فلسطينياً، منهم 3358 قيد الاعتقال الإداري.

في الأول من شباط/فبراير، مددت القوات الإسرائيلية أمراً عسكرياً يُصنّف مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس والمناطق المحيطة بها «مناطق عسكرية مغلقة» حتى 31 آذار/مارس، حظرت بموجبه الدخول إليها بدون الحصول على تصاريح صادرة عن الجيش، ما أدى إلى استمرار تهجير نحو 33.000 من سكان هذه المخيمات، بالتزامن مع مواصلة عمليات التدمير.

وفي 26 كانون الثاني/يناير، وفي أعقاب هجمات من قِبَل مستوطنين إسرائيليين ينطلقون من أربع بؤر استيطانية محيطة، اضطر السكان المتبقون في تجمع رأس عين العوجا البدوي، والبالغ عددهم 100 نسمة، إلى مغادرة تجمعهم السكني. ويأتي هذا التطور في أعقاب التهجير القسري لـ 98 أسرة فلسطينية، تضم 485 فرداً، في يومي 8 و19 كانون الثاني/يناير.

خلال شهر رمضان المبارك، فرضت السلطات الإسرائيلية قيوداً على دخول الفلسطينيين القادمين من الضفة الغربية إلى مجمع المسجد الأقصى، حيث حدّت من عدد التصاريح الإضافية الممنوحة للمصلين الراغبين في دخول القدس لأداء صلاة الجمعة، واقتصرت السماح بالدخول على فئات عمرية وجنسانية محددة فقط. لكنها أغلقت المسجد لثلاث جمع متتالية وهي المرة الأولى التي يغلق فيها المسجد أيام الجمعة منذ حرب حزيران/يونيو 1967.

هذا غيض من فيض. ولو أردت أن أسهب في التفاصيل لقدمت عشرات الصفحات. الا يحق لنا أن نسمي ما يجري في الضفة حرب إبادة استكمالا لما قام به الكيان وما زال في قطاع غزة؟

حوار

وزير الإعلام الكويتي الأسبق سامي النصف:

إيران تفقد أوراقها باستهداف الخليج ومضيق هرمز... وتفتح الباب أمام ردّ خليجي محتمل وتصعيد شامل

حاورته: رلى موفّق

يرى وزير الإعلام الكويتي الأسبق سامي النصف أن السلوك الإيراني خرج عن كل ما هو متوقّع أو منطقي في قواعد الصراع بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى. فدول الخليج، التزمت بعدم استخدام أراضيها لأي عمل عسكري ضد إيران، ما ينفي وجود مبرّر لاستهداف منشآتها المدنية. ويُشير إلى أن طهران، بدلا من حشد الحلفاء أو تحييدهم، كما تقتضي أبجديات الحروب، اتجهت إلى توسيع دائرة الخصوم، سواء عبر استهداف دول الجوار أو من خلال خطوات كإغلاق مضيق هرمز، مما ألحق الضرر بمصالح دول كبرى ونامية على حد سواء.

يطرح النصف تساؤلات حول أهداف هذا السلوك، معتبرا أن دفع دول الخليج إلى الانخراط في الحرب يصبّ عمليا في مصلحة الولايات المتحدة وإسرائيل، لا في مصلحة إيران. كما يرفض منطق الضغط على واشنطن عبر استهداف الخليج، مشددا على أن القرار الأمريكي لا يخضع لتأثير هذه الدول، وأن الإضرار بها لا يمكن أن يقود إلى استصفافها إلى جانب طهران. ويرى أن استمرار هذا النهج قد يفضي، مع تراكم الأذى، إلى تغيير في الموقف الخليجي.

وإذ يؤكد أن مسألة القواعد الأمريكية هي قرار سيادي للدول، يقول إن طرح إيران يتسم بازدواجية، في ظل قبولها سابقا بوجود قواعد أجنبية في دول أخرى. ويعتبر أن مشروع طهران للهيمنة الإقليمية ليس جديدا، وأنه لم ينجح في زمن «الشاه» حين كانت إيران أقوى مما هي عليه اليوم.

بناء الثقة مع دول الخليج، بحسب النصف، يمرّ عبر خطوات إيرانية واضحة، في مقدّمها التخلي عن البرنامج النووي والصواريخ البالستية والتدخلات الإقليمية، لافتا إلى أن هذه الملفات لم تعد شأنا أمريكيا أو إسرائيليا فقط، بل أصبحت قضية خليجية مباشرة، ومشيرا إلى أن المعطيات العسكرية الحالية لا تمنح إيران أوراق قوة تفاوضية مؤثرة، في ظل محدودية تأثير قدراتها مقارنة بحجم المواجهة.

ويخلص إلى أن مسار الحرب يتّجه إلى أحد خيارين: إما هدنة مؤقتة تُعيد إنتاج الصراع لاحقا، أو مراجعة إيرانية لمواقفها تقود إلى تسوية أشمل، مؤكدا أن الحروب تُنتج خسائر متبادلة، فيما يفتح السلام المجال أمام معادلات أكثر استقرارا ومكاسب مشتركة. وهنا نص الحوار:

○ هل كانت دول الخليج تضع في حساباتها أن إيران قد تستهدف المنشآت المدنية في دول الجوار مع الحملة العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية من جهة وإيران من جهة أخرى؟

● لا قطعا. ولكن يمكن توقّع كل شيء من إيران، وخاصة الأمور غير المعقولة، فالذي يحدث لا مثيل له في التاريخ. المعروف أن هناك إشكالا بين إيران والولايات المتحدة في ما يخص الملف النووي، ومع إسرائيل تقصف وتتزوّد بالوقود وتعود أدراجها بكل يسر وسهولة، لذا لم يكن هناك مبرر واحد للعدوان الإيراني على دول الخليج. وعلى سبيل المثال، هل يحق للرئيس السوري مثلا أن يقول إن أي تعد إسرائيلي على المنشآت الحيوية السورية سيُقابل بإطلاق الصواريخ على لبنان أو الضفة أو الأردن؟

لا أحد يستطيع أن يفهم التصرُّف الإيراني، فضلا عن أن أول مبادئ الحرب تقتضي منك أن تقوم بعدة أمور، في مقدمها أن تحشد حولك الأصدقاء والأشقاء والحلفاء وحتى الوسطاء، لا أن تكتسب عداءهم. وهذا عكس ما قامت به إيران، ثمَّ ألحقت ذلك بإغلاق مضيق هرمز الذي أكسبها عداء دول العالم سواء أكانت إسلامية أم من دول العالم الثالث، أم من الدول التي تنافس الولايات المتحدة صناعيا كالصين وكوريا الجنوبية واليابان لأنهم هم مَن تضرروا بالدرجة الأولى. بالمقابل، المستفيد الأول مما قامت به إيران هي الولايات المتحدة المعروفة بثرائها وغناها والتي لديها شركات نفطية وشركات تتعاطى تصنيع الأسلحة فضلا عن شركات تصنيع المواد الغذائية والأدوية والأمن السيبراني؛ فهل يُعقل أن القيادة الإيرانية لا تعلم أن أعمالها تضرّ بالحلفاء وتُفيد الأعداء؟! وهل من الحكمة أن تقوم بما قامت به باتجاه 5 دول عربية مسلمة تضم مواطنين من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة؟ ماذا نتج عن تدخلها في غزة؟ لقد سُوِّيت غزة بالأرض إضافة إلى مليوني لاجئ. والشيء نفسه يحدث الآن بعدما شجعت «حزب الله» على إطلاق صواريخه على إسرائيل فانتهى الأمر بمليون نازح من بيوتهم، والحال كذلك في العراق، وفي سوريا سابقا.

○ على الرغم من إعلان إيران أكثر من مرة، وعلى لسان مسؤوليها، أنها ستستهدف القواعد الأمريكية في الخليج إذا استُهدفت الأراضي الإيرانية، إلا أن ما نراه هو استهداف لمنشآت مدنية خليجية، هل كان هذا التصوُّر موجود لدى دوائر القرار الخليجية؟

● لا أستطيع الإجابة بالنيابة عن ست دول خليجية، إلا أن إيران دائما يُتوقع منها غير المتوقع. وأيضا هذه الحجج ساقطة لأن القواعد الأمريكية تخضع للقرار السيادي لهذه الدول. ومن ناحية أخرى الدول الخليجية الست ليس لها حدود مع إيران، بينما لإيران حدود مع تركيا التي فيها قاعدة أنجرليك التي تُعدُّ من أكبر القواعد الأمريكية في المنطقة، ولدى الدول التي لها حدود مشتركة مع إيران من دول آسيا الوسطى العديد من القواعد الأمريكية، فإذا كانت القضية هي رفضها للقواعد الأمريكية فمن الأولى بها أن توجّه صواريخها وأذاها ومسيّراتها إلى تلك الدول.

○ إذا إلى ماذا تهدف إيران من وراء تصرفاتها؟

● هذا سؤال المليون دولار! وهذه قضية يصعب فهمها، لأن الدول التي ذكرناها لا تملك العلاقات التي كانت دول الخليج تملكها مع إيران، فنحن أول مَن توسَّط، ونحن الداعم الأول لإيران في كثير من الأمور السياسية. والنقطة التي تثير التساؤل هي: لماذا تبذل إيران كل جهودها لإدخال دول الخليج بالحرب، والذي من المفروض أن يكون هدف أمريكي-إسرائيلي؟

لا شك أن أمريكا وإسرائيل ستُسعدان إذا قامت 6 دول خليجية بفتح موانئها ومطاراتها وأعلنت دخول الحرب إلى جانبهما. لدينا في دول الخليج الست ما يقارب 600 طائرة من أحدث الطائرات، أي لدينا قوة تدميرية ضخمة، وبالتالي كيف لنا أن نفهم دفع المسؤولين الإيرانيين الدول الخليجية لدخول الحرب مع العلم أن أجواءهم باتت مفتوحة؟

○ يريدون الضغط على الولايات المتحدة من خلال استهداف دول الخليج لتضغط بدورها لوقف الحرب؟

● هناك مسار غير معقول. هذا المنطق الذي تسوِّقه إيران وهو: إذا ضُربنا فسنضرب دول الخليج حتّى نضغط على الإدارة الأمريكية وعلى الرئيس ترامب لوقف الحرب. هذا منطق مجنون وغير معقول وغير واقعي، لأنه من المعروف عن الرئيس ترامب تفرّده بالقرارات التي يتخذها، وأن دولا بحجم الاتحاد الأوروبي، الذي عدد سكانه 470 مليونا، ودوله بنفس الحلف مع أمريكا وخاضت حروبا عالمية بالتحالف معها لا تستطيع هذه الدول التأثير على القيادة الأمريكية، والحال نفسه مع اليابان وكوريا الجنوبية وهم جميعا أكبر بكثير من دول الخليج! فمن أين أتت هذه الفكرة المجنونة التي مفادها أن الرئيس ترامب سيوقف حربه ضد إيران بمجرد أن تطلب منه دول الخليج عبر اتصال هاتفي؟! كل الأعذار التي تُقدّمها إيران لتبرير أعمالها العدوانية على دول الخليج غير مفهومة ولا يقبلها العقل ولا المنطق، وهي في النهاية لا تخدم إيران التي مصالحها تقتضي أن تظل علاقاتها حميمة مع الجيران.

فمن أين أتت فكرة أن الدول الخليجية قادرة على الضغط على القيادة الأمريكية، وأن تدمير المنشآت الحيوية للدول الخليجية سيدفع بهذه الدول للوقوف بصفك؟ هذا المنطق صعب، أنا أضرّك وأتوقع مقابل هذا الضرر أن تصطف إلى جانبي، هذا أمر غير معقول، فضلا عن أن ما تقوم به إيران سيدفع بالدول الخليجية في وقت ما، بقصر أو بطول، إلى الدخول بالحرب، فلو سُتّسعد إيران برؤية مئات الطائرات الخليجية وهي تقصف المنشآت الإيرانية؟

○ تقصد أن هذا التصرُّف الإيراني سيقود إلى انخراط دول الخليج في الحرب؟

● هذا القرار يعتمد بالمطلق على كمّ الأذى الذي ستتعرَّض له دول الخليج، فإذا كانت مقتصرة على المسيَّرات وبضعة صواريخ، فإن الحكمة الخليجية قطعا هي الأكثر بعدا عن الانفعال، وردّة فعلها لا تقتصر على قرار يتخذه مسؤول أو قيادي، كما حدث في عامي 90 ـ 91 عندما قرَّر صدام حسين اجتياح الكويت. الدول الخليجية لا تتعاطى مع الأمور بهذه الطريقة. ومن العجائب التي نراها، أن أمريكا غير متضررة من الحرب، بل بالعكس هي مستفيدة من ارتفاع أسعار البترول والدولار... إلخ، وإيران هي التي تُقصف ولا قدرة لديها على الإطلاق للقيام بالدفاعات الجوية، ومع ذلك نسمع من الولايات المتحدة رغبتها بوقف إطلاق النار وباللقاء في باكستان مع الإيرانيين، ونسمع العكس تماما من القيادة الإيرانية بأنها ترفض وقف إطلاق النار وتريد إطالة أمد الحرب حتّى ولو لم يبقَ حجر على حجر في إيران، تماما كحال حماس مع الرهائن الإسرائيليين، أبقتهم إلى أن تدمَّرت غزة ومن ثمَّ أطلقت سراحهم. ألم يكن من الأولى أن يُطلقوا سراحهم من البداية؟ والحال نفسه في العام 91 مع صدام، كانت قواته تُضرب بشدة ويُطلب منه الانسحاب من الكويت مقابل وقف الحرب ضده، لكنه رفض الانسحاب إلى أن دُمِّر جيشه بالكامل، وبعدها وليس قبلها انسحب. واليوم نرى السياق نفسه مع إيران التي تريد الاستمرار بالحرب، لكن إلى متى؟ إلى أنّ لا يبقى شيء في إيران!

○ المراقبون يرون أن إيران هدفها تسيُّد المنطقة تحت شعار حماية الأمن الإقليمي، وبالتالي قد يكون هدفها هو إقناع دول الخليج بأن وجود القواعد الأمريكية أدى إلى الحالة الراهنة؟

● هذا ما حلم به الشاه، وكانت إيران يومها أقوى بكثير من النظام الحالي، وكان نظامها ملكيا قريبا من الأنظمة الخليجية، ومع ذلك لم ينجح بهذا الأمر. والأمر الآخر المتعلق بالقواعد الأمريكية، هذا قرار سيادي وموجود في بريطانيا وألمانيا وإسبانيا واليونان وتركيا واليابان وكوريا الجنوبية رغم أن هذه دول ذات كثافة سكانية عالية، ولا خطر حقيقيا عليها. ثمَّ إن إيران كانت الداعم الأول لإقامة قواعد روسية برية وبحرية في سوريا عندما كان لديها النفوذ الأكبر هناك، إذا هي قابلة للمبدأ طالما هي ارتضت بوجود قواعد أجنبية على الأرض المسلمة أو العربية، وبالتالي لا تستطيع أن تقوم بمعايير مزدوجة عبر الطلب من دول الخليج أن تُخلي تلك القواعد، هذا منطق غير مفهوم للقيادة الإيرانية.

لو كانت إيران تمدّ يد الصداقة والعلاقات الاقتصادية والأبواب المفتوحة، لكان بإمكانها أن تقول للدول الخليجية: ما هي حاجتكم لهذه القواعد؟ فنحن والعراق أصدقاء لكم وبالتالي نستطيع أن نؤمّن الأمن الإقليمي، ولكن هذا الأمر لا يتأتى إلا بإظهار إيران حسن نواياها، فهي منذ 47 سنة لا تُظهر أي حسن نوايا تجاه دول الخليج. كذلك قرار السيادة يجب أن يُفتح بالاتجاهين، على دول الخليج أن تجلس مع الإيرانيين وتسألهم: لماذا تريدون الخيار النووي والصواريخ البالستية؟ وما مبرّر تدخلكم بشؤون الدول العربية الذي أدى في النهاية إلى دمارها؟ ولماذا تقدمون بكوريا الشمالية بدل الاقتداء بكوريا الجنوبية؟ كوريا الشمالية هي دولة لديها سلاح نووي، ومعدل دخل الفرد فيها 600 دولار وهي من أفقر الدول، ولديها أكبر عدد من السجناء السياسيين في العالم، بينما كوريا الجنوبية، التي عدد سكانها ضعف عدد سكان كوريا الشمالية، معدَّل دخلها 3.3 تريليون دولار ومعدل دخل الفرد فيها 65 ألف دولار، فلماذا لا تقتدي إيران بكوريا الجنوبية بدلا من الاقتداء بالنظام الجمهوري الوراثي الذي بدأ بكوريا الشمالية والآن يتمدّد صوب إيران؟

○ برأيك هل دول مجلس التعاون الخليجي على قلب رجل واحد؟

● نعم الأمر كذلك. لقد جربنا ذلك أكثر من مرة. جربناه في الـ90 ـ 91، وانتهى احتلال الكويت خلال 6 أشهر. لو تكاتفت جامعة الدول العربية في العام 48 كما تكاتفت دول الخليج في الملمات، أعتقد أن المشكلة الفلسطينية كانت انتهت بشكل أفضل منذ الأيام الأولى. هذه واحدة؛ أما الأمر الثاني، الذي قد لا يعلمه الكثيرون، أنه لغاية الآن لم يُعلن عن حجم التعاون الخليجي القائم بسبب إغلاق مضيق هرمز الذي حاولت إيران مرارا إغلاقه لكنها لم تُطلق، فهذه مياه دولية بمعنى أن 200 دولة في العالم لها حق المرور به دون استئذان إيران لأنه لا يقع ضمن أراضيها كقناة السويس أو قناة بنما، ولا ضمن المياه الإقليمية لإيران، لأن المياه الإقليمية تمتد لـ12 ميلا وهذه طهران أساسا 197 كلم وعرضها في بعض المناطق 93 كلم، وهذا يعني أنها مياه دولية. سمعنا كلاما عاقلا جدا من رئيس الجمهورية الإيرانية إلا أنه أرغم على سحب كلامه، وهذا يعني أن القرار الإيراني مختطف. الآن إيران في قطار ذاهب إلى الهاوية، وهناك أمر مُحيِّر، وهو أن إسرائيل هاجمت إيران مرتين، ونحن لم نهاجم إيران قط، ومع ذلك أقل من 15 بالمائة من الصواريخ وُجهت باتجاه إسرائيل، و85 بالمائة وُجهت باتجاه الدول الخليجية. أمر محيِّر جدا.

7 أكتوبر 2023 (طوفان الأقصى) كان بإيعاز من إيران لوقف محادثات السلام التي كانت السعودية قد دخلتها. خلال سنتين استُشهد وجرح مئات الآلاف من الفلسطينيين، وهُدمت البيوت، ومع ذلك لم نشهد إطلاق صواريخ إيرانية على إسرائيل التي هاجمتها مرّتين.

○ ماذا تريد إيران وبماذا تُفكّر، وبالتالي كيف يمكن إعادة بناء ثقة دول الخليج بها؟

● عملية بناء الثقة يجب أن تنطلق من إيران عبر بوادر حقيقية، أولها أن تستغني عن ملفها النووي، لأننا متيقنون من أنه لو حازت إيران السلاح النووي فلن تستخدمه ضد إسرائيل وأمريكا، لأن لديهما من المخزون النووي ما يمحو إيران من على الخارطة، ولو حازت في يوم من الأيام سلاحا نوويا فالمتضرر الأول سيكون شعبها، كما تضرَّر الشعب الكوري الشمالي من حيازة بلاده للسلاح النووي، مما منع أي حركة إصلاح في الداخل الكوري، لأنه لن يجرؤ أحد على تحدّي سلطة تملك أسلحة نووية. عدة دول بينها نزاعات وتمتلك سلاحا نوويا منذ 1945 لكنها لم تستخدمه ولم تهدّد به خصومها وعلى رأسها أمريكا وروسيا. وبالتالي فإن الملفَّين اللذين كانا، قبل الحرب، مقتصرين على أمريكا في ما يتعلق الملف النووي، والصواريخ البالستية المتعلق بإسرائيل، أصبحت الآن دول الخليج معنية بهما وبالملف الثالث المتعلق بالأذرع الإيرانية. هذا الانفتاح الإيراني نريده أن يبدأ أولا بالانفتاح على الشعب الإيراني البائس على الرغم من أن قدرات إيران تضعها في في العالم لها حق المرور به دون استئذان إيران أنا أذكر أن الشاه، قبل سقوطه، كان يحلم بأن يرى عموديين لآسيا، اليابان في شرقها وإيران في غربها.

○ هناك مَن يتخوَّف من أن تذهب واشنطن إلى تسوية مع طهران على حساب حلفائها؟ أي أن لا تكون دوائر القرار الخليجي جزءا من المفاوضات ولا سيما أن الرئيس أوباما لم يُطلع يومها دول الخليج على حيثيات اتفاقه مع إيران؟

● لا نرجو ذلك ولا نعتقد أنه سيحدث. لقد اختبرنا نوعا من هذا الكلام إبان وجود صدام الذي حاول أن يصل إلى تفاهمات على حساب دول الخليج، لكن محاولاته باءت بالفشل. ثمَّ أننا في الخليج لا ندَّعي أن لدينا السلطة السيادية على القرار الأمريكي الذي تعود مسؤوليته للقيادة الأمريكية، إنما المؤكد أن هناك تواصلا دائما وحميما بين الولايات المتحدة والدول الخليجية، وهذا أمر من المفروض أن تفهمه إيران. أما الأمر الثاني، فحتى في العام 2015 تمَّ تقييد المشروع النووي الإيراني، وربما تأجيله، وبالتالي صبَّ هذا الأمر لمصلحتنا، لأننا بالفعل المتضرر الأول من حيازة إيران للسلاح النووي. نحن نعتقد أن أمريكا حليف استراتيجي لنا جرَّبناه عام 90 ـ 91 ولولاه لكانت هناك إشكالية عربية أخرى مزمنة، أقصد احتلال الكويت. الكثير من المطالب التي تُعلن من الجانب الأمريكي تتوافق مع مطالبنا. الأمريكان يتكلمون عن السلاح النووي، وهذا ملف يهمنا، ونعتقد قطعا أن أمريكا، بعد هذه الحرب، لن تتنازل أو تتساهل لا بهذا الملف ولا بملف الصواريخ البالستية والأذرع الإيرانية وستوضع هذه الملفات على طاولة البحث. إيران أنفقت موادرها المالية القليلة على الحوثيين و«حزب الله» و«حماس» والحشد الشعبي وحرمت شعبها منها. في النهاية لنا مصلحة في أن تدرك إيران أن هناك فارقا شاسعا لا يُستهان به من ناحية القوة. هذا الأمر لم ينظر إليه صدام حسين ولا حماس قدمّرا العراق وغزة، والآن على إيران أن تعود إلى لغة العقل والحكمة والمنطق، وأن تعرف أنها من أضعف الدول وتقاتل أقوى دولة في العالم، فهل لديها أمل، مثلا، بأن تستسلم الولايات المتحدة؟ وإذا بقيت طهران على تشددها فستخرج من حرب لتدخل حربا جديدة بعد أشهر أو سنوات. وأقولها بصراحة: ما يجري عبارة عن حرب إبادة، لأن الحرب تكون بين قوتين متكافئتين، والذي يُضرب بلا رد بأن يردَّ الضربة لَمن قام بضربه يقوم بالرد باتجاه طرف ثالث، هذه قضية غير مسبوقة في التاريخ!

○ هل ما زالت إيران تمتلك أوراق قوة تستطيع من خلالها أن تفرض شروطها على طاولة المفاوضات؟

● بالتأكيد لا. المواجهات العسكرية أثبتت أن إيران لا تملك قدرات متميزة، وصواريخها لم تعط النتائج المرجوة بل إن الدول الخليجية أثبتت كفاءة عالية بالتصدي لها، ولم تقم بشيء يرجّح كفَّتها عدا تعدّيها على الأصدقاء والحلفاء والإضرار بشعوب يصل تعدادها إلى نحو ثمانية مليارات نسمة، ابتداء من الصين وليس انتهاء بالهند وكوريا واليابان. فالأوراق التي في يد إيران عديمة الفائدة، وهي إلى الآن لم تُسقط طائرة واحدة أو تأسر طيارا، ناهيك عمّا تواجهه من تململ الداخل الإيراني.

○ وأي نهاية تتوقعها لهذه الحرب؟

● هناك سيناريوهان لا ثالث لهما، الأول أن نعود إلى ما كان عليه الوضع إذا تمسَّكت طهران بمطالبها وأصرَّت على منع المفتشين الدوليين من أن يصلوا إلى مواقعها النووية، أي مجرد وقف لإطلاق النار وهدنة وننتظر بعد أشهر أو سنة أو سنتين ونعود إلى الحرب مرة أخرى. أما السيناريو الآخر وهو الأفضل لإيران ولمنطقة الشرق الأوسط أن تُخفّف من الغلو بمطالبها وتدرك فارق القوة.

كلنا نتذكر رغبة الأمير محمّد بن سلمان بأن يتحوَّل الشرق الأوسط إلى أوروبا جديدة. الأوروبيون كانت بينهم حروب أشرس من الحروب القائمة في منطقة الشرق الأوسط ومع ذلك توصلوا إلى حلول من خلال الابتعاد عن فرض الآراء والتدخل بشؤون الآخرين، وعدم أخذ الحرب كوسيلة لحل النزاعات. الحرب تُنتج معادلة خسارة-خسارة، والسلام يُنتج معادلة ربح-ربح. وعلينا الا ننسى البُعد الاقتصادي للحروب، فالدولار اليوم أقوى من السابق ويساوي أكثر من مليون ونصف مليون ريال إيراني، إضافة إلى أن أمريكا أغنى دولة في العالم. فإذا وعت إيران هذه الحقائق البديهية أعتقد أنها ستتخلى عن برنامجها النووي وعن صواريخها البالستية طويلة المدى.

○ التصوُّر المثالي الذي تطرحه قد لا تكون إيران قريبة منه أو تفكّر فيه، لأنه ينافي تماما مبدأ تصدير الثورة الذي تنتهجه والذي حوَّل المنطقة كلها إلى قنابل موقوتة؟

● منطق الأمور يقول إن هذه السياسة الإيرانية المتعنتة منذ العام 79 هي التي تسببت بحرب صدام على إيران في 80 ـ 82 ثمَّ هي أكملت الحرب بعد الـ82 لغاية 88. وفي النهاية تجرَّع الخميني السُّم وقبل ما لم يقبل به قبل ذلك، فلو أوقفوا الحرب في العام 82 لجاز لهم الانتصار وطلب التعويضات. الآن إيران إذا استمرت بهذا المسار ما الذي ستستفيده؟ هي محاصرة منذ العام 79 عندما احتجزوا أعضاء السفارة الأمريكية وهناك قرارات أممية ضدها ما جعل الشعب الإيراني من أفقر الشعوب، ناهيك عن الدمار الذي لحق ببعض دول الشرق الأوسط جراء تدخلاتها فيها.

○ قد يكون الهدف هو إعادة دول الخليج، التي حققت نهضة قياسية، عشرات السنين إلى الوراء كما هو حال إيران؟

● هذا تحليل منطقي، فكل الأنظمة التي دمَّرت دولها كسوريا والعراق وإيران بدلا من أن تستفيد من تجارب الدول الناجحة تسعى إلى هدم البلدان التي تحقق قفزات نوعية. إيران تتصرف بهذا المنطق الأعوج بمعنى أنه عليها أن تدمّر منجزات الشعوب الخليجية وقياداتها الحكيمة التي عرفت كيف تستثمر ثرواتها النفطية.

○ وكيف لدول الخليج أن تحمي نفسها مستقبلا؟

● عن طريق خلق «ناتو» خليجي على غرار «الناتو» الأوروبي، أي بالتحوُّل إلى «الشعب المقاتل»، نظرا لأن لا كثافة سكانية في دول الخليج، وهذا ما تأخذ به سنغافورة وإسرائيل والسويد وحتى سويسرا نفسها تأخذ بهذه المنهجية، أي العمل على تدريب الشعب بأكمله. الأوروبيون توحدوا عسكريا في إطار «الناتو»، ومن ثمَّ توحدوا اقتصاديا من خلال السوق الأوروبية المشتركة ثمَّ الوحدة السياسية لاحقا. أعتقد أن على الدول الخليجية أن تتوحد عسكريا وبعد ذلك تسعى إلى مزيد من التقارب الاقتصادي، ومن ثمَّ خلق نوع جديد من الوحدة بين الدول الخليجية قد لا تكون اندماجية بالضرورة، إنما قد تكون كونفدرالية قريبة مما يطبَّق في دولة الإمارات.

حريات

أمهات فلسطينيات في «قلب الجحيم»

رام الله ـ «القدس العربي»:

سعيد أبو معلا

ما زال صوت هناء البيدق، الأسيرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي في الميدان، تظهر في ساعات المساء في مدينة رام الله، حاملة طُنجرة كبيرة وتدق عليها مطالبة بوقف الإبادة على قطاع غزة.

كانت مشاركتها الشعبية المطالبة بوقف الإبادة على غزة سببا مباشرا في أن يقتحم جنود الاحتلال منزلها في تمام الساعة 12:30 من يوم 9/7/2025، لقد تم تفتيش البيت بشكل كامل وتخريب كامل محتوياته ومصادرة جميع أجهزة الكمبيوتر والموبايل الخاصة بالعائلة بحسب تصريحات زوجها بشار الطويل.

يقول الطويل في حديث لـ«القدس العربي» لقد اقتحم الجنود المنزل بأعداد كبير جدا، «كانوا أكثر من ثلاثين جنديا معهم عدد من المجندات، اعتقلوا زوجتي هناء، وهي حاليا تمكث في سجن الدامون المخصص للنساء الفلسطينيات».

وحول التهم التي وجهت لها يشدد قائلا: «الاحتلال يعتبر أي شخص ينزل مجرد بوست على فيسبوك أو يشارك في وقفة احتجاجية أو مسيرة جماهيرية بمثابة عمل ضد دولة إسرائيل وسيتم اعتقاله ومحاكمته».

وحول ظروف اعتقال زوجته قال: «كانت وما زالت صعبة جدا، لقد خضعت لتحقيق قاسي جدا في تحقيق الجلمة ولمدة شهرين من دون معرفة أي معلومة عنها أو حتى زيارة محامي لها، ومن ثم تم السماح بلمحامي بالزيارة وتم لاحقا نقلها إلى سجن الدامون».

ويتابع حديثه: «اعتقال زوجتي ترك أثرا كبيرا جدا على الأطفال وعلي كزوج، غياب الأم من البيت شيء غير محتمل، الأبناء بحاجة كبيرة للأم في البيت، الأم هي عمود البيت قولا وفعلا».

ويضيف: «من بداية شهر رمضان لا يوجد أي تواصل مع زوجتي ولا يسمح في ظل الحرب الحالية بالزيارات للأسرى نهائيًا، أما بخصوص ظروف الاعتقال في سجن الدامون حسب ما نقلها المحامون فهي سيئة للغاية، ما زال القمع اليومي مستمرا، والطعام قليل جدا، أما الفورة (الخروج من الزنازين) فهي نصف ساعة فقط، هذا كان سابقا أما اليوم فهي ممنوعة في ظل الوضع الحالي حيث تقيم الأسيرات 24 ساعة داخل الغرف، ولا يوجد أي من أدوات ومواد النظافة العامة، كما أن الأغطية قليلة...الخ».

وحول عائلته إلى جانب زوجته يقول: «عندي أربعة أبناء ذكور أكبرهم 19 سنة، والثاني 17 سنة، والثالث 14 سنة، أما أصغرهم فعمره 10 سنوات».

وحول علاقة الأبناء بأمهم الأسيرة يضيف: «جميع أبنائي متعلقون بشكل كبير بأمهم وخاصة أنها من كان يساعدهم بشكل أساسي في دراستهم وأمور حياتهم اليومية، وعليها العبء الأكبر من مساعدتهم في نشاطاتهم الرياضية والثقافية والترفيهية، هناك فجوة كبيرة حاليا في حياة الأولاد اليومية في ظل غيابها قسريا عن البيت».

وحول سؤال كيف مر يوم الأم على العائلة استدرك الأب بشار الطويل: «قبل الحديث عن يوم الأم علينا التوقف حول كيف مر شهر رمضان على العائلة، وكذلك كيف مر يوم العيد، في شهر رمضان غياب الأم عن مائدة الإفطار كان له أثر نفسي كبير على العائلة، صدقا لا تكتمل فرحة الصائم بالإفطار بدون وجود الأم على مائدة الإفطار وخاصة أننا نعلم أن الأسير لا يملك ما يسد جوعه هذا إن تم تبليغهم بموعد الإفطار أصلا، ويضاف إلى ذلك كافة جوانب التعذيب والممارس بحق الأسيرات والأسرى».

وفي العيد، يعيد الطويل طرح سؤال: «كيف ستفرح العائلة بيوم العيد والأم غير موجودة؟ من يقول للأطفال كل عام وأنتم بخير، وما قيمة العيد والأم والزوجة غير موجودة؟».

ويتابع: «لاحقا جاء يوم الأم بمرارة وشوق، هنا أقول أنا وأطفالي كل عام وانت حرة بيننا يا أمي.. تبدو الكلمات بسيطة لكنها كلمات تقال بمرارة وشوق للحرية إن شاء الله».

وحول رسالة الأب الطويل وأطفاله الأربعة يقول إن الكل الفلسطيني والعالمي مطالب بالتحرك لإنقاذ الأسيرات من سجون الاحتلال وخاصة في ظل الواقع المرير للأسيرات في السجون الإسرائيلية.

ويناشد الطويل الصليب الأحمر الدولي بالقيام بدوره تجاه الأسرى الفلسطينيين وخاصة إعادة تفعيل زيارة الأهالي وتحسين الظروف المعيشية داخل السجون.

وختم قائلا: «أقول لهذا العالم الظالم الذي يتغنى بحقوق الإنسان ويكيل بمكيالين، لا يوجد حقوق إنسان فلسطيني، أما إذا تمت الإساءة إلى حيوان في أوروبا سيتم توجيه أنظار العالم إليه مباشرة وعقد قمة في الأمم المتحدة بهذا الخصوص».

اعتقال 39 أما فلسطينية

وكشف نادي الأسير الفلسطيني في بيان له، قبل أيام أن إسرائيل تواصل اعتقال 39 أمًا فلسطينية في سجونها، في ظل حرب مستمرة تستهدف الأسرى والأسيرات، مطالبا بالإفراج الفوري عن الأسيرات ووقف الانتهاكات المستمرة بحقهن.

وأوضح النادي، وهو منظمة غير حكومية، بمناسبة يوم الأم (الموافق يوم 21 آذار/مارس من كل سنة) أن من ضمن هؤلاء الأمهات صحافيات ومعلمات ومحاميات وطبيبات وأكاديميات وربات بيوت. كما أن الأسيرات الأمهات يمثّلن جزءًا من بنية اجتماعية تعرّضت لاستهداف مركّب، إذ تضمّ هذه الفئة أمّهات لشهداء وأسرى، وزوجات لأسرى ومحرّرين، وشقيقات لشهداء وأسرى.

وتتعرض الأسيرات للتعذيب والتجويع والحرمان من العلاج والعزل الانفرادي، إلى جانب سياسات القمع والتنكيل المنهجية، وفق نادي الأسير الفلسطيني.

وتظهر الأحكام الصادرة بحق الأسيرات الفلسطينيات الأمهات أن غالبيتهن محتجزات إداريا أو على خلفية ما يدّعيه الاحتلال بالتحريض عبر مواقع التواصل، في إطار سياسة تستهدف الفضاء الرقمي كامتداد إضافية للقمع.

وبحسب تقرير صادر عن مؤسسات الأسرى الفلسطينية كشف أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تحتجز أكثر من 9350 أسيرا ومعتقلا فلسطينيا في سجونها، حتى مطلع شهر كانون الثاني/يناير 2026، في ظل تصاعد سياسات الاحتجاز بدون تُهم، وظروف اعتقال وُصفت بغير الإنسانية.

وأشار نادي الأسير إلى أن الأمهات الأسيرات يتعرضن، كما سائر الأسرى، لمنظومة من الانتهاكات تشمل التعذيب والتجويع والحرمان من العلاج والعزل الانفرادي، إلى جانب سياسات القمع والتنكيل الممنهجة وتحديدا منذ بدء حرب الإبادة على قطاع غزة في 8 أكتوبر 2023.

يأتي يوم الأمّ في واقع مرير على الشعب الفلسطيني، إذ يواصل الاحتلال الإسرائيلي اعتقاله 39 امًا فلسطينيّة في سجونه من بين 79 أسيرة، في ظلّ تصعيد ممنهج ضدّ الأسرى الفلسطينيّين عامّة.

وحسب نادي الأسير فإن الأمهات الأسيرات مغيّبات قسراً عن عائلاتهن وأطفالهن، في ظل إجراءات اعتقالية قاسية وظروف احتجاز صعبة. وأوضح النادي أنّ الأسيرات الأمهات يعانين من حرمان مضاعف يتمثّل في الفراق القسري عن أبنائهن، خاصة في المناسبات الإنسانية، ما يفاقم من معاناتهن النفسية والاجتماعية.

زهرات في قلب الجحيم

قبل فترة قصيرة صدر كتاب «زهرات في قلب الجحيم» للكاتب والمحامي حسن العبادي الذي يوثّق فيه تجربة 75 أسيرة في «الدامون».

ويظهر الكتاب بلغة أدبية وتوثيقة واقع الحياة في سجن «الدامون» حيث يكشف عن جوانب التدهور غير المسبوق في الظروف الاعتقالية التي تعيشها الأسيرات وتحديدا الأمهات مثل الاكتظاظ الشديد، وإجبار عدد من الأسيرات على النوم على الأرض في بيئة رطبة تفتقر لأدنى مقومات الحياة الإنسانية، إلى جانب سياسة التجويع، والحرمان من النظافة، والعزل، والتفتيش العاري، والتعذيب بالبرد.

واستند العبادي في كتابة إلى خمس وسبعين زيارة قانونية أجراها خلال الفترة ما بين أيار/مايو 2021 وشباط/فبراير 2024. ويرصد الكتاب ظروف اعتقال الأسيرات، والتهم والأحكام الصادرة بحقهن، وتفاصيل حياتهن اليومية، مسلطا الضوء على معاناتهن الإنسانية والنفسية والاجتماعية، ودور الزيارات القانونية في كسر العزلة وتعزيز صمودهن من خلال نقل رسائل العائلات وصور الأبناء.

وجاء في سرد عنونه بـ «الأكل مخسوف خسف» نشره على صفحته على فيسبوك ما يلي: «زرت صباح اليوم سجن الدامون في أعالي الكرمل السليب، لألتقي بالأسيرة أماني محمود رضوان النجار (مواليد 01.01.1984) من مخيّم الفوّار/ الخليل، (أوّل امرأة تعتقل من المخيم)، خرّيجة لغة إنكليزية في جامعة الخليل، معلمة بمدرسة حمد الله الخطيب الأساسية المختلطة في بلدة يطا، أم لسلسبيل، محمد، محمود، حمزة، رهف.

أوصلتها سلامات ورسائل أولادها وأختها ناريمان والأهل؛ ناريمان تعتبرها أما، مش بس أخت، وان شاء الله ينفرح بابنها عبيدة».

واكمل العبادي نصه قائلا: «انفرجت أساريرها حين خبّرتها زوجك زرع لك الياسمينة مثل ما طلبت».

اعتقلوني يوم 26.02.25، الساعة الواحدة ظهراً، استدعوني بالتليفون، حاجز زيف، كريات أربع، المسكوبية 22 يوم، الشارون ليلة، ومن ثم سجن الدامون.

أماني تعيش بغرفة 4؛ برفقة سامية جواعدة، سهام/ غزة، ولاء الحوتري، شاتيلا، إباء الأغبر، ميسون مشارقة.

«الكليشات معلّمة ع الإيدين كل الوقت، الأشنابات مسكّرة وفي الغرف حساسيّة على الجلد، بُقع كبيرة وحبّ على جسم البنات، وباء منتشر، الأكل من 4 أيام مخسوف خسف، اليوم نصّ معلقة لبنة لكل صبيّة، الفورة مقلّصة (خلالها توزيع أكل وعيادة وحمّام، بطّلعونا وبرجعونا مكبلشات، وهذا محسوب من وقت الفورة)».

طلبت إيصال سلامات ورسائل لأهالي الأسيرات فداء عساف، سيرين، وانتصار.

في الدامون 42 أسيرة، اكتظاظ بعد ما أخذوا 3 غرف (11،12،13) ودخّلوا يهوديات فيهن.

طلبت الأسيرة أماني إيصال سلاماتها لأخواتها الست وجيرانهن وأولادهن، وزوجة أخيها (ربنا يقوّمها بالسلامة)، وزوجها «تحية كبيرة لزوجي، أبو العيال، جمل ياما حمل، البعد بقرّب».

وأولادهـا؛ سوسو/ سلسبيل (طالبة جامعية، إنكليزي وفرنسي، ست البيت ووردة الدار)، محمد (جامعي، تجارة وتصميم داخلي)، محمود (طالع التوجيهي، كل القسم مكيّف على نهفاته)، حمزة (ربنا يحميه، ظليّتك تعمل صاجيّة ع الحطب ولا لا؟ خلّه يعزمك عليها)، ورهف (يتمنى اقتنعت إنّي أمها).

سلّم على حماتي وسلفاتي وسلافي وبنات حماي، الدار مفتوحة إلهم، موجودة ولا مش موجودة. وسلّم على أهلي والحبايب. والأمانة سلّم على معلمات المدرسة، والمديرة أم همام والكادر أجمعين.»

ويعكس النص المكثف من المحامي العبادي ظروف الأسر وخصوصية الأمهات الأسيرات وطبيعة علاقتهن مع بيئاتهن الاجتماعية وأقاربهن وعائلاتهن.. ويشي بالكثير من الحميمية والدفء والشوق الغزير.

سجن ومعرفة تحررية

في ذات السياق تعتبر الأسيرة المحررة براءة عوض عودة (34 عامًا) من بيت جالا، نموذجاً للأحقة قوات الاحتلال الإسرائيلي للمؤسسات الأجنبية والعاملين فيها، في إطار منع عمل هذه المؤسسات وتحديد حركتها، لكنها أيضا تكشف كيف تحول باحثة وناشطة تجربة السجن إلى وسيلة من وسائل المقاومة والصمود.

لقد أقدمت قوات الاحتلال على اعتقال الشابة عودة حيث جرى تحويلها إلى الاعتقال الإداري لمدة ثلاثة أشهر.

لقد عملت عودة على رسالة ماجستير في تخصص علم النفس المجتمعي حملت عنوان: «سياسات القمع والسيطرة ذات الطابع الجنسي في سياق فلسطين الاستعماري: الآثار النفسية–المجتمعية وسبل المواجهة والتعافي».

واستندت الباحثة إلى منهجية توثق روايات حية لأسيرات وأسرى محررين وناشطات، كاشفة كيف يُستهدف الجسد الفلسطيني كأداة للضبط السياسي. وخلصت الدراسة إلى الدعوة إلى توثيق استراتيجيات الصمود بحيث يتم تحوّيل التجارب القاسية إلى «معرفة مقاومة».

وسلّط البحث الضوء على أنماط الممارسات والسياسات ذات الطابع الجنسي التي يتعرّض لها الفلسطينيون، وبشكل خاص النساء الفلسطينيات في الحيّز العام مثل: الحواجز والمظاهرات والاحتجاجات السياسية، وكذلك داخل السجون والمعتقلات، حيث رأت الدراسة هذه الممارسات كأدوات ضبط وقمع وسيطرة تُمارسها سلطات الاستعمار الإسرائيلي، ويوثّق البحث استراتيجيات مواجهة وصمود فردية وجماعية، تقوم على مشاركة التجارب وبناء الوعي النقدي والتضامن، بما يحوّل التجربة القاسية إلى معرفة مقاومة تتحدى البنى الاستعمارية والأبوية المنتجة للقمع.

شهادات حية

وفي ذات السياق، وثق مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي شهادات حية من النساء حول تأثير إجراءات الاحتلال الإسرائيلي وانتهاكاته لحقوق الإنسان على حياتهن، من أجل حشد المناصرة الدولية وتقديم بيانات قائمة على الأدلة إلى مختلف مؤسسات الأمم المتحدة لمحاسبة إسرائيل على التزاماتها كقوة احتلال تجاه القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان.

وحول وضع الأسيرات في سجون الاحتلال وما تعرضن له من انتهاكات قال التوثيق: «بناءً على المعلومات التي جمعناها من الأسيرات، هناك انتهاك لقوانين حقوق الإنسان، واتفاقيات جنيف، وبالتالي فإن انتهاك حقوق الأسيرات يندرج ضمن إطار جرائم الحرب التي يمارسها الاحتلال بحق الأسرى».

وتم التأكيد أن المركز سعى للكشف عن أنماط وأساليب انتهاكات جديدة تعرضت لها الأسيرات ابتداءً من مرحلة الاعتقال. فعلى سبيل المثال: تلقت بعض النساء مكالمات هاتفية بعد 7 من أكتوبر من ضباط الاحتلال، وتعرضن للتهديد بالقتل، ما جعل النساء الفلسطينيات يعشن في خوف وقلق نفسي. أما فيما يتعلق بمضاعفة حالة الخوف والترهيب هو أن الاعتقالات والاقتحامات بمعظمها تكون بعد الساعة 3 فجراً، وتتم بطرق وحشية ومذلة للكرامة الإنسانية، ولكرامة النساء، ومنها على سبيل المثال نشر صورهن عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهذا النمط لم يكن موجوداً قبل السابع من أكتوبر.

أفـادت الشـهادات التـي تم جمعها أن الأسيرات يتعرضن لضرب متكرر، فهناك أسيرات تحدثن عن ضربهن وتعرضهن للإيذاء بكل الأنواع والطرق، يضاف إلى ذلك الشتم بهدف الإهانة والإذلال إضافة الى الابتزاز الجنسي عليهن الأسـيرات القـاصرات من الداخل المحتل، وتمت الإشارة في هذه الحلقة إلى أن الاحتلال الإسرائيلي يعزل أسيرات غزة عن أسيرات الضفة إذ لم يتمكن من الاختلاط معاً، وان بعض أسيرات القطاع اضطررن لترك أطفالهن بالشارع عندما تم اعتقالهن، ونتيجة للعزلة ومنع زيارة المحامين لا تتمكن العـائلات ولا المؤسسات المعنية بالأسرى وحقوق الإنسان من معرفة ظروف اعتقالهن وما يتعرضن له.

مسـؤولة الإعلام فـي نـادي الأسـير الفلسطيني أماني سراحنة أشارت إلى أن الجرائم التي نشهدها اليوم ليست بجديدة، حيث مارس الاحتلال كافة أنواع الجرائم بحق الأسرى والأسيرات على مدار عقود طويلة، حتى أصبحت نهجاً وسلوكاً دائماً، ومنها التنكيل والضرب والتفتيش العاري، مشيرة إلى أن الفارق الآن هو كثافة هذه الجرائم، وليس بشاعتها.

وأكدت على أن عمليات الاعتقال مؤخرا أصبحت تطال جميع فئات المجتمع الفلسطيني، فمن خلال عمل مؤسسات الأسرى على جمع الشهادات من أفراد عائلات أضحت ممارسات التنكيل خلال الاعتقال لا تقف عند المعتقلة فقط، بل تطال جميع أفراد الأسرة والأبناء، في حين أنه في بعض الحالات تعتقل الأسيرات كرهائن، للضغط على أحد أفراد الأسرة لتسليم نفسه لسلطات الاحتلال، موضحة أنه هناك حالات توثق اقتحام غرف النوم والاعتداء على زوجات المعتقلين. وشددت على أن الاعتقال وما يتبعه من إذلال وممارسات تحط من بالكرامة الإنسانية، تنطوي عليه أبعاد نفسية واجتماعية بعيدة المدى والتأثير.

يذكر أنه على مدار سنيّ الصراع الممتدة مع الاحتلال الإسرائيلي تعرضت أكثر من 16.000 فلسطينية (بين مسنة وقاصر) للاعتقال في سجون الاحتلال. وقد شهدت فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى (انتفاضة الحجارة) التي انطلقت عام 1987، أكبر عمليات اعتقال بحق النساء الفلسطينيات؛ إذ وصل عدد حالات الاعتقال في صفوفهن إلى نحو 3000 فلسطينية؛ أما خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) التي اندلعت عام 2000، فقد وصل عدد حالات الاعتقال بحق النساء الفلسطينيات إلى نحو 900 فلسطينية.

ومنذ عام 2009 وحتى مطلع عام 2012، تراجعت حدة الاعتقالات في صفوف الفلسطينيات، لتعود بشكل متصاعد مع انطلاقة الهبة الجماهيرية الفلسطينية نهاية عام 2015، وصولا إلى المقاومة الشعبية عند إغلاق سلطات الاحتلال الإسرائيلي بوابات المسجد الأقصى المبارك في تموز/يوليو 2017؛ ليصل عدد الأسيرات اللواتي تعرضن للاعتقال منذ بداية الهبة الجماهيرية وحتى الأول من تشرين الأول/اكتوبر 2017 إلى نحو 370 حالة اعتقال. وبلغت ذروة التصعيد في عمليات اعتقال الفلسطينيات على يد سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ اندلاع «هبة القدس» العاصمة الأبدية لفلسطين– بعد إعلان الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت دونالد ترامب في السادس من كانون الأول/ديسمبر 2017؛ واستمرت خلال عام 2018 الذي شهد ارتفاعًا في وتيرة اعتقال الفلسطينيات، وخاصة المرابطات في المسجد الأقصى، لتتواصل خلال العام 2019؛ حيث اعتقلت سلطات الاحتلال خلال ذلك العام نحو 110 فلسطينيات؛ وفي العام 2020 ارتفعت وتيرة الاعتقالات والعقوبات بحق الأسيرات الفلسطينيات؛ إذ اعتقلت سلطات الاحتلال خلاله نحو 128 من النساء، أما العام 2021 فقد شهد تصاعدا في حدة الاعتقالات إذ اعتقلت سلطات الاحتلال خلاله نحو 184 من النساء. وفي العام 2022 كانت الحصيلة 172 حالة اعتقال للنساء. وعقب الحرب الإسرائيلية على غزة والضفة الغربية التي بدأت بتاريخ 2023/10/7 شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي حملة مسعورة وغير مسبوقة من الاعتقالات لتصل الى مستويات قياسية لم تبلغه من قبل.

وتجدر الإشـارة الى وجـود مئات حالات الاعتقال لفلسطينيات من قطاع غـزة بعد 2023/10/7، ومن بين حـالات الاعتقال هذه لمسنات وطفلات إلا أنه لا توجد أية معطيات أو إحصائيات دقيقة حول أسماء المعتقلات أو تفاصيل اعتقالهن.

كتب

«أبواب» مجموعة الشاعرة السورية بسمة شيخو: مقاربة التجريدي بين التغييب والتحديد

عادل ضرغام

تشتغل الشاعرة السورية بسمة شيخو في ديوانها «أبواب» على بناء الوعي ومصادره، وتوزّع أساليب اكتسابه من خلال تقسيم يمكن القبول به على المستوى النظري للتفريق بين وعي بالذات بنفسها، ووعيها بالحياة وديدنها في تنميط حركة الإنسان. في نصوص الديوان هناك فارق يتشكل بين التعبير والمراقبة، يستدعي مساحة من الانتباه. فالشاعر– ربما على المستوى السطحي– لا يتقيّد بتجربة ذاتية قائمة على الغنائية، وإنما قائمة على الارتباط بالكون المعرفي الإنساني، حيث تبدو الشعرية أو النصوص المنجزة جزئية أو قالبا داخل شعرية ممتدة، تحاول أن تنحت وجودا متناميا.

يشعر القارئ– نتيجة لذلك– أن الجانب الذاتي الجزئي ذائب في المعرفي الكلي. فحين تتوجّه القصائد نحو موضوعات مثل (الأمل) و(الخير) و(الشر) فهذا يعني أن هناك دمجا بين ما هو ذاتي محدود، وما هو معرفي تجريدي، يحاول هذا الدمج أن يخلق تصوّرا لهذه المفاهيم، ويقدم معاينة تعتمد على التأمل والمراقبة في إنجاز الوجود الذاتي الفردي داخل سياق أكبر، في ظل تجربة حياتية منفتحة على المؤسس الإنساني جاهدة أن تضيف إليه.

النصوص الشعرية في هذه المجموعة تحاول الإمساك بالمتعالي الفني، وتكديس أشياء متفلتة لا يمكن الإمساك بها، يمكن فقط الإيمان بوجودها والالتفاف حول وجود تجريدي متخيل غير مادي. فليس هناك– على سبيل المثال والحال تلك– قدرة على الإمساك بالصمت وتنوّعه ودرجاته وتصانيفه، لكنّ النصوص تجعلنا نشعر بثقل وجوده، وتوزّع استجاباتنا بين اليقين والشك في وجوده. تتمحوّر النصوص حول نسق تأملي تجريدي في الجزء الأول «باب كبير– الحياة»، وهو نسق لا يأتي منفصلا عن وعي الذات، لكنه ينطلق منه.

هذه العمومية أو التجريدية تتحوّل في الجزء الثاني «باب أوسط ـ أنا» إلى معاينة أثر الصراع أو النزال بين الذات والواقع، وكأن النصوص ترصد أثر الانفتاح على الحياة، فنجد الذات في مقاربتها للعالم مثقلة بانفعالها داخل الوجود، ومفتشة بابتعادها عن مثاليتها التي تتهشّم لحظة الصراع الذي يفضي إلى الهزيمة. فالذات لم تعد فاعلة، بل منفعلة، بالانفتاح على الآخر، وحركتها لم تعد مستقيمة نحو الهدف، بل أصبحت مملوءة بالتحويرات والمنعاورات والفجوات التي تؤثر على عملية التوجّه إلى الأمام.

يكشف عن ذلك الفهم التبويب الخاص بالديوان، فالجزء الأول تجريدي يحاول أن يتعاظم على غنائية وتعبيرية الذات، من خلال العناية بمفاهيم تجريدية ورصدها. وفي الجزء الثاني تأتي المعاينة مشدودة إلى الذات وتجاربها، فتصبح النصوص مساحة لصراع جانبين، كل واحد منهما يحاول أن يطغى على الآخر في إسدال منطلقاته وقناعاته. أما في الجزء الأخير «باب صغير– قلبي» فإن نصوصه تأتي متساوقة ومتجاوبة في البنية والرؤية مع نصوص الجزء الثاني، وكأن التغييرات التي تلحق بالذات، تمارس التأثير ذاته على الجزء الفاعل منها، فالتغيرات ليست بعيدة عن متغيرات الذات.

نصوص الديوان تمثل مساحة للإمساك بالوعي والمعرفة الإنسانية، وسبيلا لتشكيل الإدراك الذي يبدأ من القلب وتجاربه، وينمو مع الذات في انفتاحها على العالم والوجود، وكأن الارتباط بالحياة والوعي بها، يأتي من هذه السبل العديدة، وهي سبل لا يمكن الفصل بينها إلا بشيء من التجوّز. فالتجارب والجزئيات متداخلة، ومساحات الانغماس بالحياة– وكذلك مساحات القلب والذات– تتبادل المواقع والتأثير في نصوص الديوان وأقسامه الثلاثة.

الذات والانفتاح على التجريدي

مقاربة المفاهيم التجريدية في هذا الديوان تستند إلى التصفية والتفرّد في الرصد والمعاينة الفنية، ولكن هذه المقاربة لا تنجو من المؤسس السابق في إطاره الواسع، وإن حاولت أن تستند إلى رؤية ذاتية تبعدها عن الانزواء في شرك السابق. فحين تقارب قيمة الأمل الإنساني، تقاربه بوصفه منطلقا إنسانيا أثيرا في الشعر العربي خاصة لدى شعراء الرومانسية، مثل علي محمود طه، واستمر ذلك الحضور لدى نازك الملائكة من شعراء التفعيلة. ونصوص الديوان لا تبعد كثيرا عن الخطوط الفنية المؤسسة مثل خضرة الأمل، وقيمته وعلاقته بالانتظار، بوصفه أداة للاستمرار وللحلم وللقدرة على معاينة الوجود والصراع معه.

الأمل في نصوص الديوان– وفي النصوص السابقة– وجود أبدي، يتولّد ويتشكّل تدريجيا، سواء بالتحقق أو بالانتقال إلى أمل متخيل جديد، أو بالاستعصاء، واستمرار الملاحقة في انتظار المجيء، وتكمن قيمته في استمراره بعيدا عن التحقق. الأمل في النص الذي جاء بالمسمّى ذاته له قدرة على إسدال التعلّق والارتباط المستمر. فحين تقول الشاعرة: «يغنّي/ فيبدّد صمت العالم/ يمدّ ذراعه/ ويراقص الفرح/ له ابتسامة عريضة/ تحضن الحزن/ وذراعان قويّتان/ تعانقان الحياة/ ما إن تقترب حتى يتلاشى/ وتذوب جدران بيته» نشعر أن النص يستقوي بالأمل على الحياة، فخضرته في انتظار تحققه يراح للاستمرار وللنسج والتشكيل في ملامحه بشكل متوال مستمرّ.

وتنبع قيمة المقاربة الشعرية في تشكلها من إسدال الفكرة في نسق تصويري جديد، لا يخضع للمألوف، فالنص مهموم بعقد ارتباطات تصويرية جديدة، تبني من خلالها مقترحاتها الدلالية. ففي نصّ «صغير» يتحوّل إدراك (الليل) و(النهار) إلى منحى صوتي يسدل خصوصية في رصد الأشياء والارتباط بها، فصغير الليل والنهار يشير إلى تأسيس ارتباط جديد في بناء منظومة الصور المرتبطة بهما، لأن كل صغير له تأثير خاص في قيمته الدلالية، فالنهار أو الصباح في ظل الصفات المسدلة عليهما، يأتيان بداية للرحلة اليومية، بوصفها لحظة ميلاد وبداية للسعي.

أما في قصائد الجزء الثاني هناك اتكاء على ضمير المتكلم في النصوص، فهو الخيط الذي يلضم المعاني والدلالات، وهذا يجعل نصوص هذا الجزء منفتحة على صراع الذات والعالم أو الوجود. وفي هذا الصراع لا يمكن رصد الذات والعالم إلا في لحظة اشتباك أو نزال، أو في لحظة تورّط، أو تدنيس كاشف عن ارتباط الذات بالعالم. فحركة الذات في هذه النصوص ليست حركة أحادية المنزع أو مستقيمة، أو مكتفية بذاتها مسيّجة بانعزالها، بل تتجلّى بوصفها وجودا منفتحا على العالم متصارعا مع ذوات أخرى، حتى لو كان الرصد أو المعاينة واقعَين عند حدود الذات.

الذات في هذه النصوص– نصوص الجزء الثاني – تصوّر وجودها القلق في العالم، وطبيعته الهشّة التي تصنع عوالم خاصة خافتة واقعيا، وشديدة القلق والحركة داخليا، وتفور ذاتيا من الثبات. فالهدوء الذي تحاول خلقه وتثبيته في النصوص يواري هزائم وتطلعات مكبوتة وآمالا مقهورة بالعجز. يتجلّى ذلك في نصوص عديدة مثل «عجوز سيئة»، و«ندم»، و«جدار متصدّع»، و«طريق سيزيف». في النص الأخير يمكن أن يكون الوقوف أمامه كاشفا عن مراحل إدراك متوالية بداية من الطفولة، ومرورا بالوعي وتفتح الإدراك، وانتهاء بمرحلة النزاع والصراع.

في ظل الحركة المتكررة المهزومة تبدو الحياة– والبشر بداخلها– نمطية شبه ثابتة، وأفرادها يدورون في حلقة أو دائرة دائمة التكرار من محاولة الصراع والقدرة على الفعل، وتتحوّل إلى كائنات أمامها طريق سابقة التجهيز مجبرة على السير فوقه بوتيرة واحدة، يقول النص: «الآن هممي تجمّعت/ صارت صخرة ضخمة ملتصقة بظهري/ أكمل بها طريقي/ أجتمع بسيزيف/ نتبادل الابتسام/ ونمضي كلا في طريق».

وقد تكبر الفجوة بعد الصراع مع الواقع، فنجد أن هناك انقساما لافتا للذات، فالأولى منهزمة متماهية مع هزيمتها في صراعها مع الواقع ذائبة فيه، وتسير وفق المحدد والجاهز في تشابه مع الآخرين المهزومين، والأخرى تظل وجودا أثيريا محافظا على مشروعية وجوده وتشكّله ولو خيالا، لأن الصراع يخلّف ذاتا تبتعد عن متخيلها النموذجي الذي يظلّ موجودا ومؤسسا في إطار بعيد تعاينه بمفردها.

وفي النصوص التي تأخذ الهزيمة فيها شكلا تجريديا معرفيا، تظل الذات محتمية بمتخيلها الذاتي كما في نصّي «تفاصيل» و«العدم»، متخذة من ضمير المتكلم مظهرا للكشف عن حضور الذات، ومعتمدة على ملمح آخر ليكون دالا على الحضور الذاتي، وإثبات نوع من الخصوصية. يتمثل ذلك في فاعلية التنكير في عناوين بعض القصائد، لأن التنكير في النص الشعري يقوّض السابق المؤسس، ويجنح نحو تشكيل الخصوصية، وإثبات الغياب عن المؤسس والمقيس لدى الآخرين السابقين.

الاتساع وغياب التحديد

ارتباط جزء من نصوص الديوان بمقاربة مفاهيم تجريدية جعل الدلالة الفنية منفتحة على الاتساع من جانب، وعدم التحديد من جانب آخر. فلا يتولّد لدى المتلقي عند قراءة النصوص شبه يقين يجعله ينعم بالراحة في تأويله إياها، فهناك دائما الوجود الفوقي المتعدد الذي ينسحب من أسر الذات، ليفتح على مناخ عديدة للقراءة، لكن دون تحديد أو قدرة على اختيار واحد منها دون غيره في إطار نهائي. فالنص حين يتأسس أو يتشكّل حول فكرة تجريدية أو معرفية يظلّ محافظا على غموض شفيف، لأنه ينجز وجودا جديدا، فحين يستقر أو يميل إلى معنى أو تأويل سرعان ما يقدم ما يقابله أو ما يهشّم يقين وجوده.

الصمت ليس صمتا عن هزيمة تتعلق بسؤال محدد، قد يكون وجوديا أو فلسفيا أو حياتيا، لكنه الصمت الذي يحتوي كل التفصيلات السابقة، خاصة أن النصوص في مجملها تستند إلى فكرة التجسيد، حيث يتحوّل الصمت إلى كائن يومئ إلى الكلمات، يقول النص «يومئ برأسه/ فينهمر فوق رؤوس الكلمات/ مطر غزير/ يغرق الحكاية/ لكن المعنى ينجو/ يسبح في مياه الصمت/ يرتفع فوق جثث الثرثرة/ يصل شط اليقين/ عابرا حصى الشك». إنه صمت خاص ليس مشدودا لتجربة محددة، بل صمت البياض الذي يطلّ دون مبرر واضح أو صريح.

معظم نصوص الديوان يكتنفها بحث واشتغال على الماهية في تجليها العام لكل فكرة مجردة، مثل الأمل أو الصمت أو الحلم. وتحديد ماهية المفاهيم التجريدية لا يؤسس وجوده من العناية بالتفصيلات أو النثارات المحددة لتجربة الذات، ولكن من محاولة التعاطم على الأطر الجزئية للوصول إلى أصل الشيء وأساسه. في نصّ «الحلم» يتمّ الاستناد إلى كونه معطى عاما غير مشدود إلى تفصيلات جزئية، فالأحلام في النص خفيفة كالبالونات حين تكبر وتتمدد بالهواء، ولا تستمر على هذا الوجود الضخم.

في الديوان نوع من الاشتغال على الثقافة الأدبية والشعرية، ويلمح القارئ محاورة فنية لنصوص سابقة، تركت أثرا ممتدا في نصوص تالية، مما يشكّل نوعا من الحركة النصية المزدانة بالتوالد والتمدّد. ولا يقف الأمر عند حدود الاشتغال على الرمز المعرفي كما في قصيدة «ضيف»، بل يمتدّ إلى الاشتغال على النماذج المؤسسة في شعريات سابقة، ويأتي تشكيل النموذج وثيق الصلة بالأجيال الشعرية الأولى التي قامت بمغامرة الشعر الحر، لأنّ ميلاد هذا التوجّه أو تلك الآلية جاء من متغير وثيق الصلة باللحظة الحضارية الخاصة بهم من الانفتاح على الواقع ورصده، والوقوف أمام نماذجه البسيطة التي تخلق اختلافها وفيمتها من عاديتها.

إن النص الآني «انتظار» يدور حول الفكرة ذاتها، لكنه في مقاربته إياها، يتأثر بالجماليات أو الآليات وثيقة الصلة بقصيدة النثر. فهذا النص يبتعد عن البلاغة المحتشدة، وعن الصور العمدية التي تخرق المواضعة اللغوية التي نراها دائمة الحضور في نصّي شوشة، ويبتعد في الآن ذاته عن المباشرة الفنية في نصّ نازك الملائكة المحتمية بغنائية عروضية وإيقاعية، يسهم في خلقها بحر المتقارب. وهذا النص– فوق كل ما سبق– يوجّهنا نحو معاينة مغايرة للفكرة، من خلال المغايرة في نسق طرحها وبنيتها، وطريقة تقديمها في النص الشعري على نحو متوار ورهيف، ويعتمد على الإيحاء وعلى الحركة الذهنية، وعلى المفارقة الحادة بين الانتظار واعتبار الحضور في الآن ذاته نوعا من الخسارة والفقد، وهي مفارقة تجعلنا نعيد قراءة النص مرة بعد مرة.لاستنطاق بنياته.

بسمة شيخو: «أبواب»
منشورات بتانة، القاهرة 2025
111 صفحة.

كتاب دانتي أليجييري «عن بلاغة العامية»: العاميات كائن عضوي ينمو ويتأقلم ويذوي

عاطف محمد عبد المجيد

إننا ننسى، أو حتى لا ندرك، أن دانتي شاعر عامية، ربما لضخامة ومهابة منجزه الأساسي، الذي قدم للقارئ العربي في لغة عربية فصيحة عالية، وهو «الكوميديا الإلهية». هذا ما يكتبه مينا ناجي في مقدمته للكتاب الذي ترجمه لدانتي أليجييري «عن بلاغة العامية» وفيه يذكر أنه هو الشاعر الإيطالي الأشهر، والكاتب والفيلسوف والمنظر الأدبي والمفكر السياسي الذي ألف كتابه «عن بلاغة العامية» في السنوات الأولى من القرن الرابع عشر بعد فترة وجيزة من نفيه من مدينة فلورنسا.

وهو، أي الكتاب، التنظير الأدبي الوحيد المعروف في القرون الوسطى الذي أنتجه شاعر ممارس للأدب، مشيرا إلى أن هذا الكتاب يعد تطوراً للنقد الأدبي غير مسبوق في عصره لأنه يتناول موضوعا شائكًا وحيويًا هو الكتابة الأدبية والكتابة عموماً بالعامية، الموضوع الذي لم يُطرح للنقاش من قبل بشكل تنظيري ونقدي، رغم وجود شعر عامي سابق عليه.

دانتي تعامل فيه مع اللغة كنظام من العلامات، حيث هناك تواضع على صوت أو رسم يُمثل بناءً عقليًا معينًا، في استشراف لعلم العلامات «السيميولوجيا» الذي سيظهر في القرن العشرين على يد عالم اللغويات الفرنسي فرديناند دي سوسير، وتعامله مع العاميات بصفتها كائناً عضويًا ينمو ويتأقلم ويذوي بدلاً من رؤيتها كنظام راسخ غير زمني من القواعد، وهو جانب آخر من رؤية دانتي اللغوية التي ستجد صداها في رؤية القرن العشرين عن اللغة.

ناجي الذي يشير إلى أن هذا الكتاب / العمل الكلاسيكي للأديب والشاعر ذائع الصيت لم يُترجم إلى العربية من قبل، وقد كتبه دانتي باللاتينية التي كانت لغة العلم والدين والأدب وقتها، بجانب كونها اللغة الرسمية للتعاملات. وهي لذلك بمثابة الفصحى في العربية، ذاكراً أن دانتي كتب عملاً آخر بالعامية في الوقت نفسه تقريباً بعنوان «المأدبة» وبرر قيامه بهذا لثلاثة أسباب: قدرة العامية على معالجة موضوعه أفضل من اللاتينية، ورغبته في وصول عمله لأكبر عدد ممكن، وحب الإنسان الفطري للغته الأم، معتقداً أن دانتي شاعر مهووس بتعريف وتحديد وتقييم منجزه الشعري، كما نرى في أعمال أخرى له مثل «الحياة الجديدة» و«المأدبة» و«عن بلاغة العامية».

تطور اللغة التاريخي

في كتابه هذا، يقول المترجم، يناقش دانتي تطور اللغة التاريخي، تاريخ كل اللغات وليس الإيطالية فحسب، التي ظنّ كما هو شائع في القرون الوسطى، أنها كانت لغة واحدة خرجت من جنة عدن، طارحاً سؤالاً مفاده لماذا لم يختر دانتي اللغة العبرية ليكتب بها بديلاً عن اللاتينية بصفتها اللغة الأم والأكمل بين اللغات؟ مشيراً إلى أن دانتي في تحليله للكتاب المقدس يستنتج أن آدم قد تحدث العبرية في عدن، وذريته من بعده، حتى الانهيار والتفكك اللغوي الذي حدث وقت بناء برج بابل نظراً لغرور البشر وكبريائهم، فانحصرت العبرية في قلة بقيت تتحدث بها.

هنا أيضاً يقول ناجي إن شعراء مدرسة صقلية سبقوا دانتي في كتابة الشعر بالعامية، تأثرا بشعراء التروبادور أو الشعراء الرحالة في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا، الذين ربما كانوا أول من كتبوا الشعر بلهجات محلية في القرون الوسطى، وقال عنهم دانتي في هذا العمل إن لغتهم بلاغية وموسيقية وشعرية.

وسبق شعراء صقلية دانتي أيضاً في اختراع عامية أدبية تمزج عناصر من لهجات محلية مختلفة، وكان لهم تأثير شعري كبير عليه كما يتضح من الاقتباس المكثف لأشعارهم وتحليلها هنا، مشيراً إلى أنه بعد مضي ثلاثمئة عام من بلاغة العامية و«الكوميديا الإلهية» تم إصدار أول قاموس للغة اللامعة التي شكلها دانتي، وبعد ثلاثمئة عام أخرى أصبحت اللغة المعيارية الرسمية لدولة إيطاليا الحديثة ويتحدث بها حالياً نحو 79 في المئة من الإيطاليين بصفتها لغتهم الأولى.

كذلك يشير المترجم هنا إلى أن هذا المسار التاريخي لنشأة اللغة القومية الإيطالية وتطورها يطرح سؤالاً حول وضع اللغة العربية الآن، حيث من المعروف أن اللغة العربية تعاني من الازدواجية اللغوية، حيث توجد لغة رسمية مختلفة عن لغة الحياة اليومية، وهي تعد لغة الثقافة والكتابة، وفي مرتبة اجتماعية أعلى من الأخرى، التي تعد بدورها لغة التعاملات اليومية والحديث والتفكير. ويذكر أن هناك تغيراً جذرياً حدث في العقدين الأخيرين في ما يخص علاقة العامية بالكتابة، جاء مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي التي يأتي محتواها في جانبه الكتابي على مختلف مستوياته بالعامية بشكل ساحق، ومع إصدار كتب ومقالات وبرامج تثقيفية بالعامية بشكل أكبر من أي وقت سابق، بعد انتشار تدريجي لها على مدار عقود، في رحلة ممتدة تصاعدت وتيرتها مع ظهور الهوية الوطنية ثم الدولة القومية، كلغة تواصل وكتابة بين – شخصية وكلغة للأعمال الفنية، وأيضاً لغة الخطابات الرسمية من السلطات السياسية والدينية والثقافية المختلفة.

أكثر تنوعاً

في الحالة المصرية، يذكر مترجم بلاغة العامية، هناك كتابات نثرية وشعرية ومسرحية مكتوبة بالعامية المصرية على مدار سنمئة عام، أي منذ الحكم المملوكي كما يوضح كتاب «العامية المصرية المكتوبة» لمديحة دوس وهمفري ديفير. ويمكن أن نرى في استعراضهما لهذا التاريخ كيف أصبحت الكتابة بالعامية أكثر تنوعاً في الفترة الحديثة، حيث أنها لم تعد مقتصرة على مجال التسلية والفكاهة كما يظهر في الجزء الأول من هذا الكتاب، متسائلاً لماذا لم تتحول العامية إلى لغة قومية رسمية للكتابة والحديث مثلما حدث مع الإيطالية مثلاً من ضمن الكثير من اللغات الأخرى؟

اليجييري يرى أن اللغة العامية هي الأكثر نُبلاً لأنها كانت اللغة التي استخدمها الجنس البشري في الأصل، ولأن العالم كله يستخدمها، وإن كان بنطق مختلف واستعمال كلمات مختلفة، ولأنها طبيعية إلينا بينما الأخرى مصطنعة. ما يعلنه اليجييري هنا أن العامية الإيطالية اللامعة يمكن استخدامها بشكل مناسب لكتابة النثر كما لكتابة الشعر، ذاكراً أنه يمكن تعريف العامية اللامعة والجيرية والبلاطية والعَدلية في إيطاليا بأنها تلك التي تنتمي إلى كل مدينة إيطالية لكنها تبدو غير منتمية إلى أي منها والتي يمكن قياس عاميات كل مدن إيطاليا ووزنها ومقارنتها بها.

في مقدمته لخص مينا ناجي ما حاول دانتي أن يفعله «في بلاغة العامية» بتقعيد عامية جديدة سيستخدمها في ما بعد في عمله الأشهر «الكوميديا الإلهية»، لتصبح بعدها اللغة الإيطالية كما نعرفها الآن، واصفاً كتاب دانتي هذا بأنه إرساء نظري لـ «أجرومية» أو قواعد نحوية للشعر العامي الإيطالي مثلما فعل أرسطو مع الشعر اليوناني في كتابه «فن الشعر» وهوراس مع الشعر اللاتيني في كتاب له بالاسم نفسه.

ويعتقد أنه بغض النظر عن مسألة هل العامية لغة أخرى أو مجرد مستوى لغوي آخر أدنى من نفس اللغة، ففي النهاية هما تجليان لغويان مختلفان، متسائلاً لماذا لم تتحول العامية إلى لغة قومية رسمية للكتابة والحديث، مثلما حدث مع الإيطالية مثلاً من ضمن الكثير من اللغات الأخرى؟ ويبدي تخوفاً ما، مرده هل ستلاقي العربية الفصحى المصير ذاته الذي لاقته اللاتينية بانداثارها وتحولها إلى لغة ميتة، حين أصبحت العاميات الأوروبية المختلفة لغات مستقلة للتدوين والحكم؟

> هذا الكتاب يعد تطوراً للنقد الأدبي غير مسبوق في عصره لأنه يتناول موضوعاً شائكًا وحيويًا هو الكتابة الأدبية والكتابة عموماً بالعامية، الموضوع الذي لم يُطرح للنقاش من قبل بشكل تنظيري ونقدي، رغم وجود شعر عامي سابق عليه.

دانتي أليجييري: «عن بلاغة العامية»
ترجمة: مينا ناجي
بيت الحكمة، القاهرة 2024
137 صفحة.

المقال

زياد ماجد

سيناريوهات لإعلان «الانتصار»

تتزايد الاتصالات الديبلوماسية بموازاة تصاعد الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران. وبات من الواضح أن باكستان وتركيا تقومان بجهد كبير لنقل الرسائل والرسائل المضادة بين واشنطن وطهران، وسط مهل وإنذارات متبادلة.

وفي حين تتعرّض إيران لضربات عسكرية دمّرت حتى الآن جزءاً كبيراً من قوتها العسكرية ومن بنيتها التحتية وقضت على قيادات أمنية ومن الحرس الثوري فيها، إضافةً طبعاً إلى اغتيال علي لاريجاني وقبله المرشد علي خامنئي، تتعرّض واشنطن وتل أبيب لتحدّيات جدّية لم تكن جميعها في حسبانهما.

فمن ناحية أولى، لم يكن الرهان على حرب طويلة من سيناريوهات الإدارة الأمريكية لكلفتها الباهظة ولمعارضة جزء من القاعدة الترامبية لها. كما لم يكن المسؤولون في البيت الأبيض مقتنعين بقدرة إيران على التحكّم بمضيق هرمز في ظلّ حشودهم البحرية الضخمة وقوّتهم الجوية الساحقة. وفي الرقعة الجغرافية إياها، لم يتوقّع الأمريكيون كثافة نيران إيرانية باتجاه دول الخليج والعراق، بما أثّر على الملاحة في هرمز وعلى تصدير النفط والغاز، وأثّر كذلك على مخزون الصواريخ المضادة في منظومات الاعتراض، التي لم تكن على الدوام عالية الفاعلية بما يكفي لكفّ الأذى والأضرار المادية والاقتصادية عن المتعرّضين لها.

ومن ناحية ثانية، لم يأخذ الأمريكيون في الحسبان سرعة التآزّر الاقتصادي وارتفاع أسعار الطاقة، إذ ظنّوا أن مفاعيل الحرب لن كانت قصيرة لن تظهر مباشرة، وإن طالت قليلاً ستبقى محدودة. فإذا بسياسة توسيع رقعة القصف وتعميم الأضرار والضغط في هرمز التي اعتمدتها إيران من اليوم الأول تضغط مباشرة على الأسعار وتُنذر بأزمة أو بصدمة عالمية شبيهة بتلك التي أحدثتها حرب تشرين/أكتوبر 1973 وقطع النفط السعودي الجزئي يومها، دعماً لمصر وسوريا.

ومن ناحية ثالثة، دخل الأمريكيون في سباق مع الوقت لجهة نقل منظومات الاعتراض الصاروخي من مناطق حول العالم إلى «الشرق الأوسط» (لا سيّما من كوريا الجنوبية ومن الولايات المتحدة نفسها)، ولجهة التصنيع السريع لقطعها وذخائرها قبل نفادها إن تمكّنت إيران من مواصلة إطلاق صواريخها وطائراتها المسيّرة. وإذا كان من الواضح حتى الآن أن القدرة الإيرانية على مواصلة القصف المضاد قد تراجعت، غير أنها لم تنقطع، ودخلت بدورها في عملية إدارة وتوفير. ولن يكون من المستبعد بعد فتح جبهة لبنان وانخراط حزب الله بما تبقّى له من أسلحة ثقيلة، وبعد تصاعد هجمات الميليشيات العراقية، أن يُصار لاحقاً في حال فشلت كل الوساطات، إلى فتح جبهة اليمن وتهديد الملاحة في باب المندب والبحر الأحمر، وصولاً إلى محاولات إصابة ميناء إيلات ومواقع إسرائيلية جنوبية لتكثيف الضغط الاقتصادي والعسكري على الأميركيين والاسرائيليين.

على أن قول كلّ هذا لا يعني بأي حال المراوحة في وصف تفنّي لما يجري دون النظر إلى أثمانه البشرية والمادية المروّعة لغاية إسقاط النظام في طهران واحتلال قواته جزءاً من جنوب لبنان، يشترط للإنسحاب منه – كما من الجنوب السوري لاحقاً– اتفاقات مع البلدين تكرّس سياسياً التفوّق العسكري الإسرائيلي ليستقوي بها على الداخل الإسرائيلي فيحشد المزيد من الدعم لحكومته، والأهمّ، ليستقوي زيادةً على الفلسطينيين ويماطل في كل الحلول المقترحة، على رداءتها، في غزة.

في المقابل يمكن القول إن دونالد ترامب قد يتحضّر لإعلان انتصار يُعدّد فيه «إنجازاته»، من قتل المرشد وأكثرية قادة النظام، إلى تحطيم مقدّراته النووية وتدمير بحريته وبناه العسكرية الثقيلة، وإضعاف برنامجه البالستي، وجعله إن نجا متشظّياً في السنوات المقبلة في إعادة ترميم بعض ما تهدّم وجعله عرضة لضغوط إقتصادية تفرض عليه أولويات يخفّف بواسطة تلبيتها من حنق جمهور إيراني واسع عليه. غير أن شرط هذا يتطلّب الاتفاق على إعادة فتح مضيق هرمز، الذي بات هاجس الرئيس الأمريكي الأول.

ويمكن في موازاة هكذا إعلان، أن يلتحق نتنياهو بالخطاب نفسه، وأن يطلب استمرار حربه في لبنان، ليستطيع لاحقاً إعلان انتصار يخصّه، فلا ينافس حليفه الأمريكي إيرانياً لأن الأخير لا يحب الندّية ولا يقبل بها.

أما إيران، فيمكن أن تدّعي «انتصارها» إذا تمنّع نظامها عن الإسقاط واستمرّت في إطلاق الصواريخ والتحكّم بمضيق هرمز، أو حتى إن وافقت على فتح المضيق بالتزامن مع توقّف العمليات العسكرية ضدها.

لكن ماذا إذا تعذّر على كل طرف توفير «العدّة» اللازمة لإعلان الانتصار؟ بمعنى آخر، ماذا إذا طال أمد إقفال هرمز ونفّذ الأمريكيون تهديدهم بإنزالات برية في الجزر الإيرانية مع تدمير بنى الطاقة؟ وماذا إذا سعى الإيرانيون للردّ في جوارهم الخليجي لجعل الكارثة الاقتصادية والبيئية معمّمة؟ هذا أيضاً سيناريو ممكن، يطوّل أمد الحرب وأضرارها، ويجعل جبهتها اللبنانية بدورها أكثر عنفاً وشراسة.

يبقى أننا، إن صح هذا السيناريو أو ذاك، وإن أفضت الاتصالات والوساطات إلى لجم للحرب أو فشلت، أمام أيام شديدة الصعوبة، وأضرار إنسانية واقتصادية وسياسية وقانونية لن يسهُل تعويضها، وهي ستُعيد على الأرجح تشكيل التحالفات الإقليمية وتعميق العداوات بين عدد من دول الخليج وإيران.

وهذا كلّه سيقود إلى حقبة من اللااستقرار المديد...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

في تأصيل فن الرحلة

نادية هناوي

تميل غالبية التفسيرات النقدية إلى عدّ الرحلة فنا أدبيا شأنه شأن الأنواع السردية الأخرى مثل المقامة والمنامة والخطبة والرسالة، غير أن أساس انبثاق هذا النوع يشير إلى وجود تفاوت بينه وبين تلك الأنواع من ناحيتي النمو الإبداعي والتطور التاريخي كما ونوعا. ذلك أنّ الرحلة موضوع سردي قديم قدم الإنسان. وبسبب ذلك شكّل السرد قاعدة، عليها قامت قوالب الأجناس الأدبية المعروفة شعرا ونثرا. وعودة بسيطة إلى أدبيات الأمم الغابرة في عصور ما قبل الميلاد ستؤكد أنّ الرحلة هي مطلب الإنسان الأول والموضوع الأثير الذي من خلاله تتحصل المعرفة وتتشكل الخبرات. وما من معرفة أو خبرة إلا بالتحول في الأمكنة وحتمية الانتقال من محل إلى آخر، سيرا نحو الغامض والمجهول. وما قد يرافق هذا التحول والانتقال من دهشة واكتشاف واغتراب وتحمل أهوال ومغامرات، عادة ما تنتهي بالتغيير من حال إلى حال، فيتطور وعي الإنسان ويصبح أكثر دراية وحكمة.

ومنذ ملحمة جلجامش والرحلة موضوع واقعي يختلط بفكر أسطوري، ولأهمية هذا الفكر دُوّنت رحلة جلجامش على الرقم الطينية. واتخذ ناظمها من الشعر الملحمي قالبا أجناسيا، نسج فيه الأحداث نسجا شعريا وعلى نسق إيقاعي وبحر موسيقي محدد. وتبدأ هذه الرحلة من أوروك وصولا إلى مجاهل بلاد بعيدة ثم العودة في النهاية إلى أوروك وقد تزود البطلُ الرحّالة بالحكمة وحمل المعرفة إلى الأجيال اللاحقة. ولقد اتبعت الملاحم الإغريقية والرومانية الموضوع عينه، وبمسار واقعي وفكر أسطوري وبحر شعري، سردت من خلاله رحلات أخيل وعوليس وإنياس وغيرهم من الذين ابتدأت قصتهم من نقطة لا معرفية، وانتهت عند نقطة معرفية، تُلبي الرغبة البشرية في التعرف والتعلم واكتساب الحكمة.

وما بين تدوين الرحلة شعريا واكتساب المعرفة حياتيا، تكون أصول الأدب سردية بامتياز، وأطوار الاكتساب المعرفي متخيلة في البدءا في شكل خرافات وأساطير. وما من غرابة في ذلك؛ فالأدب وإن كان فنا فيه الخيال عنصر رئيس، غير أن أساس ابتكار الأدب أنه في الأصل عبارة عن حكيٍ/ سرد هو الحياة نفسها. ولا مرأء في أن تكون علاقة الإنسان بالسرد متجذرة منذ أن عرف الكلام وسيلة للتواصل مع أفراد جماعته.

وبذلك يكون السرد سابقا بوصفه أصلا أو قاعدة، عنها تفرعت فنون القول وفي مقدمتها الشعر. وأول أنواعه الشعر الغنائي. ولقد أكد أرسطو أن أصل الشعر سرد حين عدّه فنا يُحاكي بواسطة اللغة وحدها. وحدد طريقة المحاكاة بأنّ نقصّ على لسان شخص آخر أو أن يحكي المرء عن نفسه أو أن نحاكي الأشخاص وهم يفعلون. ومثلما أن لا سرد من دون محاكاة، فكذلك لا شعر من دون محاكاة كما لا محاكاة بلا تخييل.

والناس أطوع للتخييل منهم للتصديق كما يقول ابن سينا: «وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكرهها، وهرب منها وللمحاكاة شيء من التعجيب.. وربما شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به. والتخييل إذعان، والتصديق إذعان لكن التخييل إذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول، والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه».

والرحلة واحدة من موضوعات الحياة، حاكى الإنسان أحداثها سردا ثم شعرا، غير أن اتقان هذه المحاكاة ليس متاحا لكل من خاض غمار الارتحال ومغامرات التحول، وشاهد أمكنة شتى وعرف ما لم يعرفه غيره. ذلك أن البشر جميعا يمارسون الارتحال بشكل طوعي أو قسري لكنهم بالمجمل غير قادرين على تخيل طبيعة الارتحال فكريا وصوغ حكاياته سرديا، وإنما يتقن المحاكاة من هو مبدع يعرف كيف يجمع الواقع بالخيال، فلا يروي «الأمور كما وقعت فعلا، بل رواية ما يمكن أن يقع والأشياء الممكنة؛ إما بحسب الاحتمال أو بحسب الضرورة» كما يقول أرسطو.

وما من نص رحلي إلا وفيه تخييل يوصل إلى معرفة ما. والغاية من وراء التخييل هي التعليم والإفهام. ولا شك في أن تلقي الحكايات والإنصات لها، يكسب البشر المعرفة التي إليها يتوقون. ويطلق أرسطو على هذه العملية اسم «التعرف» ويعني الانتقال من الجهل إلى المعرفة. وأجمل أنواع التعرف هو المصحوب بالتحول.

وما من أدب من آداب الأمم القديمة، لا نجد فيه الرحلة موضوعا سرديا ينتهي بالمعرفة. وبهذا الشكل صار المكان عنصرا سرديا. ومن ذلك أخذت مفردة القص معناها المعجمي وهو سبر المكان واقتصاص أثره وتتبعه. وتتبع أحداث الرحلة إنما يعني سردها. ومن خلال السرد يتمكن القاص من إيصال المعرفة إلى المتلقين في شكل متخيل قصصي أو شعري. خذ مثلا المعلقات العربية والشهنامة الفارسية والمهابارتا الهندية و«الكوميديا الإلهية» وغيرها.

ولنقف عند المعلقات التي هي أقدم نموذج شعري عربي مدوّن، لنجد أن الرحلة هي الموضوع القصصي الذي يتم صبُّه إيقاعيا في قالب قصيدة الشطرين. والمعرفة هي المتحصلة من متخيل القصة الشعرية تبعا لما يُستعمل فيها من أساليب وتقنيات فنية مثل التخلص والمفارقة والرمز وغيرها. ومن يعد إلى أقدم نموذج قصصي عربي هو «كتاب التيجان في ملوك حمير» لوهب بن منبه فسيجد الأمر نفسه، إذ يُفتتح الكتاب برحلة الإنسان والجان من الجنة إلى الأرض. وهذا موضوع واقعي يتم تخيله موضوعيا باستعمال الاستعارة والتشبيه والكناية والتورية، وإيداعه فنيا في قالب فني هو القصة.

أما الموئل الذي مدّ بن منبه بحكايات الرحلة، فيتمثل في كائن متخيل هو الحكاء الذي غامر وسافر وسار وانتقل ثم أخبر القصاص بذلك كله، فامتلك الأخير من جراء هذا الإخبار معرفة وحكمة. ولأن الإخبار يحتاج بلاغة، صار القصاص جامعا للقص/ السرد والبلاغة/ المعرفة، يروي أخبار ما نقله إليه الحكاء من أهوال المغامرات، وما قامت به الشخصية من ارتحالات.

وإذ كشفت الترجمة أن شعوبا كثيرة قطعت أشواطا كبيرة في سرد رحلات البحث عن المجهول، فإن ذلك يؤكد تجذّر الرحلة موضوعا أدبيا في مرويات الأمم القديمة. وهو أمر يقتضي إعادة النظر في مسلمة أنّ الأدب العربي لم يعرف الرحلة نوعا سرديا إلا في عصور التدوين. ومن المهم في إعادة النظر هذه اعتبار السرد أصلا، عنه انبثقت المصادر. والمدونات الرحلية مصدر أصيل من مصادر المعرفة. وليس المصدر كالأصل، لأن الأصل هو المنبع الذي عنه تتولد المصادر. أما الأصالة، فسمة فنية بها يتميز السابق التأصيلي عن اللاحق الاتباعي.

كاتبة من العراق

طقس قاس عربيا

شهدت دول عربية، ومنها مصر وسلطنة عمان وفلسطين وسوريا والسعودية والكويت والعراق، وقوع وفيات ومصابين وعمليات إجلاء وأضرار مادية، وخطط طوارئ وتعطيل الدراسة إثر طقس قاس على مدار الأيام الماضية.

وأفادت وزارة الصحة المصرية، بأن نتائج سوء الأحوال الجوية سجلت حالتي وفاة وإصابتين بالبلاد.

وأكدت لجنة إدارة الحالات الطارئة، العثور على مواطن بولاية منح العمانية مفارقا للحياة إثر جرف مركبته بسبب الطقس.

وأصيب 3 نازحين فلسطينيين، الخميس، جراء سقوط جدار متضرر بفعل الأمطار الغزيرة والرياح المصاحبة للمنخفض الجوي.

ونفذت فرق الدفاع المدني السوري، 41 استجابة ميدانية في عدة مواقع، منها 7 عمليات سحب وتصريف للمياه من المنازل والأقبية.

وفي اليمن أدت رياح شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة إلى وفاة جندي وإصابة 40 آخرين، 5 منهم في حالة حرجة.

واصل الدفاع المدني السعودي، الخميس، سلسلة تحذيرات ودعوات لأخذ الحيطة والحذر.

وأعلنت مديرية الدفاع المدني، العراقية، وضع خطة طوارئ كاملة للتعامل مع الأمطار والسيول.

أداب وفنون

الأرجنتيني إدواردو بيرتي والمغربي محمد آيت لعميم: الأدب أمام متاهات العالم الصغيرة

د مصطفى غَلْمان

على خطى خورخي لويس بورخيس، يتشكّل هذا العملِ ككائنٍ مزدوج النبض. كتابةٌ تستدعي ظلّها، وترجمةٌ تُصغي إلى ارتجاف المعنى وهو يتخلّق من جديد. في اختياراته لنصوص إدواردو بيرتي، يغامر المترجم والباحث محمد أيت لعميم داخل متاهة يعرف أن مخارجها ليست جغرافية، بل ذهنيةً: دهشةٌ تتوالد من دهشة، ونصٌّ يوقظ في قارئه إحساساً بأن العالم أوسع من حدوده المرئية.

هذه المختارات (صدرت عن «خطوط وظلال»، عمّان، في 94 صفحة) تُشيّد فضاءً تتجاور فيه الحكاية والفكرة، حيث القصة القصيرة قادرة على اختزال الكون في ومضة، وعلى تكثيف التجربة الإنسانية في مشهد عابر. بيرتي يكتب بعينٍ تستحضر تراثا أدبيا وفلسفيا كثيفا، ويتركُ في نسيجه السردي إشارات خاطفة إلى نصوص أخرى، كأن كل قصة طَبَقة شفافة تُخفي وتُظهر في آنٍ واحد. ومن ثمة يتقدّم التلميح على التصريح، ويغدو البياض جزءاً من المعنى.

اختيار عنوان «المترجم المستعجل» يفتح سؤال الزمن في فعل القراءة ذاته. ما الذي يستعجل المترجم؟ هل هو قلق القبض على شرارة المعنى قبل أن تنطفئ؟ أم إدراك بأن النصوص كائنات حيّة، تتبدّل كلما اقتربنا منها؟ الاستعجال كما أعتقد، ليس نقصا في التمهّل، بل وعيٌ بحركية الدلالة، وبأن كل قراءة هي لحظة عابرة في سيرة نصّ أطول من قارئه.

وفي أوراقه التأويلية، ينفذ آيت لعميم إلى لبّ الخيال القصصي اللاتيني، متتبعا جذوره الميتافيزيقية واندفاعاته التي تمزج الفكر باللعب، والدهشة بالصرامة. اللغة في هذا السياق أداة كشف، تقترب من تخوم السؤال العميق، حيث السرد ليس حكاية نقدر ما هو تجربة في حدود الممكن والمستحيل.

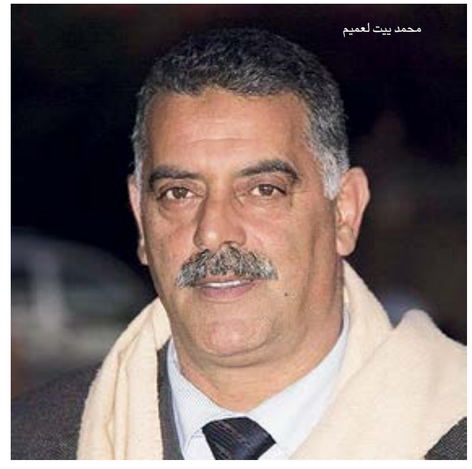
محمد بيت لعميم

عندما أخبرني صديقي الناقد والمترجم محمد أيت لعميم بمشروعه لترجمة المجموعة القصصية اللافتة «الحياة المستحيلة» للكاتب الأرجنتيني إدواردو بيرتي، والتي اختار لها عنواناً عربياً جديداً هو «المترجم المستجل»، شعرت بأن الأمر لا يتعلق بترجمة نصوص فحسب، بل بعبور آخر داخل متاهة الأدب نفسه. فثمة لحظاتٌ في القراءة تشبه ما يسميه بورخيس «اكتشاف متاهة داخل متاهة»، حيث لا يعود النص مجرد سرد، بل تجربة وجودية في اللغة. عند تلك اللحظة تذكّرت أن بيرتي ينتمي، على نحو ما، إلى ذلك الأفق الأرجنتيني الذي جعل من الأدب مغامرةً فكرية، الأفق الذي صنعه كتّاب مثل إرنستو ساباتو وسيلفينا أوكامبو وغيرهما من ورثة الحسّ البورخيسي العميق، حيث السرد ليس حكاية نقدر ما هو تجربة في حدود الممكن والمستحيل.

إدواردو بيرتي

ذلك المشروع الذي بدأه بيرتي سنة 2014 لم يكن في جوهره مشروعاً سردياً فقط، بل كان انخراطاً واعياً في ما يمكن تسميته «براديغم الأدب الممكن». فقد استوقفه كتاب فريد في تاريخ التجريب الشعري هو «مئة ألف مليار قصيدة» للشاعر الفرنسي ريمون كينو، العمل الذي يُعدّ، في نظر جماعة أوليبو، النص المؤسس لفكرة «الأدب المحتمل». لم يكن هذا الديوان مجرد مجموعة شعرية، بل آلة تركيب لغوي، تتيح نظرياً توليد عدد هائل من القصائد يفوق قدرة العمر الإنساني على قراءتها. وكان كينو أراد أن يذكّرنا بما قاله ستيفان مالارميه ذات مرة: إن العالم موجود لكي ينتهي في كتاب. ومن هنا يبدأ السؤال الفلسفي الحقيقي: ما الذي يحدث عندما تتحول الكتابة إلى إمكان لا نهائي؟

بدأ بيرتي يمارس ما يمكن تسميته «التمرين التأويلي» على قصائد كينو. لم يعد الهدف مجرد توليد سونانات جديدة، بل استكشاف شروطها الخفية: قصائد تتشكل وفق موضوعات محددة، الطعام، الحيوانات، الجغرافيا، التاريخ، الماء والبحر وأخرى تخضع لقيود شكلية صارمة: عدد الكلمات، الحروف الافتتاحية، البنية الإيقاعية. وهكذا تتحول القصيدة إلى مختبر، ويصبح الكاتب أقرب إلى عالم رياضيات يختبر إمكانات اللغة.

ذلك دفع بيرتي إلى مشروع هجين، يقع بين الرواية والمقال والتأمل النقدي، يشارك فيه بعض أعضاء أوليبو. كان الهدف استكشاف الروابط الممكنة بين عالم بورخيس التجريبي وأفكار الأدب المحتمل. فالواقع أن بورخيس سبق أوليبو، بطريقة حدسية، إلى تصور الأدب بوصفه متاهة احتمالات: مكتبة لا نهائية، كتاب بلا نهاية، أو قصة تتفرع إلى مسارات متعددة.

وهكذا نفهم اختيار المترجم آيت لعميم لقصة «حياة مزدوجة» باعتبارها مدخلا إلى هذا العالم السردي. فالقصة في ظاهرها بسيطة: ابن يكتشف أن والده عاش حياة مزدوجة لمدة ثلاثين عاما، فيقرر زيارة البيت الآخر. غير أن المفارقة الكبرى تكمن في أن هذا البيت ليس مختلفاً عن البيت الأول، بل هو نسخة مطابقة له تماماً: الأثاث نفسه، ترتيب الأرائك ذاته، اللوحات نفسها، حتى أدق التفاصيل الزخرفية. هنا يبدأ التوتر الفانتاستيكي الحقيقي: ليس في وجود بيت ثانٍ، بل في تطابقه التام مع البيت الأول.

إن هذا التطابق المقلق يضعنا أمام سؤال فلسفي عميق: ماذا يعني أن يتكرر الواقع حرفياً؟ ففي لحظة ما يتحول التماثل إلى مصدر رعب. وكأننا أمام تجربة سردية قريبة مما وصفه سيغموند فرويد في مفهومه الشهير «الغرابة المقلق»، حيث يصبح المألوف نفسه غريباً لأنه يتكرر بطريقة غير طبيعية. إن البيت هنا ليس مجرد مكان، بل صورة مكررة للواقع، نسخة ثانية من الحياة، وكأن الأب كان يعيش داخل مرآتين متقابلتين.

غير أن بيرتي لا يكتفي بإثارة هذا القلق؛ بل يضيف إليه طبقة تأويلية أكثر عمقا في نهاية القصة. فعندما يعود الراوي إلى بيته، يقوم عمدا بإعادة ترتيب الأثاث وإحداث فوضى على الرفوف، كأنه يريد كسر هذا التماثل الخانق. لكن الذروة التأويلية تظهر في تذكره حادثة الطفولة: المزهرية الصينية التي كسرها حتى تدهشنا وتمتعنا»، وكأن الحكاية عند بيرتي لا تقاس بحجمها بل بقدرتها على فتح أفق جديد للخيال.

كتابة بيرتي لا تبحث عن الغرابة بوصفها زخرفاً سردياً، بل بوصفها صدمة معرفية، أو ما يمكن تسميته بتعبير والتر بنيامين بلحظة «الدهشة التي تكشف المخفي في اليومي». إن بيرتي يسعى دائما إلى خلق تلك اللحظة التي ينقلب فيها الواقع على نفسه، حيث تبدو الأشياء مألوفة إلى درجة تجعل غرابتها أكثر رعباً.

ومن هنا نفهم اختيار المترجم آيت لعميم لقصة «حياة مزدوجة» باعتبارها مدخلا إلى هذا العالم السردي. فالقصة في ظاهرها بسيطة: ابن يكتشف أن والده عاش حياة مزدوجة لمدة ثلاثين عاما، فيقرر زيارة البيت الآخر. غير أن المفارقة الكبرى تكمن في أن هذا البيت ليس مختلفاً عن البيت الأول، بل هو نسخة مطابقة له تماماً: الأثاث نفسه، ترتيب الأرائك ذاته، اللوحات نفسها، حتى أدق التفاصيل الزخرفية. هنا يبدأ التوتر الفانتاستيكي الحقيقي: ليس في وجود بيت ثانٍ، بل في تطابقه التام مع البيت الأول.

إن هذا التطابق المقلق يضعنا أمام سؤال فلسفي عميق: ماذا يعني أن يتكرر الواقع حرفياً؟ ففي لحظة ما يتحول التماثل إلى مصدر رعب. وكأننا أمام تجربة سردية قريبة مما وصفه سيغموند فرويد في مفهومه الشهير «الغرابة المقلق»، حيث يصبح المألوف نفسه غريباً لأنه يتكرر بطريقة غير طبيعية. إن البيت هنا ليس مجرد مكان، بل صورة مكررة للواقع، نسخة ثانية من الحياة، وكأن الأب كان يعيش داخل مرآتين متقابلتين.

غير أن بيرتي لا يكتفي بإثارة هذا القلق؛ بل يضيف إليه طبقة تأويلية أكثر عمقا في نهاية القصة. فعندما يعود الراوي إلى بيته، يقوم عمدا بإعادة ترتيب الأثاث وإحداث فوضى على الرفوف، كأنه يريد كسر هذا التماثل الخانق. لكن الذروة التأويلية تظهر في تذكره حادثة الطفولة: المزهرية الصينية التي كسرها ذات يوم. في ذلك الوقت بدا غضب الأب مبالغا فيه، أما الآن فيفهم الابن السبب. لقد كان الأب في اليوم التالي، يذهب إلى البيت الثاني ليكسر المزهرية المطابقة، فقط للحفاظ على التماثل بين البيتين.

الأدب والمنمنمات السردية

لقد ارتبط مفهوم الأدب، عبر قرون طويلة، بفكرة الأعمال الكبرى: الروايات الضخمة، الملاحم متعددة المجلدات، النصوص التي تشبه، كما لو قال أحد النقاد ساخرا، كاتدرائيات لغوية شاهقة. غير أن هذا التصور يخفي جانباً آخر من الأدب، جانباً أكثر تواضعا لكنه لا يقل عمقاً: فن المنمنمات السردية.

فبين الفينة والأخرى، يولد في الأدب نص صغير جداً، أشبه باستراحة في حديقة فكرية. نص قد لا يتجاوز سطراً أو صفحة، لكنه يختزل عالماً كاملا. وكأن الكاتب يقتطع لحظة من كتاب ضخم لم يُكتب بعد.

ولعل الأمثلة على هذا الفن كثيرة في تاريخ الأدب. من المفارقة الساخرة التي كتبها الناقد الإنكليزي ج. ك. تشيسترتون،عن اللص الذي يعطي القس نصيحة أخيرة على فراش الموت، إلى الحكايات الشرقية القصيرة التي تشبه حكما صوفية. إن هذه النصوص الصغيرة تذكرنا بأن الأدب، كما قال فرانز كافكا، لا يحتاج إلى الامتداد كي يكون عميقاً؛ أحياناً تكفي جملة واحدة لفتح هاوية من المعنى.

وفي هذا السياق تكتسب الترجمة بعداً يتجاوز فعل النقل اللغوي. فكل ترجمة تمنح النص حياة أخرى، وتفتح أمامه طريقاً جديداً داخل ثقافة مختلفة. الكلمات تعبر الحدود، لكنها تحمل معها أيضاً إيقاع دهشتها الأولى. وحين يحدث ذلك، تتحول القراءة نفسها إلى نوع من المشاركة في كتابة النص من جديد.

وربما تكمن إحدى وظائف الأدب الكبرى في هذا الاكتشاف الهادئ: أن يعيد إلينا حسّ الدهشة تجاه واقع اعتدنا النظر إليه بدون أن نراه حقاً.

معرض «ليموناتة» للفنانة المصرية ثريا فهمي... رحلة بصرية في التراث الثقافي للشعوب

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

ما بين لوحات ومجسمات وتجهيز في الفراغ، وصولاً إلى الأكسسوارات والعاب الأطفال، ومن خلال عنصر وحيد (الليمون) ترسم الفنانة المصرية ثريا فهمي لوحة كبيرة ومتنوعة التفاصيل كرحلة ثقافية في الوعي الشعبي الإنساني من احتفالات وأساطير وصناعة وطبيعة تخط وتصوغ تفاصيل سلوك الناس ومعتقداتهم وفق هذا النبات الذي من كثرة استخدامه ووجوده ربما لا يلحظه أحد، إلا أن الفنانة هنا تسلط عليه الضوء، وتُعلي من شأنه كقيمة كبيرة لا نشعر بها.

الأعمال الفنية اللافتة التي قدمتها فهمي في معرضها الذي أقيم مؤخراً في «قاعة الزمالك للفن» في القاهرة تشبه عالماً غريباً ومُبهجاً عن هذه الثمرة وحياتها، مع تقاطع هذه الحياة مع حياة البشر على اختلافهم مكاناً وسلوكاً وطقساً وحضارة، حياة تتقدمها راشحة الليمون التي تملأ المكان أثناء التجوال في المعرض، وصولاً إلى إصابة هذه الثمرة في النهاية، أو حتى انتهاء مهمتها وهي تتحول إلى شيء آخر كمشروب يُضيء الكيثيرون، أو راشحة عطرية للزينة. الأمر الآخر في المعرض يتمثل في اللوحات الإرشادية أو اللافتات التي تحمل الكثير من المعلومات عن تنوع استخدام ثمرة الليمون وكيفية التعامل معها من قبل الشعوب المختلفة، وهنا تظهر الطقوس والأعياد وما شابه من المناسبات العديدة، مما يقترب من كون المعرض كالكتاب المُصوّر، الذي يعتمد البحث العلمي الجاد لتقديم رحلة معرفية وفنية قيمة.

فعل الأنسنة

أعطت الفنانة لثمرة الليمون من خلال وجودها بين الحضارات والثقافات المختلفة دور البطولة، وكأنها بطل درامي يخوض رحلته الطويلة والمتنوعة، سواء في الحقول أو محمولة في سلة من الخوص في يد رجل أو امرأة، وكذا الحضور الطاغي في الاحتفالات والمناسبات، فعل (الأنسنة) هذا يبدو أكثر من خلال كتابة فقرات معلوماتية عن هذه الشخصية الليمونة وديورها، وهو بالطبع ما سيُغيّر نظرة المتلقي والمشاهد لهذه الثمرة التي كانت عادية لا تستدعي الالتفات إليها.

رسول الحب

«تيمكت» اسم احتفال ديني كبير في إثيوبيا، ويبدو كمناسبة لبدايات قصص الحب، وعن طريق الليمون تتأكد أو تنتفي هذه القصة، حيث يقوم الشاب بإلقاء ثمرات الليمون أمام الفتاة التي وقع في غرامها، فإذا التقطتها فهذه موافقة ضمنية على بداية حكايتهما، وإذا أعرضت فالأمر انتهى. هذه اللعبة الصامتة تتوسل بالليمونة كرسول حب، ربما ينجح في رسالته.

في سبيل البركة

ومن إثيوبيا إلى الهند، حيث نطالع طقساً احتفالياً آخر يقيمه الهندوس خلال مهرجان «شيفراتري»، وكشكل من أشكال التعبد وطلب البركة يقوم الأتباع بتثبيت ثمار الليمون في أجسادهم على الجذع أو الظهر عن طريق الإبر والخيوط، ثم يسيرون في موكب احتفالي كبير وصولاً إلى معبد الإله شيفا. وتتمتع الهند أيضاً بنوع من الليمون يُطلق عليه «ليمون يد بودا» والذي يُعد قرباناً دينياً، ويرمز إلى السعادة والحظ الحسن.

الاكتشافات والبحث العلمي

ومن الطقوس والأساطير إلى البحث العلمي والطبي بالأساس، حيث يرتبط شعار معهد الطب البحري بمرض الاسخربوط وكيفية علاجه، وهو المرض الذي يعد السبب الرئيسي في موت البحارة بين عامي 1500 و1800. ويتمثل المعهد شجرة الليمون شعاراً له، كشجرة حمضية تعالج المرض وتقي منه، ومنه إلى «البنسليوم» وهو عفن حمضي اكتشفه العالم الألماني هانريش فريدريش عام 1809، ويستخدم كمضاد حيوي، وكذلك في صناعة بعض اللحوم والأجبان.

ومن ناحية أخرى، وبما أن الحموضة الشديدة تحد من نشاط القلويات، فكان الليمون وسيلة من هذه الوسائل، وهو ما اعتمده كازانوفا ـ العالم بالأساس بجانب مغامراته الشهيرة ـ في القرن الـ 18 كوسيلة من وسائل منع الحمل، فبعد عصر الليمونة يوضع نصفها فوق عنق الرحم، ليبدأ حمض الستريك الموجود في الليمون في إضعاف الحيوانات المنوية أو إبطاء حركتها. وكذلك الاكتشافات الأثرية، حيث تم اكتشاف أقدم عصارة ليمون في تركيا، والتي أرجع الباحثون تاريخها إلى الربع الأول من القرن الـ 18، وكانت مصنوعة من الصلصال التركي.

من إسبانيا إلى بلاد فارس

وناتي إلى السلوك الثقافي للشعوب، فهناك نوع من الليمون يُسمى (ليمون النمر) ينمو في إسبانيا، وهو نوع صغير ومستدير من الليمون له خطوط صفراء فوق قشرته الخضراء، أشبه بفروة النمر، له رائحة قوية ويستخدم في المأكولات الحلوة والمالحة. ونعرج على بلاد فارس، حيث (الليمون الأسود) المُزَعْ من عصارته، الذي يتم تجفيفه تحت أشعة الشمس، ويُستخدم في الطعام.

555

لا أحد في مصر يجهل هذا العطر، أو كولونيا 555، فلا يوجد بيت في مصر حتى وقت قريب كان يخلو من هذه الزجاجة التي قد تغيب لفترة منسية في أحد الأدراج أو في دولاب الملابس، ولكنها تشرق من جديد. وهو عطر مُستحضر من الليمون ويحتوي على نسبة عالية من الكحول. هذا العطر الذي تأسس كمُنتج عام 1924 على يد حمزة الشبراويشي، كان المفضل للملك فاروق. وقد تم تأميم المصنع وقت هوجة التأميم التي طالت مصر بعد تموز/يوليو 1952. غابت 555 لفترة، إلا أنها ظهرت بقوة مرّة أخرى عند انتشار جائحة كورونا، كمطهر واقٍ نظراً لنسبة الكحول الكبيرة والرائحة اللطيفة التي يتميز بها، بديلاً عن الكحول الخام وتأثيره السيء على الجلد والبشرة.

كذلك المشروب المصري الشهير «سبيرو سباتس»، قبل أن تضرب مصر الكوكا كولا والبيبسي، هذا المشروب الذي اختفى لعقود، ثم ايضا عاد وظهر بقوة بعد تطويره وانتشر بين المصريين وقت مقاطعة المنتجات التي كانت تسهم في دعم الاحتلال الصهيوني وقت العدوان على غزة مع بداية حرب السابع من أكتوبر 2023 وحتى الآن. واعتماد هذا المشروب بعد علامة فارقة من علامات الوعي المصري في تفعيل فعل المقاطعة للعديد من السلع والمنتجات التي تدعم الكيان، وربما كانت المقاطعة من أبسط الطرق وأكثرها فعالية، خاصة لشعب لا يملك من أمره شيئاً.

الأمثلة الشعبية

ويحضر الليمون في الأمثال الشعبية من خلال ثمنه ومذاقه، فنقول.. (العدد في الليمون)، وهو مثل شعبي يتمثل رخص ثمن الليمون في الماضي، وأصبح يستخدم دلالة على شيء رخيص موجود بكثرة، أو بمعنى ضمني مفهوم بأنه ليس له قيمة تُذكر. وأيضا.. (أعصُر على نفسك ليمونة)، حيث حموضة عصير الليمون، والغصة التي يخلفها في الحلق عند تناوله مباشرة، وهو مثل يُقال عند ضرورة احتمال أمر أو شخص كرهاً، ودون إرادة. بمعنى موقف صعب على صاحبه الاحتمال حتى يتجاوزه.

المعرض

لا تنفصل اللوحات عن المجسمات في تجسيد الجو الاحتفالي بهذه الثمرة، نلحظ ذلك أيضاً في الألوان المُبهجة والمستمدة كلها من الطبيعة، بما أن البطولة هنا لأحد عناصرها ومُنتجاتها. فالأواني مُبهجة وقوية ومتداخلة، وكأنها ألوان كرنفالية. كذلك يبدو تناغم الطبيعة في التواصل مع عناصرها... بشر ونبات وحيوان، ومصنوعات من الطبيعة نفسها كصناديق الخوص (الأسبتة) وما شابه من هذه الأدوات، مع الالتفات إلى الليمونة نفسها كعنصر مؤثث له جماله، والذي ينتمي إلى عالم أكبر من الجمال، ألم تكن الطبيعة نفسها مؤنثة؟

تحقيقات

تعديل دستوري وحزمة قوانين تسبق الانتخابات في الجزائر... هل سيكون البرلمان المقبل مختلفا؟

الجزائر – «القدس العربي»: محمد سيدمو

مع بدء العد التنازلي في الجزائر لانتخاب البرلمان المقبل، تشهد البلاد سباقا ضد الزمن لاعتماد التعديل الدستوري التقني وإتمام مشاريع قوانين كبرى تتعلق بهذا الموعد السياسي الذي ينتظر أن يجمع كل الأحزاب السياسية الناشطة في الساحة حتى تلك التي كانت متحفظة في السابق على الانخراط في المسار الانتخابي لمرحلة ما بعد الحراك الشعبي سنة 2019.

ولئن كان هذا الزخم من القوانين والتشريعات قد حرّك البرلمان في أواخر عهدته الانتخابية ووضعه في واجهة الأحداث بعد سنوات من الانتقادات التي تطاله بالجمود، إلا أن النقاش السياسي مع ذلك لم يخرج من دائرة المؤسسة التشريعية إلى ساحة النقاش المجتمعي الذي يظل في موقع المتفرج على تفاعلات الأحداث وسيرورتها. وهذا الوضع كان مثار انتقاد من أحزاب سياسية، رأت أن بعض القوانين لم تنل حظها الكامل من إبداء الرأي والملاحظات بسبب أنها وردت بصيغة مستعجلة قبل مداهمة موعد التشريعيات. عكس ذلك، يرصد رأي آخر أن الرئاسة والحكومة، سعتا على مدار الأشهر الأخيرة لاستشارة الأحزاب وطلب ملاحظاتها على ما قدمته من مشاريع، وهو عمل تم في نوع من الهدوء عبر تبادل المراسلات وعقد اجتماعات بعيدا عن الضجيج الإعلامي، ما أعطى انطباعا خاطئا، وفق هذا الرأي، بعدم وجود نقاش.

ولعل أبرز مشروع تم عرضه والمصادقة عليه، هو التعديل التقني للدستور الذي ظهر بشكل مفاجئ في بيان لمجلس الوزراء قبل أشهر، ثم أخذ مساره القانوني في المصادقة عليه أمام البرلمان بغرفتيه بأغلبية ساحقة خلال الأسبوع الأخير. وهنا أيضا، أثير جدل سياسي حول طبيعة المشروع والمسار الأنسب لاعتماده، بين من اعتبره تعديلا إجرائيا يمكن تمريره عبر البرلمان، ومن رآه يحمل أبعادا سياسية تستدعي عرضه على الاستفتاء الشعبي.

الحكومة عبر ممثلها وزير العدل، لطفي بوجمعة، دافعت عن الطابع «التقني» للمشروع، بالاستناد لرأي المحكمة الدستورية التي أجازت عرضه على البرلمان، مع التأكيد أن التعديلات المقترحة لا تمس بالمبادئ العامة ولا بالتوازنات الأساسية بين السلطات، ما يبرر الاكتفاء بمصادقة البرلمان من دون اللجوء إلى الاستفتاء. وهذا الرأي أيدته كل أحزاب الموالاة والمعارضة الممثلة في البرلمان.

في المقابل، اعتبر رئيس التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، عثمان معزوز، أن المشروع يتجاوز البعد التقني، إلى ما وصفه بـ «إعادة توجيه سياسية» تمس بتوازنات قائمة، خاصة في ما يتعلق بدور السلطة المستقلة للانتخابات وصلاحيات بعض الهيئات، وهو ما يجعله، حسب معزوز، أقرب إلى تعديل سياسي منه إلى مجرد تصحيح إجرائي.

أما حزب العمال بقيادة لويزة حنون، فدعا إلى الاحتكام للاستفتاء الشعبي، معتبرا أن التعديلات تمس جوهر منظومة الحكم ولا يمكن حصرها في إطار تقني، مع الدعوة إلى ضرورة إعادة الكلمة للشعب وفتح نقاش وطني حول مضامينها، وهو رأي بقي معزولا في الساحة السياسية عموما.

الإسراع بالتعديل الدستوري

من الواضح أن مشروع التعديل الدستوري التقني، يرتبط بشكل أساسي بالموعد الانتخابي حتى وإن تضمن تعديلات أخرى لها علاقة لها بالعملية الانتخابية؛ لذلك كان التعجيل به ضروريا، كونه يعيد ضبط تفاصيل متضمنة في الدستور، لا يمكن بدونها تعديل باقي القوانين المرتبطة بالانتخابات، انطلاقا من قاعدة سمو الدستور على القوانين.

ومن أهم ما جاء به التعديل التقني للدستور في هذا الباب، التراجع عن فكرة منح «السلطة الوطنية للانتخابات» صلاحية الإشراف على العملية الانتخابية من ألفها إلى يائها، والعودة لوزارة الداخلية في مسائل التنظيم الإدارية واللوجستية، مع إبقاء الدور الرقابي للسلطة الوطنية للانتخابات، وهو توجه تقول الحكومة إنه يأتي انطلاقا من التجارب الانتخابية الأخيرة التي أظهرت عدم قدرة السلطة على الاضطلاع لوحدها بتنظيم العملية الانتخابية.

وفوق دبياجة التعديل الدستوري التي حملت عرض الأسباب، فإن السلطة الوطنية للانتخابات على الرغم من إدراجها ضمن مؤسسات الرقابة في دستور 2020، فإن الصلاحيات الممنوحة لها تتجاوز ذلك إلى التحضير والتنظيم والتسيير والإشراف على العمليات الانتخابية والاستفتاء. وترى الحكومة أن هذا التداخل في المهام يستدعي إعادة توزيع الأدوار، بما يسمح للسلطة الوطنية بالتركيز على مهمتها الرقابية الأساسية، مع ضمان فعالية أكبر في تسيير العمليات الانتخابية. لذلك، جعل النص مهام التحضير المادي والتنظيمي للانتخابات في يد وزارة الداخلية والجماعات المحلية، مقابل إسناد مهام الرقابة على الانتخابات الرئاسية والتشريعية والمحلية وعمليات الاستفتاء إلى السلطة الوطنية، مع التنصيص على هذه المهام وفترة عمل السلطة ضمن القانون العضوي المتعلق بنظام الانتخابات.

عدا ذلك، شملت التعديلات في مشروع التعديل الدستوري جملة من الأحكام المرتبطة مباشرة وغير مباشرة بالعملية الانتخابية وتنظيم المجالس المنتخبة، أبرزها إدراج شرط إثبات مستوى تعليمي ضمن شروط الترشح لمنصب رئيس الجمهورية المنصوص عليها في المادة 87، من دون الإشارة لضرورة وجود الشهادة الجامعية، في صيغة بدت توفيقية بعد الجدل الذي أثاره هذا المقترح في المسودة الأولى.

كما مست التعديلات طريقة تمثيل الولايات في مجلس الأمة، حيث تم استبدال مبدأ المقعدين لكل ولاية باعتماد معيار عدد السكان لتحديد عدد المقاعد، ما يعني تغييرا في كيفية توزيع التمثيل داخل الغرفة العليا للبرلمان. وفي هذا الإطار، نصت الأحكام الانتقالية على استمرار الأعضاء الحاليين في ممارسة عهدتهم إلى غاية موعد التجديد النصفي الذي يلي نشر الدستور.

وتناولت التعديلات أيضا آلية الفصل في الخلافات بين غرفتي البرلمان، من خلال تمكين مجلس الأمة من الفصل في بعض الحالات المرتبطة بالنصوص التي تدخل ضمن اختصاصه، بعد أن كان الحسم النهائي يعود في جميع الحالات إلى المجلس الشعبي الوطني.

وبشأن الإطار العام للعملية الانتخابية، تم توسيع صلاحيات رئيس الجمهورية لتشمل إمكانية الدعوة إلى انتخابات محلية مسبقة، بعد ما كان هذا الإجراء يخص الانتخابات الرئاسية والتشريعية فقط. كما تضمنت التعديلات ترتيبات ذات صلة بالمسار المؤسساتي المرتبط بالانتخابات، من خلال التنصيص على أداء اليمين الدستورية أمام البرلمان بغرفتيه مجتمعين، مع الإبقاء على تلاوة نص اليمين من قبل الرئيس الأول للمحكمة العليا، وهو ما يندرج ضمن تنظيم الإجراءات الرسمية المرافقة لتولي منصب رئاسة الجمهورية بعد الانتخابات الرئاسية التي تقام كل 5 سنوات.

قانون الانتخابات

وبعد الفراغ من التعديل الدستوري، سيكون الموعد مع تعديلات مشروع القانون العضوي للانتخابات الذي ينتظر أن يجري في غضون الأسبوع الأول من شهر نيسان/أبريل، على اعتبار أن آخر أجل لاستدعاء الهيئة الناخبة (البدء في المرحلة القبلية للانتخابات) سيكون يوم 8 من ذات الشهر.

وتتضمن مسودة هذا القانون التفاصيل الدقيقة لتوزيع الأدوار بين مختلف المتدخلين في تنظيم العملية الانتخابية، عبر إسناد الجانب المادي واللوجيستي للانتخابات إلى مصالح وزارة الداخلية، مع تحديد دور وزارة الشؤون الخارجية في تنظيم الانتخابات والاستفتاءات خارج الوطن، في مقابل الإبقاء على الصلاحيات العامة للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات في الإشراف على سير العمليات الانتخابية.

وبذلك، تضمن المشروع إعادة تنظيم سلطة الانتخابات، من خلال تقليص عدد أعضائها واعتماد هيكل جديد يقوم على مجلس يضم 10 أعضاء بدل 20، إلى جانب مكتب تنفيذي يتشكل من رئيس السلطة وعضوين منتخبين، يتولى تنفيذ قرارات المجلس، في إطار اعتماد آلية التداول في اتخاذ القرارات بدل الطابع الفردي. كما نص المشروع على إخضاع رئيس وأعضاء السلطة لنظام الانتداب أو الإلحاق طيلة مدة عهدتهم، مع اشتراط توفر خبرة في المجال الانتخابي، كما تم إخضاع مستخدميها للقانون العام للوظيفة العمومية بدل نظام خاص.

وشملت التعديلات أيضا إلغاء الهياكل المحلية والدبلوماسية التابعة لسلطة الانتخابات، واستبدالها بمنسقين يتم تعيينهم بمناسبة كل استحقاق انتخابي على المستوى الولائي والبلدي وكذا في الخارج، من دون أن تكون لهم صفة العضوية، مع تحديد مهامهم وفترة عملهم من استدعاء الهيئة الناخبة إلى غاية إعلان النتائج، وفرض شروط تتعلق بعدم ارتباطهم بالمناطق التي يشرفون عليها.

وخارج مسألة تنظيم الانتخابات، تم في جانب التمثيل السياسي، تخفيض نسبة تمثيل المرأة في قوائم الترشيحات إلى الثلث بدل النصف، مراعاة للصعوبات التي وجدتها الأحزاب في الانتخابات الماضية بخصوص ترشيح سيدات في بعض المناطق بسبب الثقافة المحلية السائدة. كذلك، تم منح الأحزاب والمترشحين الأحرار صلاحية ترتيب المترشحين داخل القوائم، بعد أن كان الناخب يختار الأسماء مباشرة بدون ترتيب مسبق. كما رفع المشروع عدد المترشحين في القوائم الانتخابية مقارنة بعدد المقاعد المطلوب شغلها، في مختلف الدوائر، في مقابل تخفيض عدد التوقيعات المطلوبة لتقديم القوائم، سواء في الانتخابات المحلية أو التشريعية داخل الوطن أو في الخارج.

وفي ما يخص شروط الترشح، تم توحيد بعض الأحكام المتعلقة بعدم القابلية للترشح بالنسبة للعسكريين، مع اشتراط مرور مدة زمنية بعد إنهاء الخدمة، إضافة إلى إدراج شرط إثبات الوضعية الجبائية للمترشح، سواء عبر تسديد الضرائب أو جدولتها أو إثبات عدم الخضوع لها.

وبالنسبة للانتخابات الرئاسية، تم إدراج شرط إثبات المستوى التعليمي للمترشحين، تماشيا مع ما نص عليه التعديل الدستوري في هذه النقطة، إلى جانب تحديد إجراءات التعامل مع حالات وفاة أحد مترشحي الدور الثاني أو تعذر استمراره، عبر ضبط آجال تنظيم انتخابات جديدة. كما نص المشروع على إجراءات انتقالية، من بينها إعفاء القوائم في الولايات المستحدثة من شرط جمع التوقيعات خلال أول انتخابات تلي صدور القانون، في سياق تكييف القواعد الجديدة مع الوضع الإداري لهذه الولايات.

قانون التقسيم الإقليمي

وفي الواقع، انعكس استحداث ولايات (محافظات) جديدة في الجزائر، بشكل مباشر على تنظيم الانتخابات والمجالس المنتخبة ونسب التمثيل الانتخابي، وهو ما دفع الحكومة إلى اعتماد قانون جديد للتقسيم الإقليمي بما يعيد مراجعة الخريطة الانتخابية وعدد المقاعد المخصصة لكل ولاية.

وفي هذا السياق، رفع القانون عدد الدوائر الانتخابية الخاصة بانتخابات المجلس الشعبي الوطني من 58 إلى 69 دائرة، بإضافة 11 دائرة تمثل الولايات المستحدثة، مع الإبقاء على الدائرة الانتخابية الخاصة بالجالية الوطنية بالخارج. كما تضمن النص إعادة توزيع المقاعد بين الولايات، من خلال تقليص عدد من المقاعد في بعض الولايات الأصلية التي اقتُطعت منها ولايات جديدة، وتحويلها لفائدة هذه الولايات المستحدثة، ما يعكس تغييرا في التوازن التمثيلي بين مختلف المناطق.

وأدى هذا التعديل إلى رفع عدد مقاعد المجلس الشعبي الوطني من 407 إلى 422 مقعدا، أي بزيادة 15 مقعدا، مقابل زيادة أكبر في مجلس الأمة، حيث ارتفع عدد مقاعده من 174 إلى 207 مقاعد، بزيادة 33 مقعدا، مع توزيع المقاعد على أساس تمثيل الولايات، إلى جانب الإبقاء على حصة التعيين ضمن الثلث الرئاسي.

قانون الأحزاب

وفي جوقة التشريعات الجديدة، ظهر قانون منتظر منذ سنوات طويلة يتعلق بالأحزاب السياسية، وهو رغم ارتباطه الوثيق بالانتخابات، إلا أنه يتعدى ذلك إلى تنظيم كامل الحياة السياسية في البلاد، مع إجراء ذي أبعاد رمزية يتعلق بعدم السماح لأي رئيس حزب بمواصلة مهامه لأكثر من عهدتين، وهو ما يضع حدا لظاهرة تأبيد المنصب.

وفي الشق المرتبط بالانتخابات، تضمن المشروع منع المنتخبين من تغيير انتمائهم الحزبي خلال العهدة الانتخابية أو ما يعرف بـ«التجوال السياسي»، مع ترتيب آثار تنظيمية وقانونية على ذلك قد تصل إلى شطب العضو المعني من قوائم الحزب، في خطوة تستهدف الحد من ظاهرة انتقال المنتخبين بين الأحزاب أثناء العهدة. كما نص على ضرورة المشاركة في المواعيد الانتخابية تحت طائل معاقبة الحزب، ما يعني نهاية فكرة «مقاطعة الانتخابات».

وفي جانب التنظيم الداخلي، ألزم النص الأحزاب بإدراج نسب تمثيل للشباب والمرأة ضمن هياكلها وأجهزتها، مع اشتراط حضورهما أيضا ضمن تركيبة المؤسسين والمؤتمرين في المؤتمرات التأسيسية، ما يفرض على الأحزاب تضمين هذه المعايير في قوانينها الأساسية.

ومن حيث الإطار العام للنشاط السياسي، أقر المشروع بحرية نشاط الأحزاب، مع ربطها بجملة من الضوابط المرتبطة باحترام الدستور والنظام الديمقراطي والجمهوري، وثوابت الدولة، ومنع اللجوء إلى العنف أو خطاب الكراهية، إضافة إلى حظر استغلال الدين وأماكن العبادة ومؤسسات التربية لأغراض سياسية.

كما وضع النص قيودا تتعلق بهوية الحزب، من خلال منع اعتماد تسميات أو رموز مشابهة لأحزاب قائمة أو استعمال رموز الدولة، إلى جانب حظر استعمال اللغات الأجنبية في النشاطات داخل التراب الوطني.

وفي ما يخص الانخراط، أقر المشروع بحق كل مواطن في الانضمام إلى حزب واحد فقط، مع استثناء بعض الفئات أثناء ممارستها لمهامها، مثل القضاة وأفراد الجيش والأسلاك الأمنية وبعض أعوان الدولة، حيث يُمنعون من الانخراط الحزبي ويُلزمون بقطع أي علاقة تنظيمية مع الأحزاب.

كما حدد المشروع أدوار الأحزاب في المجال السياسي، من خلال مساهمتها في تشكيل الرأي العام، وتأطير المواطنين، وإعداد النخب، واقتراح مترشحين للانتخابات، والمشاركة في العمل البرلماني، بما في ذلك ممارسة أدوار في المعارضة، مع إمكانية استشارتها من قبل السلطات العمومية ضمن آليات العمل المؤسساتي.

انعكاس القوانين على الانتخابات

ومع تدفق هذه القوانين قبل أشهر قليلة من الانتخابات التشريعية، يبرز التساؤل حول مدى تأثير كل ذلك على شكل وتركيبة البرلمان المقبل، خاصة في ظل المشاركة القياسية المتوقعة في هذا الموعد، بعد إعلان الأحزاب التي قاطعت الانتخابات التشريعية احتجاجا على المسار الانتخابي بعد حراك 2019، العودة عن قرارها. ويشكل هؤلاء أحزابا تنتمي إلى ما يعرف بالتيار الديمقراطي مثل جبهة القوى الاشتراكية وحزب العمال والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

وبالنسبة لكثير من السياسيين، لا يعني تجديد النصوص القانونية بالضرورة، أن الانتخابات المقبلة ستكون خالية حتما من الشوائب المعتادة، إذ يرتبط الأمر عندهم بما يتجاوز النصوص إلى الإرادة السياسية في تحقيق شروط النزاهة. وهناك من يرى أكثر من ذلك، أن النصوص المعتمدة، خاصة منح وزارة الداخلية أدوارا انتخابية، يعد تراجعا عن فكرة حياد الإدارة في العملية الانتخابية، وهو رأي عبّر عنه عثمان معزوز رئيس التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية المعارض.

كما يتخوف البعض من بقاء المادة 200 من قانون الانتخابات في فقرتها السابعة، والتي شكلت مقصلة حقيقية للمترشحين في الانتخابات التشريعية لسنة 2022 حتى لدى أحزاب تنتمي للموالاة. وتنص هذه المادة على: «الا يكون المترشح معروفا لدى العامة بصلته بأوساط المال والأعمال المشبوهة، وتأثيره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الاختيار الحر للناخبين وحسن سير العملية الانتخابية». وقد استعمل هذا النص الذي لا يتضمن معايير دقيقة في إقصاء نحو 700 مرشح خلال الانتخابات السابقة، وهو ما أثار حفيظة أحزاب رأت فيه محاولة لإفراغ قوائمها من الأسماء الوازنة باستعمال مبررات المال الفاسد.

وفي خضم هذا النقاش، قال نائب رئيس حركة مجتمع السلم «حمس»، ناصر حمدادوش، إن التعديل الدستوري التقني المطروح وباقي القوانين لا ينتظر منها لوحدها، معالجة الإشكالات المرتبطة بنزاهة العملية الانتخابية، مؤكدا أن التجربة الجزائرية عرفت عبر السنوات أنماطا مختلفة من الإشراف على الانتخابات، من دون أن ينعكس ذلك بشكل ملموس على واقعها. وأوضح القيادي في حمس (معارضة معتدلة) لـ «القدس العربي» أن الانتخابات في الجزائر انتقلت من الإشراف الإداري إلى القضائي، ثم السياسي، وصولا إلى إنشاء السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، غير أن هذه التحولات، حسبه، لم تنه الاختلالات التي ترافق الاستحقاقات، ولا الجدل المتكرر حول نتائجها، ما يعكس – برأيه – أن المشكلة أعمق من مجرد تغيير الأطر التنظيمية أو الهيئات المشرفة.

وأشار حمدادوش إلى أن جوهر المسألة يرتبط أساسا بمدى توفر الإرادة السياسية العليا لضمان نزاهة الانتخابات، إلى جانب طبيعة الثقافة السياسية السائدة لدى مختلف الفاعلين، سواء داخل السلطة أو الأحزاب أو حتى في المجتمع، معتبرا أن أي إصلاح قانوني أو دستوري يظل محدود الأثر ما لم يواكبه تحول حقيقي في الممارسة السياسية.

وفي هذا السياق، شدد على أن العبرة لا تكمن في سنّ النصوص الدستورية والقانونية في حد ذاتها، بقدر ما تتجسد في كيفية تطبيقها على أرض الواقع، ومدى احترامها فعليا خلال مختلف مراحل العملية الانتخابية، بما يعزز الثقة في المؤسسات ويحد من التشكيك في نتائج الاقتراع. بخلاف ذلك، يؤكد النائب أحمد ربحي، عن جبهة التحرير الوطني أكبر أحزاب الموالاة، أن هذه التعديلات من شأنها المساهمة في إزالة الإشكالات التي شهدتها الاستحقاقات الانتخابية السابقة، خاصة من خلال تمكين السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات من أداء مهامها الرقابية بشكل أكثر فعالية، من دون إثقالها بالمسائل التنظيمية والإدارية. وأبرز النائب في تصريحه لـ«القدس العربي» أن قوى الموالاة تنخرط في مسار الإصلاحات السياسية والدستورية التي تعهد بها رئيس الجمهورية منذ عهدته الأولى، والتي تم تجديدها مع بداية العهدة الثانية، معتبرا أن مشروع التعديل الدستوري التقني المعروض يشكل امتدادا طبيعيا لهذا المسار.

ويرى ربحي أن هذا التعديل جاء نتيجة ما وصفه بالقصور الذي ظهر في بعض المواد الدستورية خلال الممارسة الفعلية، مشيرا إلى أن التجربة أفرزت الحاجة إلى إدخال تعديلات إجرائية تسمح بتصحيح بعض الاختلالات وضمان انسجام أكبر في عمل المؤسسات. وأضاف أن الطابع «التقني» للتعديل لا يقلل من أهميته، بل يجعله أداة لتكييف النص الدستوري مع متطلبات الواقع السياسي والمؤسساتي.

وفاة أحمد قعبور
تُشعل موجة حزن على شبكات التواصل

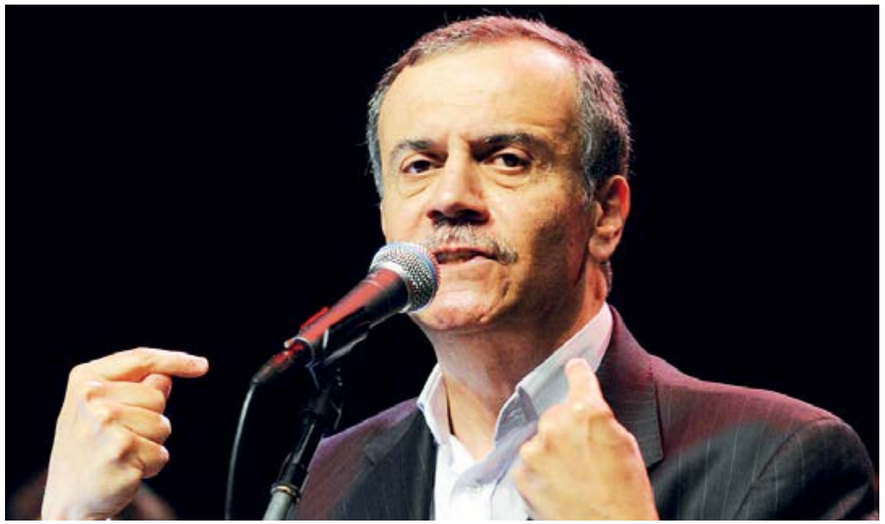

لندن ـ «القدس العربي»:

عمَّت موجة من الحزن شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي بعد تداول خبر وفاة الفنان اللبناني المعروف والملتزم أحمد قعبور، فيما تداول المستخدمون والنشطاء عبارات النعي بوفاة الفنان الراحل، واستذكروا العديد من أغانيه الوطنية لا سيما «أناديكم» التي اشتهر بها وظلت ترددها الجماهير العربية جيلاً بعد جيل منذ ظهورها قبل عقود طويلة وحتى الآن.

وتوفي قعبور مساء الخميس الماضي عن عمر ناهز 71 عاما، بعد صراع مع مرض السرطان، ومسيرة فنية امتدت نحو خمسة عقود ارتبطت بفلسطين والإنسان وقضايا العدالة والحرية. وأعلنت عائلته خبر الوفاة في بيان مقتضب نشرته عبر صفحته الرسمية على فيسبوك، سائلة له الرحمة والمغفرة.

ولقي منشور النعي في ساعة واحدة فقط آلاف التفاعلات ومئات التعليقات والمشاركات، عبر فيها محبوه عن حزنهم لرحيله، ونعاه متابعون بعبارات من قبيل «رحل الصوت الحنون» و«خسارة كبيرة جداً» و«شكراً لكل الحب الذي قدمته»، مع دعوات كثيرة بالرحمة لصوته الذي شكل جزءاً من الذاكرة العربية.

وسرعان ما تصدر اسم أحمد قعبور قوائم الوسوم الأوسع انتشاراً والأكثر تداولاً على شبكات التواصل الاجتماعي، فيما تداول الكثير من النشطاء والمستخدمين من مختلف أنحاء العالم العربي، وليس فقط لبنان وفلسطين، عبارات النعي والتعبير عن الحزن لوفاة الفنان الراحل الذي شكلت أغانيه دافعاً لمقارعة الاحتلال والتصدي له على مر السنوات الماضية.

كما رثاه ناشطون وإعلاميون وفنانون على منصات التواصل، مستعيدين أثره في الوجدان اللبناني والعربي، ووصفوه بأنه «صوت للمقاومة في لبنان وفلسطين» و«أحد أهم من غنّى لفلسطين والإنسان» في الأغنية العربية المعاصرة.

ما أعطيتَهُ لهذا الوطن سيبقى حيا

ونشر رئيس الحكومة اللبنانية نواف سلام عبر حسابه على شبكة «إكس» نعياً حزيناً للفنان قعبور، وكتب يقول: «وداعاً أخي وصديقي الفنان الكبير أحمد قعبور. بغيابك خسرنا قامة إنسانية ووطنية كانت تشد على أيادينا وتضيء العتمة في قلوبنا وقت المحن». وأضاف سلام: «أحمد قعبور لن نعتاد على غيابك. ثمّ قريرُ العين يا صديقي فما زرعتَهُ في أجيال من أهل بلادي لن يذبل، وما أعطيتَهُ لهذا الوطن سيبقى حيّاً في كل قلب ينبض».

كما نعى رئيس الحكومة اللبنانية الأسبق سعد الحريري في منشور عبر «فيسبوك» الفنان الراحل، واصفاً إياه بأنه «الفنان المبدع»، مؤكداً أن اسم قعبور سيبقى «علامة مضيئة في مسيرة الفن الراقي والملتزم، وأن أحياء بيروت «ستحفظ الحانه وتردد أناديكم وعلوا البيارق».

كما كتب الحريري أيضاً على شبكة «إكس» يقول: «رحم الله الفنان المبدع أحمد قعبور، سيبقى اسمه علامة مضيئة في مسيرة الفن الراقي والملتزم، وستظل أحياء بيروت وشوارعها تحفظ الحانه وتحافظ على لونه، وتردد «علوا البيارق علوها»، مثلما صارت «أناديكم» نشيدا للالتزام النقي على مدى أجيال.. أحرّ التعازي لعائلته ومحبيه، سائلين الله أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله الصبر والسلوان».

أما الصحافي الفلسطيني المقيم في الولايات المتحدة نظام مهداوي، فنشر تدوينة جاء فيها: «التقيتُ الفنان اللبناني أحمد قعبور في بيروت قبل نحو أربعة عقود. وكانت أغنية (أناديكم) أنذاك نشيداً للأمة، بعد أن انتشرت على نطاق واسع. تلتها أغانٍ لا تقل قيمة، مثل (يا نبض الضفة) و(سمّونى لاجئًا).. توفي اليوم قعبور، ولم يترك وراءه أثراً غنائياً عبّر عن صوت المقاومة والصمود فحسب، بل ترك أيضاً أثراً إنسانياً وشخصياً في كل من عرفه عن قرب.. غنى لفلسطين كما لم يغن مطرب قبله، وظلّ ملتزماً بالفن الأصيل والمعبر، وهو التزام له ثمن يدفعه الفنان، بخلاف مطربي الغرائز وهزّ الجسد.. رحم الله قعبور رحمةً واسعة».

أناديكم كانت حنجرتنا الفلسطينية

وعلق محمد هنية، وهو صحافي فلسطيني: «كانت أناديكم بصوتك شيء يقرع القلب، تتفاعل معه الروح قبل الأذن، كانت صرختنا النسبية في عالم الغاب، كانت حنجرتنا الفلسطينية.. إلى رحمة الله يا أحمد قعبور».

أما الناشط الفلسطيني المعروف رامي عبده فكتب يقول: «رحم الله الفنان اللبناني أحمد قعبور، عاش صوتاً للمقاومة في لبنان وفي فلسطين. نادى أصحاب الأرض بـ(أناديكم)، وخاطب الأرض بـ(يا رايح صوب بلادي) و(يا نبض الضفة).. إلى رحمة الله».

وكتبت رشا الشرف: «كان لي الشرف والحظ أن أكون جزءً من عائلة تلفزيون المستقبل الحلوة وأن أكون في إعلان من كلمات العظيم أحمد قعبور.. الله يرحمه كان قامة فنية كبيرة.. كل التعازي لأهله وأحبابه».

وقال الإعلامي والصحافي المعروف سامي كليب ناعياً قعبور: «أناديكم.. وتسقط دمعة أخرى على خد الوطن الذي ردّد معه طويلا أناشيد الحرية ولغة الحب والصدق والنضال، قبل أن تستشهد القضايا على مذبح المافيات.. كم كنتَ أيها المبدع أحمد قعبور لحظة فرح وأمل في تاريخ جيلنا، وكم خذلك الحاضر كما خذلنا.. رحمة الله عليك وتعازينا القلبية لعائلتك وكل محبيك من المحيط إلى الخليج».

أما الناشطة رنا فكتبت تقول: «أحمد قعبور من الفنانين الذين شكلوا جزءً من طفولتي ووعيي مثلي مثل كثير من أبناء جيلي والجيل الأكبر مني.. غنّى للناس وللبلد، لبيروت وللجنوب ولفلسطين وللمفقودين وللحرية».

وقال حساب يحمل اسم «ميغا فون» ويختص بأخبار بالنسبة إلى ولكتار هيدي أحلى أغنية أنتجها وبقيت محفورة لليوم بذاكرة اللبنانيين، الله يرحمك».

يشار إلى أن أحمد قعبور ولد في بيروت عام 1955 في بيت شعبي بسيط، كان والده محمود الرشيدي من أوائل عازفي الكمان في لبنان، وبدأ اهتمامه بالموسيقى منذ عمر العاشرة، حيث كان أستاذه الأول هو الموسيقي اللبناني سليم فليفل، وأدرك لاحقاً أن الفن مسؤولية وموقف.

ويقول المقربون من قعبور إن موقفه من العالم تشكل عبر قربه من مخيم «صبرا» حيث التقى الفلسطينيين، فأصبح من الصعب عليه أن يفصل قضية فلسطين عن فنه الذي صدح بها وبالمقاومة.

وفي منتصف السبعينيات من القرن الماضي، قدم وهو في الـ19 من عمره أغنية «أناديكم»، وذلك في العالم 1975، وهي من كلمات الشاعر الفلسطيني توفيق زياد، لتصبح علامة فارقة في مسيرته وأحد أشهر أناشيد القضية الفلسطينية في الوجدان العربي، وترتبط اسمه مبكراً بفن الالتزام والانتصار للإنسان وفلسطين، حتى ظنه الشاعر محمود درويش فلسطينياً قبل أن يعرف أنه لبناني.

وعلى مدى عقود قدم قعبور عشرات الأغاني الملتزمة والوطنية والإنسانية، من بينها «علوا البيارق» و«يا نبض الضفة»، إلى جانب أغنيات عاطفية وشعبية، وامتد حضوره إلى المسرح والسينما والتلفزيون، فشارك في أعمال بارزة مثل فيلم «ناجي العلي» وعدد من المسلسلات التاريخية والثقافية، وصولاً إلى ظهوره في مسلسل «النار بالنار» عام 2023.

وخصص قعبور جزءاً مهماً من تجربته للفن الموجه للأطفال، فلحنا مئات الأعمال ضمن «مسرح الدمى اللبناني» وبرامج تلفزيونية، كما ارتبط اسمه بأغان رمضانية وشعبية أصبحت جزءاً من الذاكرة اليومية لجمهور واسع.

وفي عام 2016 حصل قعبور على «جائزة القدس للثقافة والإبداع» تقديراً لدوره في الإبداع المقاوم وحضوره اللافت في الأغاني التي تناولت القدس وفلسطين، وهو تكريم رسّخ مكانته باعتباره من أبرز الأصوات التي جعلت من الفن وسيلة للدفاع عن الذاكرة والحق.

جدل داخل البرلمان البريطاني حول «المحتوى المضلل» على شبكات التواصل... والشركات تدافع

لندن ـ «القدس العربي»:

شنَّ عدد من أعضاء مجلس العموم البريطاني هجوماً لاذعاً على شركات التكنولوجيا الأمريكية التي تمتلك شبكات التواصل الاجتماعي العالمية، واعتبروا بأنها تشكل خطراً بسبب نشرها أخباراً مضللة، وبسبب انتشار مقاطع الفيديو المزيفة والتي يتم توليدها بالذكاء الاصطناعي والتي يعتقد بعض الناس بأنها حقيقية، بما يؤدي إلى زيادة التضليل.

وجاءت هذه الانتقادات خلال جلسة مناقشة خاصة عقدها البرلمان البريطاني الأسبوع الماضي للبحث في مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي والجدل حول استخدام الأطفال لها، والقيود الواجب فرضها على هذه الشبكات.

وقال تقرير نشرته جريدة «الغارديان» البريطانية إن شركات ميتا وتيك توك وإكس قدمت للبرلمان قائمة بالإجراءات التي اتخذتها لمواجهة هذه التحديات، لكنّها قوبلت بالتشكيك من قبل النواب، الذين اعتبروا أنها لم تحدث أي فرق على الإطلاق.

وتلقّت منصة «إكس» الحصة الأكبر من الانتقادات، حيث اتهمت النائبة إميلي دارلينغتون الشركة المملوكة للملياردير إيلون ماسك بتبني سياسات يمينية، وهو ما نفاه مدير الشؤون الحكومية العالمية فيها، ويغريدو فرناندير، الذي أكد أنهم «محايدون سياسياً»، معتبراً أن تعليقات ماسك تعبّر عن وجهة نظره لا عن وجهة نظر المنصة، التي «لا تتبنّى وجهة نظر سياسية»، حسب قوله.

وانتقد النائب جورج فريمان «إكس» بسبب عدم اتخاذها أي إجراءات لمواجهة انتشار «إنستغرام» يترك الأطفال عرضة للمحتوى العنيف على منصاتها، وهو ما دفع مديرة السياسات العامة لها ريبيكا ستيمسون للقول إن الشركة ستحقّق في القضية «بجدية كبيرة»، وفق تعبيرها.

وجاءت جلسة الاستماع التي استمرت لساعتين في وقت يدرس فيه النواب تغيير قانون وصول الأطفال إلى منصات التواصل الاجتماعي، بما في ذلك فرض عمر معيّن، لاستخدامها، بحسب «الغارديان».

وانتقدت رئيسة اللجنة دام تشي أونووراه انتشار المعلومات المضللة والمقاطع المزيفة حول الحرب على إيران. وتابعت: «كل العمل الذي تقولون إنكم تقومون به لمواجهة المخاطر على الإنترنت وجعل منصاتكم آمنة في بلدنا غير مفيد»، مضيفةً: «أعتقد أن هذا هو الإجماع لدى معظم الشعب البريطاني». كذلك، طالبت شركات التواصل الاجتماعي بتحسين درجة أمان منتجاتهم للمستخدمين، مهدّدة بفرض تشريعات إضافية لضمان سلامة المواطنين وحمايتهم.

وتواجه منصات التواصل الاجتماعي ضغوطاً تنظيمية متزايدة في بريطانيا ودول أخرى حول العالم بسبب انتشار المعلومات المضللة والمواد الإباحية المولّدة بواسطة الذكاء الاصطناعي وغيرها، وسط مساع في أكثر من دولها لحظر وصول القاصرين إلى الشبكات الاجتماعية، على غرار أستراليا التي بدأت في كانون الأول/ديسمبر الماضي تطبيق قانون يحظر على من هم دون 16 سنة استخدام تطبيقات التواصل الاجتماعي.

أردني معتقل بسبب مقطع فيديو يبدأ إضراباً عن الطعام

لندن ـ «القدس العربي»:

بدأ الناشط الأردني أحمد عليمات إضراباً مفتوحاً عن الطعام داخل سجنه، احتجاجاً على اعتقاله التعسفي، حيث أوقفته السلطات مؤخراً بعد ظهوره في مقطع فيديو يقول فيه إن إسرائيل هي التي تشكل تهديداً للأردن وليس إيران.

وقال تقرير نشرته المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن السلطات الأردنية اعتقلت الناشط أحمد العليمات على خلفية مواقفه العلنية المؤيدة للضربات الإيرانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وأشارت المنظمة إلى أن «هذه الخطوة أثارت تساؤلات حول حدود حرية التعبير في البلاد، ومدى اتساق الإجراءات المتخذة مع الالتزامات الدستورية والدولية للأردن».

ولم تصدر حتى الآن تفاصيل رسمية موسعة بشأن التهم الموجهة إليه أو الأساس القانوني الدقيق لاحتجازه، ما يفتح الباب أمام مخاوف تتعلق بضمانات المحاكمة العادلة والإجراءات الواجبة، بحسب المنظمة.

ويكفل الدستور الأردني حرية الرأي والتعبير، مع إمكانية تقييدها ضمن حدود القانون، غير أن هذه القيود، وفق المعايير الحقوقية المستقرة، يُفترض أن تكون محددة بدقة، وضرورية، ومتناسبة مع الهدف المشروع منها، كحماية الأمن الوطني أو النظام العام.

وقالت المنظمة العربية: «يثير اعتقال أفراد بسبب آرائهم السياسية، حتى وإن كانت مثيرة للجدل أو صادمة، إشكاليات تتعلق بتفسير هذه الحدود، خاصة عندما لا تقترن تلك الآراء بدعوات مباشرة إلى العنف أو التحريض الواضح عليه».

وأكدت أن الأردن طرف في عدد من الاتفاقيات الدولية، من أبرزها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الذي ينص على حماية حرية التعبير، مع فرض قيود ضيقة ومبررة فقط في حالات استثنائية. وفي هذا السياق، يُنظر إلى تجريم التعبير السلمي عن المواقف السياسية، أو توسيع مفهوم «التهديد للأمن» ليشمل آراء غير عنيفة، باعتباره اتجاهاً يثير القلق من منظور حقوقي.

وأشارت المنظمة إلى أن اعتقال عليمات يفتح الباب أيضاً أمام مسألة استخدام قوانين الجرائم الإلكترونية أو النصوص الفضفاضة المتعلقة بخطاب الكراهية أو تعكير صفو العلاقات مع دول أخرى، والتي قد تُفسَّر بشكل واسع يسمح بتقييد التعبير السياسي.

وخلصت المنظمة إلى القول: «يسلط اعتقال أحمد العليمات الضوء على ضرورة ضمان الحقوق والحريات الأساسية، ويعيد إلى الواجهة الحاجة إلى مراجعة الأطر القانونية الناظمة لحرية التعبير، بما يضمن عدم استخدامها لتقييد النقاش العام أو ملاحقة الأفراد بسبب مواقفهم السياسية، طالما بقيت في إطار التعبير السلمي».

علوم وتكنولوجيا

صناعة التكنولوجيا العالمية مهددة بالانهيار بسبب حرب إيران... إليكم التفاصيل

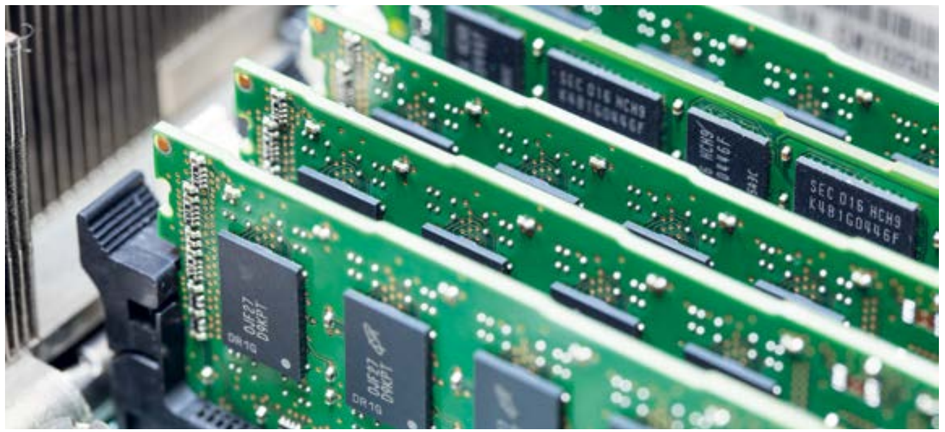

لندن – «القدس العربي»:

تواجه صناعة التكنولوجيا العالمية خطر الانهيار، أو على الأقل التباطؤ والركود والأزمة الخانقة، وذلك في حال استمرت الحرب على الأمريكية الإسرائيلية على إيران طويلاً، واستمرت حالة الفوضى في سلاسل الإمداد العالمية.

وثمة أزمة جديدة أطلت برأسها على العالم تتعلق بنقص في إمدادات غاز الهيليوم، وهو ما يُهدد بأزمة كبيرة في صناعة «الرقائق الإلكترونية» والتي تدخل في كافة صناعات التكنولوجيا الحديثة تقريباً، بما في ذلك الهواتف وأجهزة الكمبيوتر والسيارات الكهربائية الحديثة وغير ذلك.

وقال تقرير نشره موقع «أويل برايس» المتخصص، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن إنتاج الرقائق الإلكترونية قد يتأثر سلباً بالصراع الدائر في الشرق الأوسط، نتيجةً لاضطرابات سلاسل التوريد، لا سيما غاز الهيليوم، وهو عنصر أساسي في صناعة أشباه الموصلات.

وتتأثر بعض الصناعات، التي لم تكن متوقعة، بشدة جراء الحرب الإيرانية، حيث تتعرض العديد من سلاسل التوريد، وليس النفط والغاز فقط، لاضطرابات حادة، وقد يؤدي ذلك إلى تأخيرات كبيرة في إنتاج الرقائق الإلكترونية ما لم يتم التوصل إلى اتفاقيات بين القوى الرئيسية لوقف الصراع وتحرير طرق التجارة الحيوية.

ويُعد الهيليوم عنصراً أساسياً في صناعة أشباه الموصلات، ويُستخدم في عملية تصنيع الرقائق، كما يُساعد الهيليوم في الحفاظ على الظروف المثلى أثناء الإنتاج. وفي عملية الطباعة الحجرية، يُستخدم الهيليوم لإنشاء بيئة فراغ مستقرة ولضمان دقة محاذاة وتعريض الأقنعة الضوئية، كما يُساعد في تبريد مواد أشباه الموصلات، ما يُقلل من الإجهاد الحراري الذي قد يؤثر سلباً على وظائف الرقائق. وعلى عكس الغازات الصناعية الأخرى، لا يوجد بديل فعال للهيليوم في إنتاج الرقائق.

ويتميز الهيليوم بخموله الكيميائي، مما يُسهم في تقليل مخاطر التلوث أثناء عمليات الإنتاج، إضافةً إلى ذلك، تُتيح موصليته الحرارية المنخفضة التحكم الدقيق في درجة الحرارة. كما يتميز الهيليوم بخفة وزنه وصغر حجم ذراته، مما يسمح باستخدامه في إنشاء بيئات فائقة النظافة. ويُمكن استخدام الهيليوم المسبَّعين من تحقيق دقة أعلى وتفاوتات أدق في تصميم الدوائر.

ويُعد الهيليوم منتجاً ثانوياً لإنتاج الغاز الطبيعي المسال، مما يعني أن موردي الغاز الطبيعي المسال غالباً ما يكونون من كبار مُصدّري الهيليوم. ويعتمد بعض مُصنّعي أشباه الموصلات اعتماداً كبيراً على أسواق مُحدّدة لتوفير الهيليوم، لذا فإن انقطاع الإمدادات يُجبرهم على البحث عن موردين بديلين.

وقال تقرير «أويل برايس» إن كوريا الجنوبية، وهي مُنتج رئيسي لأشباه الموصلات، تعتمد العديد من الشركات اعتماداً كبيراً على دول الشرق الأوسط لاستيراد الهيليوم. فعلى سبيل المثال، استوردت 64 في المئة من احتياجاتها من الهيليوم من قطر. وتُساهم كوريا الجنوبية وتايوان معاً بنحو 36 في المئة من الإنتاج العالمي لأشباه الموصلات.

وأكد تقرير «أويل برايس» أن مصنع رأس لفان الضخم التابع لشركة قطر للطاقة يوفر وحده ما يقارب ثلث الإمدادات العالمية من الهيليوم، مشيراً الى أن المصنع توقف عن العمل لأكثر من أسبوع، بعد أن أدت غارات جوية إيرانية بطائرات مسيرة إلى توقف العمليات فيه، وأدى إغلاق المصنع إلى انخفاض فوري بنسبة 30 في المئة في إمدادات الهيليوم العالمية.

وتعتمد قطر والعديد من دول الشرق الأوسط بشكل كبير على مضيق هرمز، وهو ممر تجاري حيوي يربط الخليج العربي بخليج عُمان وبحر العرب، لنقل البضائع. ويُعتبر المضيق نقطة اختناق، نظراً لقلة البدائل المتاحة لنقل الطاقة، باستثناء بعض شبكات خطوط الأنابيب المحدودة في المنطقة. ولم يُؤدِ الإغلاق شبه الكامل للمضيق إلى أكبر اضطراب في إمدادات النفط في التاريخ فحسب، بل أدى أيضاً إلى اضطراب كبير في سلاسل التوريد المختلفة بين أوروبا وآسيا.

وتُعدّ الولايات المتحدة أكبر منتج عالمي للهيليوم، ما يعني أن الدول التي لم تعد قادرة على استيراد هذا الغاز من موردي الشرق الأوسط قد تلجأ إلى الولايات المتحدة لتأمين إمدادات بديلة. ومع ذلك، من غير المرجح أن تتمكن الولايات المتحدة من تلبية الارتفاع المفاجئ في الطلب بهذه السرعة.

كما تُعدّ روسيا أيضاً منتجاً رئيسياً للهيليوم، لكن العقوبات واسعة النطاق المفروضة على موسكو عقب غزو أوكرانيا عام 2022 جعلت المستثمرين حذرين من إقامة عمليات في السوق الروسية أو استيراد البضائع منها.

وحسب موقع «أويل برايس» فإن شركات كورية جنوبية، مثل سامسونج وإس كيه هاينكس وتي إس إم سي، تخشى من أن الاضطرابات الحالية قد تُجبرها على خفض الإنتاج إلى حين إيجاد موردين بديلين للهيليوم وفي الوقت نفسه، يتزايد الطلب العالمي على أشباه الموصلات عاماً بعد عام استجابةً للانتشار السريع للتقنيات المتقدمة، مثل الذكاء الاصطناعي. وتخشى بعض الشركات من عدم قدرتها على تلبية الطلبات في الوقت المحدد، ما سيضطرها إلى إنتاج رقائق أقل ربحية لتلبية هذه الطلبات.

وفي الوقت الحاضر، ليس من الواضح إلى متى ستستمر حرب إيران، والصراع الأوسع في الشرق الأوسط، خاصة وأن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قال إن الولايات المتحدة تعتزم مواصلة عملياتها في إيران حتى تتمكن من «تحقيق النصر النهائي». ومع ذلك، إذا استمرت الحرب لعدة أشهر، فسوف يستمر انقطاع إمدادات الهليوم، وهو ما من المرجح أن يؤدي إلى ارتفاع أسعار أشباه الموصلات في المدى المتوسط.

روبوت مرعب يخرج عن السيطرة ويصفع طفلاً على وجهه في مكان عام

لندن – «القدس العربي»:

تعرّض صبي صغير لصفعة مفاجئة على وجهه بعدما خرج روبوت عن السيطرة خلال عرض راقص في مقاطعة شنشي بالصين، ما حوّل العرض المخصص للعائلات إلى حادثة صادمة.

وتُظهر اللقطات روبوتاً من طراز «Unitree» وهو يدور على خشبة المسرح، قبل أن ينحرف فجأة نحو الجمهور أثناء أداء حركاته الموسيقية الواسعة، بحسب مقطع الفيديو الذي نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية على موقعها الإلكتروني.

وحاول الصبي سحب ذراعيه لتجنب أطراف الروبوت المعدنية، لكنه لم يتمكن من تفادي الاصطدام أثناء دوران الروبوت السريع «Pirouette»، ما أدى إلى ارتطام ذراع الروبوت بوجهه مباشرة.

وقال أحد شهود العيان: «لقد توقع الطفل حدوث ذلك، لكن لم يكن هناك أي مفر». وأضاف آخر: «يا له من عرض خطير!»، فيما علّق ثالث: «من المؤلم حقاً أن يتلقى المرء ضربة بجسم معدني».

ويبلغ وزن روبوت «Unitree G1» الشبيه بالبشر 35 كيلوغراماً، ويصل ارتفاعه إلى 1.32 متر، كما يمتلك 23 درجة حرية في مفاصله تمنحه قدرة على الحركة تفوق قدرة الإنسان العادي. ويخفي هذا الروبوت نظام استشعار متطور يشمل مستشعر «LiDAR» ثلاثي الأبعاد وكاميرا استشعار عمق، ما يجعله واحدا من أكثر الروبوتات الشبيهة بالإنسان تطوراً.

وقد سبق للروبوتات من طراز «Unitree» المشاركة في عروض جريئة خلال «مهرجان الربيع» الذي تنظمه شبكة التلفزيون الصينية المركزية «CCTV»، حيث أدت عروضاً تضم ركلات بهلوانية وحركات شقلبة وحركات قتالية بالعصي والسيوف، على مقربة من الأطفال المشاركين في العرض.

لكن هذه الحوادث تظهر أن هذه الروبوتات لا تكون دائما آمنة تماما. ففي وقت سابق من العام الماضي، ظهر مقطع فيديو لروبوت يركل رجلاً. وفي نوفمبر حاول روبوت آخر إعداد وجبة مقلية لكنه تسبب بفوضى وانزلق على الأرض.

وقد أثارت حادثة مقاطعة شنشي اهتماما واسعاً على منصات التواصل الاجتماعي، حيث كتب أحد المستخدمين على منصة «إكس»: «روبوت يوجّه لكمة عشوائية لطفل.. نحن بعيدون جدا عن الاستخدام اليومي الآمن لهذه التكنولوجيا». وعلق آخر: «الوالدة تتحمل جزءا من المسؤولية لأنها انشغلت بالتصوير بدل مراقبة طفلها»، فيما كتب آخر مازحا: «لقد كان الأمر شخصياً».

دراسة: الرياضة تجعل الدماغ يتجاوز صدمات الطفولة

لندن – «القدس العربي»:

أظهرت دراسة جديدة أن النشاط البدني يمكن أن يساهم في تعديل الروابط العصبية في الدماغ لدى الأشخاص الذين تعرضوا لتجارب سلبية خلال مرحلة الطفولة.

وتضع هذه النتائج موضع التساؤل فكرة أن صدمات الطفولة تترك آثاراً لا تُمحى على الدماغ، إذ تؤثر التجارب السلبية مثل الإساءة العاطفية والجسدية والإهمال على الدماغ، وتزيد من خطر الإصابة بالاكتئاب، والاضطراب ثنائي القطب، واضطراب ما بعد الصدمة.

وقام باحثون من المعهد المركزي للصحة النفسية في مانهايم والمركز الألماني للصحة النفسية بدراسة كيفية تخفيف هذه التأثيرات عبر نمط حياة صحي، وفي المقام الأول النشاط البدني، بحسب ما نقل تقرير نشرته شبكة «روسيا اليوم».

وصرّح المشارك في الدراسة، كريستيان شمال: «أردنا تحدي فكرة ندوب الدماغ التي لا تُمحى».

وحللت الدراسة بيانات 75 بالغًا تعرضوا لتجارب قاسية قبل سن الثامنة عشرة، باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي في حالة الراحة لفحص الروابط بين اللوزة الدماغية «Amygdala»، والحصين «Hippocam-pus»، والقشرة الحزامية الأمامية.

وأظهرت النتائج أن ممارسة النشاط البدني على مدى الحياة تعزز الترابط بين هذه المناطق الدماغية. فكلما قل مستوى النشاط البدني، ضعف الترابط، بينما تقوى الروابط لدى الأشخاص الذين يمارسون النشاط بانتظام.

وسُجلت أكبر التغيرات في المناطق تحت القشرية والمخيخية، وكذلك في المناطق البصرية الترابطية والمناطق الحركية، وكان هذا التأثير ملحوظا عند ممارسة النشاط البدني لمدة تتراوح بين 150 و390 دقيقة أسبوعيا.

وأشارت المشاركة في الدراسة، غابرييل إنده، إلى أهمية إشراك المخيخ «Cerebellum» في هذه العمليات، نظراً لارتباطه بتنظيم الانفعالات والاستجابة للتوتر. ووصف رئيس تحرير المجلة العلمية، كاميرون كاردن، النشاط البدني بأنه منظم للترابط العصبي في الدماغ.

وشددت الباحثة الرئيسية، لمياء زهيرلي أوغلو، على أنّ صدمات الطفولة لا تحدد مصير الإنسان، وأن النشاط البدني يمكن أن يُحدث تغييراً في طريقة استجابة الدماغ لأحداث الماضي.

ويعد النشاط البدني وسيلة متاحة لتعزيز القدرة على تحمل التوتر، ويمكن تطبيقه في مجالات الطب النفسي، وعلم النفس، والرعاية الأولية، والتمريض.

اكتشاف 45 كوكباً شبيهاً بالأرض ربما تعيش فيها كائناتٌ فضائية

لندن – «القدس العربي»:

اكتشف العلماء 45 كوكباً شبيهاً بالأرض، والتي يمكن أن تتمتع بالظروف المثالية لتواجد الكائنات الفضائية، بما في ذلك أربعة منها تبعد عن الكرة الأرضية 40 سنة ضوئية فقط.

وأعاد هذا الاكتشاف فتح الباب أمام الأسئلة المتعلقة باحتمالات وجود كائنات فضائية في الكون الخارجي، وفي حال كانت موجودة فهل هي في أحد هذه الكواكب التي يسود الاعتقاد بأنها صالحة للحياة مثل كوكب الأرض.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن خبراء من معهد كارل ساجان بجامعة كورنيل الأمريكية حددوا 45 كوكباً شبيهاً بالأرض يمكن أن تتمتع بظروف مثالية للكائنات الفضائية.

وتقع جميع الكواكب داخل ما يسمى بالمنطقة الصالحة للسكن، وهي منطقة ليست قريبة جدًا من النجم المضيف بحيث تكون شديدة الحرارة، وليست بعيدة جداً بحيث تكون باردة جداً. ويثير التواجد في هذه المنطقة احتمالاً محيراً بأن الكوكب يحتوي على الماء على سطحه، وهو عنصر أساسي للحياة.

ويقول العلماء إن من المثير للاهتمام أن بعض هذه العوالم لا تبعد سوى عشرات السنين الضوئية، ما يشير إلى أننا قد نتمكن من الوصول إليها في المستقبل.

وقالت البروفيسورة ليزا كالتنيجر، مؤلفة الدراسة: «قد تكون الحياة أكثر تنوعًا مما نتصور حاليًا، لذا فإن معرفة أي من الكواكب الخارجية المعروفة البالغ عددها 6000 والتي من المرجح أن تستضيف كائنات خارج كوكب الأرض قد يكون أمرًا بالغ الأهمية».

وأضافت: «تكشف ورقتنا البحثية عن المكان الذي يجب أن تسافر إليه للعثور على الحياة».

وبحسب تقرير «دايلي ميل» فقد اكتشف العلماء بالفعل أكثر من ستة آلاف كوكب خارجي، ولكن حتى الآن، لا يزال من غير المعروف أياً منها بالضبط لديه القدرة على الحياة، أو يحتوي على كائنات حية.

وفي دراستهم الجديدة، حدد الفريق 45 كوكباً من هذه الكواكب التي قد تدعم الحياة في المنطقة الصالحة للسكن، و24 كوكباً آخر في منطقة صالحة للسكن ثلاثية الأبعاد أضيق. وتتضمن العوالم بعضاً من الكواكب المعروفة من قبل، مثل «Proxima Centauri b» و«TRAPPIST–1f» و«Kepler 186f».

وفي الوقت نفسه، فإن بعض الكواكب الأخرى ليست معروفة جيداً، مثل «TOI–715 b»، وهو كوكب يقع على بعد 137 سنة ضوئية، وقد رصده القمر الصناعي «TESS» قبل ثلاث سنوات فقط.

ووفقاً للباحثين، فإن الكواكب الأكثر إثارة للاهتمام هي «TRAPPIST–1 d» و«e» و«f» و«g»، والتي تبعد 40 سنة ضوئية فقط عن الأرض.

ولسوء الحظ، تقول وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» إن الأمر سيستغرق حالياً ما لا يقل عن 800 ألف سنة للوصول إلى نظام «TRAPPIST–1». ومع ذلك، مع بدء المركبات الفضائية في استخدام تقنيات أكثر حداثة مثل الدفع النبضي النووي، فمن المحتمل أن نتمكن من تقليل هذه المدة إلى بضعة قرون.

وفي الوقت نفسه، يهتم الباحثون أيضاً بالكواكب التي تحصل على الضوء من نجومها بشكل مشابه لما تستقبله الأرض من الشمس اليوم.

وفي حين أن الكواكب الموجودة ضمن مناطقها الصالحة للسكن تثير الآمال في العثور على كائنات فضائية، يأمل الباحثون أيضاً أن تسلط الكواكب الموجودة على حافة المنطقة الصالحة للسكن الضوء على المكان الذي تنتهي فيه الصلاحية للسكن بالضبط.

وأوضح مؤلف الدراسة جيليس لوري: «في حين أنه من الصعب تحديد ما الذي يجعل شيئًا ما أكثر عرضة للحياة، فإن تحديد المكان الذي يجب البحث فيه هو الخطوة الأساسية الأولى». وأضاف: «لذا كان الهدف من مشروعنا هو القول إن هذه هي أفضل الأهداف للمراقبة».

وكجزء من الدراسة، حدد الفريق أيضاً أفضل التقنيات لمراقبة الكواكب الخمسة والأربعين. ويتضمن ذلك تلسكوب جيمس ويب الفضائي، وتلسكوب نانسي جريس رومان الفضائي (المقرر إطلاقه في عام 2027)، والتلسكوب الكبير للغاية (المقرر أن يرى أول ضوء في عام 2029).

وبينما ركزت هذه الدراسة على الكواكب الخارجية، فقد كشف العلماء سابقًا عن كيفية اختباء الكائنات الفضائية في نظامنا الشمسي.

وقال الدكتور ديفيد أرمستورنغ، خبير اكتشاف الكواكب الخارجية من جامعة واروبك: «على الأرض، نجد الحياة في كل مكان تقريبًا يوجد فيه ماء سائل، لذا فإن أسهل مكان للبحث عن حياة خارج كوكب الأرض هو نفسه». وأضاف: «المكان الأكثر احتمالاً للعثور عليه سيكون في المحيطات تحت السطح لبعض الأقمار التي تدور حول زحل والمشتري».

ويُنظر إلى قمر زحل إنسيلادوس على أنه مرشح واعد بشكل خاص للبحث عن حياة خارج كوكب الأرض بسبب أعمدة الماء السائل التي تنطلق باستمرار من قطبه الجنوبي.

وفي الوقت نفسه، تم طرح تيتان، وهو أحد أقمار زحل الجليدية الأخرى، كمرشح قوي في البحث عن حياة خارج كوكب الأرض.

اقتصاد

كيف تمول الدول العربية نفقات الحروب العدوانية الإسرائيلية؟

إبراهيم نوار

قامت الدولة الصهيونية ونمت بمحركات الحرب والقتل والاغتصاب، واعتمدت على الحرب كوسيلة أساسية من وسائل التوسع وزيادة الخانص الاقتصادي. في حرب يونيو سيطرت إسرائيل على مساحة تزيد على ثلاثة أمثال مساحتها قبل الحرب، ما أضاف إليها موارد مصر النفطية في سيناء، ومزايا هضبة الجولان الاستراتيجية في سوريا، ومصادر المياه في الضفة وفي وادي الأردن، والأيدي العاملة الفلسطينية في الضفة وغزة والقدس الشرقية، والسوق الفلسطينية التي أصبحت أكبر أسواق الصادرات الإسرائيلية في العالم. وهي الآن تسعى إلى المزيد من التوسع لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى. الحقيقة المؤكدة هنا هي أن الحرب لا تستنزف موارد إسرائيل وإنما هي غالبا تضيف إليها موارد جديدة مغتصبة. وقد وجدت إسرائيل توسعها وقدرتها على النمو في ضعف العرب، ودعم الحركة الصهيونية العالمية، وتواطؤ القوى الاستعمارية. ما أنتج نموذجا للحرب يضيف موارد جديدة من خلال التوسع، يحقق زيادة في الفائض الاقتصادي للدولة الصهيونية، لأنها لا تنفق من الموارد المغتصبة على تمويل الحرب إلا القليل، في حين توفر الحرب سيلا من تدفقات المال من الخارج، من خلال قنوات التمويل بواسطة الحكومات المتواطئة، وقنوات التمويل من خلال المنظمات الصهيونية في الخارج. الجديد في السنوات الأخيرة هو نشأة قناة جديدة للتمويل تتمثل في صادرات السلاح. في كل الحروب التي خاضتها إسرائيل فإنها قدمت نفسها على أنها الضحية وسط بحر من الأعداء. الحرب الأولى الداخلية غير المعلنة في فلسطين تحت الانتداب البريطاني كانت الشرط الأولي لإقامة الدولة، ثم ابتلاع كل فلسطين التاريخية على مدى العقود التالية. الآن ينتقل هدف الحرب إلى إقامة إسرائيل الكبرى، بما يضيفه ذلك إليها من أسواق وأموال ومهارات بشرية، ما يسهم في مضاعفة الفائض الاقتصادي الذي يتم تعبئته لاحقا لتعزيز مصادر القوة والنفوذ من دون الحاجة إلى شن حروب جديدة، إلا إذا نشأ طارئ يهدد هيمنة إسرائيل المطلقة غير المتنازع عليها، فهي في هذه الحالة تثب بسرعة بالغة لوأد الخطر وهو لا يزال في مهده، هي لا تريد فقط نزع سلاح المنطقة، لتكون هي القوة الوحيدة ذات السلاح القادر على عبور الحدود، وإنما هي تريد نزع القدرة الذاتية على إنتاج السلاح في الدول المجاورة، وهو ما يتحقق عمليا بالعمالة للولايات المتحدة وتوكيلها باستنزاف أموال المنطقة. إن استراتيجية الحرب الإسرائيلية لا تستنزف فائضها الاقتصادي وتتركها فريسة لأعباء الديون، مثلما حدث للدول الأوروبية في الحرب العالمية الثانية، حيث خرجت منها مثقلة بالديون. الحروب الإسرائيلية هي وسيلة للتوسع، سواء بالاحتلال المباشر للأراضي، أو بتمكين النفوذ من دون الحاجة لمجهود الاحتلال.

واستطاعت إسرائيل في حروبها منذ عشرينات القرن الماضي حتى الآن تعويض الخسائر المباشرة للحرب من خلال المساعدات والمنح العسكرية والمالية، بحيث كان الناتج الفعلي بعد الحرب، وخلال سنوات قليلة، هو زيادة الفائض الاقتصادي. ويكفي أن إسرائيل تمكنت في حرب يونيو 1967 من مضاعفة مساحتها أكثر من ثلاث مرات ما كانت عليه، وأن ثمن انسحابها من سيناء بعد حرب اكتوبر1973 كان إخراج مصر من معادلة الحروب اللاحقة، وتمكينها من تقنين احتلالها للضفة الغربية الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان. بل إن تطبيع العلاقات الثنائية مع كل من مصر والأردن، ثم الانتقال إلى التطبيع المتعدد الأطراف مع دول لم تشترك عمليا في حروب سابقة مع إسرائيل على أساس ما سمي «اتفاقيات إبراهيم» لم يكن ليحدث من دون تداعيات الحروب السابقة.

واتصالا مع ذلك فإن بدء الزحف العسكري لإقامة إسرائيل الكبرى، بواسطة ما أسمته عملية «وثبة الأسد» ضد إيران في حزيران/يونيو 2025 ثم عملية «زئير الأسد» في شباط/فبراير 2026 التي لا تزال مستمرة بالتحالف المباشر مع الولايات المتحدة لم يكن ليحدث ما لم تحتل إسرائيل كل أراضي فلسطين التاريخية، وتتمكن من فرض نفوذها في الدول المجاورة، ما مهد الطريق أمامها للهجوم على حصن المقاومة الأخير في إيران، وهي الدولة الوحيدة في المنطقة التي تعتمد على نفسها في إنتاج وتطوير منظومات أسلحتها الدفاعية. أهداف الحرب مع إيران معلنة وصريحة وهي تدمير قدرتها العسكرية واستنزاف الفائض الاقتصادي الذي يمكنها من الصمود والرأي وإجبارها على التسليم أو تدبير انقلاب داخلي لا ينتهي بمجرد إسقاط النظام، وإنما يضع الأرضية المناسبة لإقامة نظام عميل في طهران يفسح المجال لجعلها منطقة نفوذ إسرائيلي.

تلازمت الطبيعة العسكرية مع نشأة الدولة الصهيونية، واستطاعت بمعونة دول كبرى مثل ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة تطوير قاعدة صناعات عسكرية قوية ومتنوعة. وبعد حرب أكتوبر 1973 عززت إسرائيل مكانتها كمُصَدّر رئيسي للأسلحة على مستوى العالم، حتى احتلت المرتبة السابعة بين أكبر موردي الأسلحة في العالم خلال الفترة 2021–2025، مسجلةً زيادة في صادراتها بنسبة 56 في المئة مقارنة بالسنوات الخمس السابقة. ومع أن التعاون العسكري والأمني مع بعض الدول العربية كان سابقا لاتفاقيات التطبيع فإن هذا التعاون انتقل إلى مرحلة جديدة نوعيا بعد اتفاقيات إبراهيم التي يسّرَها الرئيس الأمريكي ترامب عام 2020. وأصبحت هذه الاتفاقيات أساسا لتعاون عسكري وأمني واسع النطاق مع دول عربية منها السعودية (برغم عدم انضمامها إليها) والإمارات والمغرب والبحرين. وعلى الرغم من حرب الإبادة ضد الفلسطينيين في غزة والاعتداءات الإسرائيلية على سوريا ولبنان واليمن والعراق، فإن صفقات الأسلحة الإسرائيلية – العربية لم تتوقف. ومن المفارقات المؤسفة أن أحد محركات استيراد الدول العربية للأسلحة الإسرائيلية يتمثل في أن تلك الأسلحة تم تجربتها في حرب غزة والحروب الأخرى وأثبتت فاعليتها، بما في ذلك الطائرات المسيرة وأجهزة التتبع والرصد التي قتلت وأصابت أكثر من 10 في المئة من أهل غزة. وتشمل مجالات التعاون العسكري والأمني تقنيات المراقبة، وأنظمة الأسلحة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، ومشاريع مشتركة مع شركات إماراتية ومغربية.

وقد سجلت صادرات السلاح الإسرائيلية في عام 2024 رقما قياسا وصل إلى حوالي 14.8 مليار دولار. ومن المتوقع أن تكون قد حققت في العام الماضي رقما يزيد أو يعادل الرقم القياسي المشار إليه، طبقا لمنصة بيانات صادرات الأسلحة والأمن الإسرائيلية «DIMSE»، خصوصا وأن إسرائيل وقعت مع دولة أوروبية واحدة هي ألمانيا اتفاقيات شراء لأنظمة أسلحة إسرائيلية بقيمة 7 مليارات يورو أهمها صفقة تصدير صواريخ آرو– 3. وتضمنت القيمة المعلنة للصادرات العسكرية ما لا يقل عن 1.8 مليار دولار إلى ثلاث دول عربية هي الإمارات والمغرب والبحرين، استحوذت الإمارات والمغرب على حوالي 90 في المئة منها، بينما كان نصيب البحرين في حدود 10 في المئة. وهذا يعني أن الدول العربية تستحوذ رسميا على ما يعادل 12 في المئة من صادرات السلاح الإسرائيلية للعالم كله، وأن تدفقات تمويل الواردات العسكرية العربية من إسرائيل تسهم بدولار من كل ثمانية دولارات تتلقاها إسرائيل، وذلك على الرغم من حداثتها. وكانت تجارة السلاح الرسمية في العام الأول لاتفاقيات إبراهيم 2021، قد وصلت إلى حوالي 800 مليون دولار، وهو ما يعادل 7 في المئة من صادرات إسرائيل العسكرية في ذلك العام. وفي العام التالي قفز الرقم إلى قيمة قياسية مسجلا 3 مليارات دولار، تعادل ما يقرب من رُبع قيمة صادرات إسرائيل العسكرية للعالم كله 24 في المئة، مع حصول الإمارات والمغرب على النسبة الأعظم منها. وتعتبر الإمارات أكبر شريك تجاري عربي لإسرائيل، في حين يمثل المغرب شريكا صناعيا، حيث يتم توطين إنتاج بعض الأسلحة الإسرائيلية مثل الطائرات القتالية المسيرة المزودة بأنظمة للذكاء الاصطناعي. وتتوزع حصة الدول العربية المستوردة الرئيسية للسلاح الإسرائيلي في السنوات الثلاث حتى 2024 ما يتراوح بين مليار إلى 1.2 مليار دولار للإمارات سنويا، المغرب ما يصل إلى 600 مليون دولار، والبحرين حوالي 100 مليون دولار سنويا في المتوسط. وعلى الرغم من الانتقادات العلنية بشأن حرب الإبادة في غزة، وخطط الضم التي تجري عمليا على الأرض في الضفة الغربية وغزة، والاعتداءات المستمرة على سوريا ولبنان، وخطط توسيع نطاق الحدود الإسرائيلية بحجة إقامة مناطق أمنية عازلة، واصلت دول مثل البحرين والمغرب والسعودية تعاونها مع إسرائيل، حيث ينظر بعض المسؤولين هناك إلى إسرائيل كشريك أمني رئيسي وليس كتهديد استراتيجي. وتنظر السعودية والإمارات إلى إيران على أنها العدو الرئيسي منذ قيام الثورة بقيادة الخميني، في حين تعتبر إسرائيل حليفا رئيسيا لها في المنطقة.

دور السلاح والطاقة في زيادة الصادرات

في حين أن قيمة الصادرات العسكرية الإسرائيلية إلى الدول العربية بلغت حوالي 1.8 مليار دولار أمريكي في عام 2024، فإن قيمة إجمالي الصادرات السلعية المدنية باستثناء الطاقة وصلت في العام نفسه إلى ما يقرب من 700 مليون دولار فقط، ما يعادل حوالي 39 في المئة فقط من قيمة الصادرات العسكرية، التي تزيد عن ضعف قيمة إجمالي الصادرات السلعية المدنية باستثناء الطاقة. وتستحوذ دولة واحدة هي الإمارات على أكثر من 71 في المئة من تلك الصادرات. وبلغ حجم التجارة المدنية في الاتجاهين بين البلدين حوالي 1.43 مليار دولار، مدعومة بقوة تجارة الترانزيت وتجارة المجوهرات. وإذا أخذنا في الاعتبار الهيكل السلعي للتجارة الرسمية المتبادلة بين إسرائيل ودول التطبيع الثنائي مصر والأردن، وتلك مع دول التطبيع المتعدد الأطراف الإمارات والبحرين والمغرب، سنجد أن صادرات الطاقة الإسرائيلية الغاز حوالي 4 مليارات دولار تهيمن على التجارة بين إسرائيل ومصر والأردن، في حين تهيمن الصادرات العسكرية 1.8 مليار دولار، على التجارة مع دول اتفاقيات إبراهيم، وهو ما يعكس خللا هيكليا في المبادلات التجارية في غير صالح الدول العربية. ويعكس هذا الخلل حقيقة أن المحرك الأساسي للتجارة المشتركة ليس محركا اقتصاديا، وإنما هو محرك عسكري بالأساس، حيث تتمتع إسرائيل بمزايا هائلة وتحصد من وراء صادراتها العسكرية أرباحا طائلة. يضاف إلى ذلك ما تحصده إسرائيل تجاريا من السيطرة على منافذ التجارة والنقل في الضفة وغزة ما يتراوح بين 4 إلى 6 مليارات دولار. في المقابل تبلغ قيمة الصادرات الإسرائيلية ذات الاستخدامات المدنية إلى دول العالم ما يتراوح بين 70 إلى 75 مليار دولار، في حين تبلغ قيمة الواردات المناظرة ما يتراوح بين 95 إلى 100 مليار دولار. هذا يعني أن الميزان التجاري مع العالم باستثناء صادرات السلاح يتراوح بين 20 إلى 25 مليار دولار. ونظرا لأن قيمة الصادرات العسكرية الإسرائيلية تصل إلى 15 مليار دولار تقريبا، فإن صافي العجز التجاري الكلي مع العالم يتراوح بين 5 إلى 10 مليارات دولار. ولا تتحمل إسرائيل غالبا تكلفة واردات السلاح حيث أن الولايات المتحدة وحدها تغطي ما يقرب من 70 في المئة من احتياجات السلاح، ويتم تمويلها على الأرجح بواسطة برنامج المساعدات الأمريكية، كما تتمتع إسرائيل بمزايا اتفاقات دفاعية وتكنولوجية مع دول الاتحاد الأوروبي تتضمن مشاركة أوروبا في تمويل برامج التسلح الإسرائيلي. وعلى ذلك فإن العجز في الميزان التجاري الإسرائيلي السلعي يتلاشى تماما تقريبا عندما نقابله بالفائض الذي يتحقق من تجارة الغاز والسلاح. وبإضافة قيمة صادرات الغاز إلى كل من مصر والأردن، حوالي 4 مليارات دولار، وواردات السلاح العربية المعلنة فقط، حوالي 1.8 مليار دولار عام 2024، وصافي التجارة مع السلطة الوطنية الفلسطينية ما يتراوح بين 4 – 6 مليارات دولار، فإن قيمة الفائض التجاري الإسرائيلي مع الدول العربية ترتفع إلى ما يتجاوز 10 مليارات دولار، ما يغطي كل قيمة صافي العجز التجاري الإسرائيلي مع العالم 5 – 10 مليارات دولار بعد إضافة قيمة الصادرات العسكرية. وإذا علمنا أن قيمة الصفقات العسكرية والأمنية الإسرائيلية غير المعلنة مع الدول العربية، خصوصا في مجالات الأمن السيبراني والتجسس والدفاع الجوي الصاروخي، خصوصا مع السعودية، تصل هي الأخرى إلى مليارات الدولارات سنويا، ندرك خطورة الدور الذي تلعبه تجارة السلاح الإسرائيلية مع الدول العربية، من حيث المساهمة في تكوين فائض اقتصادي يستخدم في تمويل الحروب العدوانية على شعوب المنطقة. الحرب في الاستراتيجية الصهيونية هي مشروع اقتصادي للربح والتوسع، بعد وظيفة القتل.

حرب إيران ترفع أسعار الأسمدة عالميا وتهدد الأمن الغذائي

تسببت حرب إيران في تهديد للمزارعين وأسعار الغذاء في أنحاء العالم، حيث ارتفعت أسعار الأسمدة المعدنية في الأسواق العالمية منذ بداية العام بنحو 30 إلى 40 في المئة، بحسب خبراء المان في القطاع.

وقال فيليب شبينه، المدير التنفيذي للاتحاد الألماني لشركات الزراعة والأغذية، إن وضعا مشابها لما حدث في شباط/فبراير 2022 يتكرر، وأضاف: «أسعار الأسمدة النيتروجينية في السوق العالمية تقترب بشكل متزايد من أعلى مستوى بلغته في بداية الحرب الهجومية الروسية على أوكرانيا».

ولا يشعر المستهلكون في أوروبا، حتى الآن، بتداعيات مباشرة، لأن العديد من المزارعين اشتروا أسمدتهم لهذا الربيع قبل بدء الحرب، بحسب متحدث باسم اتحاد المزارعين في ولاية بافاريا.

ولكن في حال استمرار الحرب لفترة طويلة، من المرجح أن ترتفع تكاليف الإنتاج لدى المزارعين الألمان، وبالتالي أسعار المنتجين.

وقبل أربعة أعوام، لم تتحقق المخاطر التي كان يخشاها بعض الخبراء بشأن الأمن الغذائي العالمي. ويرجع ذلك جزئيا إلى أن روسيا، التي تعد من أهم منتجي الأسمدة في العالم، استفادت من الهجوم على أوكرانيا وزادت من صادراتها من الأسمدة. وفي الوقت الراهن، أقرت أوروبا بشكل تدريجي زيادات جمركية على الأسمدة النيتروجينية الروسية.

وتؤدي الحروب إلى ارتفاع أسعار الأسمدة عالميا بسبب ارتفاع الطلب على الطاقة في عملية الإنتاج.

وقال متحدث باسم الرابطة الألمانية للصناعات الزراعية: «تحدد أسعار الغاز ما بين 80 و90 في المئة من تكاليف إنتاج الأمونيا والنيتروجين».

وعندما ترتفع أسعار الغاز، ترتفع تلقائيا أسعار الأسمدة، وإذا استخدم المزارعون كميات أقل من الأسمدة، فإن ذلك يؤدي إلى تراجع المحاصيل.

وفي دراسة نشرت عام 2008، قدر عالم البيئة الهولندي يان فيليم إيريسمان وعدة زملاء له أن الهكتار الواحد من الأراضي الزراعية ينتج حاليا محاصيل تعادل ضعف ما كان ينتجه في بداية القرن العشرين، وأن 48 في المئة من سكان العالم يعتمدون في غذائهم على استخدام الأسمدة المعدنية عالميا.

ويمر نحو ثلث اليوريا المتداولة عالميا وحوالي 20 في المئة من الأمونيا عبر مضيق هرمز. أما التأثيرات المباشرة على أوروبا فهي محدودة، حيث قال الاتحاد الألماني للصناعات الزراعية: «أوروبا لا تستورد منذ سنوات تقريبا أي أسمدة من منطقة النزاع».

وحسب الاتحاد، يمكن تغطية نحو 75 في المئة من احتياجات الأسمدة النيتروجينية في ألمانيا من الإنتاج المحلي، وأكثر قليلا في حالة أسمدة البوتاس. ولكن التأثيرات غير المباشرة لارتفاع أسعار الغاز والغاز الطبيعي المسال تبقى ملموسة، إذ تؤثر على صناعة الكيماويات والأسمدة الأوروبية.

وكان الارتفاع الكبير في أسعار الغاز في غرب أوروبا خلال حرب أوكرانيا قد تسبب بالفعل في إضعاف صناعة الكيميائيات في المنطقة. ولذلك تطالب الصناعات الزراعية في ألمانيا بتعزيز الإنتاج المحلي، وتدعو من بين أمور أخرى إلى فرض رسوم جمركية أعلى أيضا على البوتاس الروسي.

ويرى الاتحاد الألماني للشركات الزراعية والأغذية الأمر بشكل مماثل، إذ تعتبر الرسوم الجمركية أداة مناسبة لجعل الواردات الروسية إلى أوروبا أكثر صعوبة وتقليلها.

وقال شبينه: «في الوقت نفسه، يجب أن يكون ذلك إشارة لتعزيز القدرة الذاتية». وخلال هذا الأسبوع، قامت روسيا بدورها بتقييد صادرات الأسمدة مؤقتا لحماية مزارعيها.

وفي الوقت الراهن، تظل تأثيرات حرب إيران على غالبية المزارعين الألمان محدودة، حيث قال شبينه: «حوالي 80 في المئة من الكميات المطلوبة لفصل الربيع بأكمله موجودة بالفعل في مخازن التعاونيات، وحوالي 50 في المئة موجودة بالفعل لدى المزارعين».

ولكن المزارعين الذين يضطرون إلى الشراء الآن يواجهون تكاليف مرتفعة.

وقال متحدث باسم اتحاد المزارعين في بافاريا: «يكمن التحدي حاليا في توفر الكميات بقدر ما يكمن في تطور الأسعار. وبالنسبة للمزارع التي لم تؤمن احتياجاتها مبكرا، فإن ذلك يؤدي إلى عبء تكاليف ملحوظ».

كما يواجه المزارعون صعوبات إضافية بسبب انخفاض أسعار المنتجين، خاصة بالنسبة للحبوب. وقال المتحدث باسم الاتحاد: «ارتفاع تكاليف مستلزمات الإنتاج بالتزامن مع ضعف العوائد يزيد من حدة الوضع الاقتصادي ويضغط على سيولة المزارع». (د ب أ)

مدن وآثار

جامع حمودة باشا في مدينة تونس: معلم ديني وتاريخي في قلب الحضارة الإسلامية

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

في قلب مدينة تونس العتيقة، حيث تتشابك الأزقة كخيوط التاريخ وتتجاور البيوت البيضاء ذات الأبواب الثقيلة الزرقاء والصفراء، تقف المعالم الدينية شاهدة على قرون من الحضارة الإسلامية. ويطل جامع حمودة باشا بهدوئه الوقور بين الأسواق القديمة وروائح البخور والعنبر المتصاعدة من الدكاكين العتيقة، وكأنه صفحة مفتوحة من كتاب تاريخ تونس الثري.

ليس هذا الجامع مجرد مكان للصلاة، بل هو جزء من الذاكرة العميقة للمدينة. فهو شاهد على مرحلة تاريخية حاسمة، مرحلة الحكم المرادي، التي تركت بصمتها في عمران تونس وثقافتها ومؤسساتها الدينية. ومنذ تشييده في القرن السابع عشر ظل الجامع حاضراً في الحياة اليومية لسكان المدينة العتيقة، يستقبل المصلين ويحتضن حلقات العلم ويمنح المكان روحاً خاصة لا تزال محسوسة حتى اليوم.

رحلة في الزمن

إن زيارة هذا الجامع ليست مجرد دخول إلى فضاء معماري، بل هي رحلة في الزمن تعود بالزائر إلى مرحلة كانت فيها المدينة العتيقة قلب الدولة ومركزها السياسي والثقافي والديني. وتُعد المدينة العتيقة بالعاصمة واحدة من أغنى المدن العربية والإسلامية من حيث كثافة المعالم التاريخية وتنوعها، إذ تختزن بين أزقتها الضيقة وأسواقها العتيقة وجوامعها وزواياها قروناً من التاريخ السياسي والثقافي والديني.

فجامع حمودة باشا ليس مجرد مبنى ديني يؤدي فيه الناس صلواتهم اليومية، بل هو معلم تاريخي يعكس تحولات سياسية وثقافية شهدتها البلاد خلال العهد المرادي الذي يمثل بداية استقلال تونس عن الاستعمار العثماني. ومنذ تشييده في القرن السابع عشر ظل هذا الجامع جزءاً من الذاكرة الحية للمدينة، يستقبل المصلين وطلاب العلم ويمنح الحي المحيط به طابعاً روحياً خاصاً.

إن التوقف عند جامع حمودة باشا وغيره من الجوامع التاريخية داخل المدينة العتيقة يذكرنا بأن الحضارة لا تُبنى بمعلم واحد مهما كان عظيماً، بل تتشكل عبر شبكة واسعة من المؤسسات الدينية والعلمية والثقافية التي تتكامل فيما بينها. فالزيتونة كانت القلب العلمي الأكبر، لكن الجوامع الأخرى مثل جامع حمودة باشا كانت الشرايين التي تنقل الحياة الدينية إلى مختلف أحياء المدينة. ومن خلال هذا التكامل تشكلت الهوية الروحية والثقافية لمدينة تونس العاصمة عبر القرون، حيث ظل الدين والعلم والعمران عناصر مترابطة صنعت ملامح المدينة وجعلتها واحدة من أبرز الحواضر الإسلامية في المنطقة.

سياق تاريخي

يرتبط تأسيس الجامع بسياق تاريخي محدد عاشته تونس في النصف الثاني من القرن السادس عشر، حين أصبحت البلاد جزءاً من الإمبراطورية العثمانية عقب الغزو العثماني لتونس سنة 1574 وذلك بعد مقاومة شرسة لهذا الغزو دامت لعقود من قبل الإمارة الشابية في القيروان حاضرة الإسلام الأولى في تونس وسائر المنطقة المغاربية. فقد أدى هذا الحدث إلى إدخال تونس ضمن المجال السياسي والثقافي العثماني مع بروز نزعة استقلالية انفصالية مبكرة من قبل شعبها للتخلص من سلطة الباب العالي الذي لولا الحروب الإسبانية على الدولة الحفصية التونسية والتي أنهكتها لما تمكن منها العثمانيون بعد أن ضيقوا عليها الخناق وحاصروها انطلاقا من الجزائر وطرابلس الغرب اللتين سقطتا مبكرا بيد الغزاة العثمانيين.

ورغم مرارة الغزو فقد حمل العثمانيون معهم تقاليد فقهية ومعمارية جديدة، أبرزها المذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية والذي سعوا لنشره في دولة هي مهد تطور المذهب المالكي على يد علمائها وفقهائها في مدينة القيروان ثم في مدينة تونس من خلال جامعة الزيتونة. لذلك ظهرت الحاجة إلى إنشاء جوامع تتماشى مع هذا المذهب الجديد وتستجيب للتقاليد المعمارية المرتبطة به. ومن هنا بدأ ظهور عدد من الجوامع الحنفية في المدينة العتيقة لتونس، كان من بينها جامع حمودة باشا الذي أصبح لاحقاً واحداً من أبرز معالمها.

كان مؤسس الجامع هو حمودة باشا المرادي، أحد أبرز حكام الدولة المرادية التي حكمت تونس خلال القرن السابع عشر وبدأت البلاد تخرج معها من سلطة الباب العالي لتنتهي مملكة مستقلة بذاتها تماما في العهد الحسيني، وقد حارب العثمانيون استقلالها من خلال ولاتهم في الجوار. وعرف عهد حمودة باشا من الاستقرار السياسي ما سمح له بتنفيذ مشاريع عمرانية مهمة داخل العاصمة، أي مدينة تونس التي أصبحت الحاضرة الأولى للبلاد بعد تدمير القيروان على يد قبائل بني هلال العربية. وكان بناء الجوامع في تلك الفترة جزءاً من تقاليد الحكم، إذ كان الحكّام يسعون إلى ترك بصمة معمارية تخلد أسماءهم وتؤكد حضورهم السياسي والديني في المدينة. ولذلك لم يكن تشييد جامع حمودة باشا مجرد مبادرة دينية، بل كان أيضاً عملاً ذا دلالة رمزية يعكس مكانة الحاكم داخل المجتمع ويجسد العلاقة بين السلطة السياسية والمؤسسة الدينية.

واختير موقع الجامع بعناية داخل النسيج العمراني للمدينة العتيقة، حيث شُيّد في منطقة نشطة تربط بين عدة شوارع رئيسية وتجاور بعض المعالم الدينية المهمة. ومن أبرز هذه المعالم زاوية سيدي بن عروس، وهي زاوية أحد الأولياء الصالحين الذين يحتلون مكانة بارزة في الوجدان الشعبي التونسي. وساهم هذا القرب في إضفاء بعد روحي خاص على المنطقة، إذ أصبح المكان يجمع بين العبادة والتصوف والتعليم الديني. كما أن موقع الجامع بالقرب من الأسواق القديمة جعله جزءاً من الحياة اليومية لسكان المدينة، حيث كان التجار والحرفيون يقصدونه لأداء الصلوات خلال يوم العمل.

إبداع هندسي

يعكس التخطيط المعماري للجامع مزيجاً من التقاليد المحلية والتأثيرات الخارجية، فقد صُمم وفق نموذج يتضمن صحنًا داخلياً تحيط به أروقة، إلى جانب بيت صلاة واسع ومئذنة مميزة وضريح للمؤسس. ويشكل الصحن فضاءً مفتوحا يتيح دخول الضوء والهواء إلى داخل المبنى، كما يوفر مكاناً يجتمع فيه المصلون قبل دخول بيت الصلاة. وتستند الأروقة المحيطة بالصحن إلى أعمدة رخامية تحمل أقواساً نصف دائرية، وهي عناصر معمارية تمنح المكان إحساساً بالانسجام والاتساع. ولم يكن الصحن مجرد عنصر معماري وظيفي، بل كان أيضاً فضاءً اجتماعياً يلتقي فيه الناس بعد الصلاة ويتبادلون الأخبار والأحاديث، ما جعله جزءاً من الحياة اليومية لسكان الحي.

أما بيت الصلاة فهو القلب الروحي للجامع، حيث يجتمع المصلون لأداء الصلوات اليومية وصلاة الجمعة. ويتخذ هذا الفضاء شكلاً مستطيلاً مقسماً إلى عدة بلاطات بواسطة صفوف من الأعمدة الرخامية التي تحمل الأقواس والسقف. وقد استُخدمت في بناء هذه الأعمدة أنواع مختلفة من الرخام، بعضها أعيد استخدامه من مبانٍ قديمة وفق تقليد كان شائعاً في العمارة الإسلامية. وفي جدار القبلة يوجد المحراب، الذي زين بنقوش نباتية وهندسية دقيقة تعكس مهارة الحرفيين الذين شاركوا في بناء الجامع. وإلى جانب المحراب يوجد المنبر الخشبي الذي كان الخطيب يعتليه لإلقاء خطبة الجمعة، وهو مزخرف بنقوش هندسية معقدة تعكس جمالية الفن الإسلامي.

ومن أبرز العناصر التي تميز الجامع مئذنته المثمنة الشكل، وهي سمة معمارية ارتبطت بالجوامع الحنفية في تونس. فبينما كانت المآذن في الجوامع المالكية التقليدية غالباً مربعة الشكل مثلما هو الحال في الجامع الأعظم أي جامع الزيتونة المعمور، جاءت هذه المئذنة ذات تصميم مختلف. ويتكون هيكلها من قاعدة مربعة تعلوها طبقات مثمنة تنتهي بشرفة للأذان، حيث كان المؤذن يصعد عبر درج حلزوني داخلي ليعلن دخول وقت الصلاة. وكانت هذه المئذنة جزءاً من المشهد العمراني للمدينة، إذ كان صوت الأذان الصادر منها يتردد في أرجاء الحي ويمنح المكان إيقاعه اليومي.

تزدان أجزاء من الجامع بزخارف محلية استُخدم فيها الرخام متعدد الألوان في بعض العناصر المعمارية، كما ظهرت زخارف نباتية وهندسية في الجدران والأبواب. وتعكس هذه الزخارف مهارة الحرفيين الذين شاركوا في بناء الجامع، كما تشير إلى التفاعل الثقافي الذي كانت تعرفه تونس في تلك الفترة من تاريخها.

دور علمي

إلى جانب وظيفته الدينية، لعب جامع حمودة باشا دوراً مهماً في الحياة العلمية للمدينة. فقد احتضن حلقات لتدريس العلوم الدينية مثل الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية. وكان بعض العلماء يعقدون دروسهم فيه لطلاب العلم الذين كانوا يقصدون الجوامع طلباً للمعرفة. وعلى الرغم من أن جامع الزيتونة وجامعته العلمية التي تعتبر أقدم جامعة في العالم يستمر فيها التدريس بدون انقطاع إلى اليوم ظل المركز العلمي الأكبر في مدينة تونس، فإن الجوامع الأخرى مثل جامع حمودة باشا المرادي ساهمت بدورها في نشر التعليم وتكوين العلماء.

ومع مرور الزمن ظل الجامع يؤدي وظيفته الدينية والاجتماعية داخل المدينة العتيقة، رغم التحولات السياسية التي عرفتها البلاد. فقد شهدت تونس فترات مختلفة من الحكم، من العهد المرادي إلى العهد الحسيني وصولا إلى فترة الإستعمار الفرنسي التي تلتها مرحلة الدولة الوطنية. وخلال هذه التحولات بقي الجامع جزءاً من الحياة اليومية للسكان، يستقبل المصلين ويحتفظ بمكانته داخل النسيج الحضري للمدينة.

وقد اكتسب الجامع أهمية إضافية بعد إدراج مدينة تونس العتيقة ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو، وهو ما ساهم في تعزيز الجهود الرامية إلى الحفاظ على المعالم التاريخية داخلها. وأصبح جامع حمودة باشا جزءاً من هذا التراث الذي يعكس ثراء الحضارة الإسلامية في تونس وتنوع التأثيرات الثقافية التي شكلت هوية المدينة.

إن التجول في أزقة المدينة العتيقة يقود الزائر في النهاية إلى مثل هذه المعالم التي تختزل تاريخ المكان. فحين يقف المرء أمام جامع حمودة باشا لا يرى مجرد مبنى حجري قديم، بل يرى أثرا حيا لقرون من الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية. فقد مر عبر أبوابه آلاف المصلين والعلماء والتجار والحرفيين، وكل منهم ترك بصمة صغيرة في ذاكرة المكان. ومع مرور الزمن تراكمت هذه البصمات لتشكل ذاكرة جماعية تجعل من الجامع أكثر من مجرد فضاء معماري.

ثراء ديني ومعماري

يرى مروان السراي الباحث في المركز المغاربي للبحوث والدراسات والتوثيق في حديثه لـ«القدس العربي» أنه حين يُذكر اسم مدينة تونس يتبادر إلى الذهن مباشرة جامع الزيتونة المعمور أو الجامع الأعظم مثلما يسمى أيضا في كتب المؤرخين القدامى، ذلك المعلم الديني والعلمي الذي ارتبط بتاريخ المدينة والبلاد منذ قرون طويلة. فقد كان هذا الجامع، بحسب السراي أكثر من مجرد مكان للعبادة، حيث كان مؤسسة علمية كبرى تشكلت حولها عبر الزمن جامعة الزيتونة، التي تعد أقدم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، بل وأقدم جامعات العالم التي استمر فيها التدريس بدون انقطاع منذ تأسيسها سنة 737 للميلاد وإلى يومنا هذا. وقد تخرجت من هذه المؤسسة العلمية، بحسب الباحث التونسي، شخصيات بارزة تركت بصمتها في تاريخ الفكر الإنساني، ومن أشهرهم المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون الذي يعد أحد رواد علم الاجتماع ومؤسس فلسفة التاريخ الحديثة.

ويضيف محدثنا قائلا: «غير أن اختزال تاريخ مدينة تونس في جامع الزيتونة وحده، رغم عظمته ومكانته، لا يعكس الصورة الكاملة للثراء الديني والعمراني الذي تزخر به مدينة تونس العتيقة. فداخل أسوار هذه المدينة التي يعود تاريخها إلى قرون طويلة تنتشر عشرات الجوامع والمساجد والزوايا التي شكلت عبر الزمن شبكة دينية وعلمية متكاملة. وقد لعبت هذه المعالم دوراً مهماً في الحياة اليومية للسكان، إذ لم تكن مجرد أماكن للصلاة، بل كانت فضاءات للعلم والتواصل الاجتماعي ومراكز لنشر الثقافة الدينية. ففي كل حي من أحياء المدينة العتيقة تقريبا كان يوجد مسجد أو جامع يجتمع فيه أهل الحي لأداء الصلوات وتلقي الدروس الدينية والاستماع إلى الخطب، الأمر الذي جعل المدينة تبدو وكأنها نسيج من الفضاءات الروحية المتداخلة التي تمنحها طابعها الخاص.

ومن بين هذه المعالم الدينية التي تزخر بها المدينة يبرز جامع حمودة باشا باعتباره واحداً من الجوامع التاريخية التي تعكس مرحلة مهمة من تاريخ تونس، وتحديداً فترة الحكم المرادي في القرن السابع عشر. وقد شُيّد هذا الجامع في قلب المدينة العتيقة في موقع يربط بين عدة أحياء وأسواق، ما جعله جزءاً من الحياة اليومية للسكان. ورغم أن شهرته لا تضاهي شهرة جامع الزيتونة، إلا أنه يمثل بدوره صفحة مهمة من صفحات التاريخ العمراني والديني للعاصمة. فالجوامع الصغيرة والمتوسطة التي تنتشر في أزقة المدينة العتيقة كانت تشكل إلى جانب الزيتونة منظومة دينية متكاملة، حيث يتلقى الناس تعاليم الدين ويعيشون طقوسهم الروحية في فضاءات قريبة من حياتهم اليومية».

رياضة

نهاية قصة الحب... ماذا ينتظر صلاح وليفربول بعد الرحيل؟

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

«للأسف، لقد حان هذا اليوم، هذه هي المرحلة الأولى من رسالتي الوداعية، سأغادر ليفربول في نهاية الموسم، أود أن أبدأ بالقول إنني لم أتخيل يوما مدى عمق تأثير هذا النادي، وهذه المدينة، وهؤلاء الناس في حياتي. ليفربول ليس مجرد ناد لكرة القدم، بل هو شغف وتاريخ وروح، لا يمكنني وصفها بالكلمات، بالنسبة لمن ليس جزءا من هذا النادي، لقد احتفلنا معا بالانتصارات، وتوجنا بأهم البطولات، وخضنا سويا أصعب الفترات في حياتنا. أود أن أشكر كل من كان جزءا من هذا النادي خلال فترة وجودي هنا، وخاصة زملائي، السابقين والحاليين، وكذلك الجماهير لا أملك ما يكفي من الكلمات، إن الدعم الذي منحتموني إياه في أفضل فترات مسيرتي، ووقوفكم بجانبي في أصعب اللحظات، أمر لن أنساه أبدا، وسيبقى معي دائما. الرحيل ليس سهلا أبدا. سيظل هذا المكان دائما بيتي. لقد منحتموني أفضل أوقات حياتي، وسأظل دائما واحدا منكم. سيبقى هذا المكان بيتا لي ولعائلتي، شكرا لكم على كل شيء وبفضلكم لن أسير وحدي أبدا». بهذه الكلمات التاريخية التي تنبض بكل أنواع المودة والامتنان والانتماء، أسدل النجم المصري محمد صلاح الستار على الفصل الذهبي في رحلته مع ليفربول، واضعا النقطة الأخيرة في واحدة من أعظم قصص الحب والوفاء في عالم الساحرة المستديرة في العصر الحديث، كيف لا والحديث عن اللاعب العربي والأفريقي الأكثر تأثيرا في تاريخ الدوري الإنكليزي الممتاز ودوري أبطال أوروبا، وفي رواية أخرى الأسطورة التي سيتفاخر بها الأجداد والآباء أمام أطفال اليوم في السنوات والعقود القادمة، كنموذج يُحتذى بها سواء على المستوى الرياضي أو فيما يخص الجانب الإنساني والاجتماعي في حياته خارج ملاعب كرة القدم، راسما لنفسه صورة «النجم الملهم» للبسطاء والكادحين الذين يحلمون بكسر قيود الواقع وكتابة أسمائهم بأحرف من نور في سماء المستحيل، أو ذاك الطفل النحيف الذي كان يقطع مسافة تلامس الـ300 كيلو متر يوميا في رحلة ذهاب وعودة من مسقط رأسه قرية نجريج التابعة لمحافظة الغربية في دلتا مصر لمقر تدريب نادي المقاولون العرب بمنطقة الجبل الأخضر الشهيرة في مدينة نصر، في زمن كان يحصل فيه من والده الحاج صلاح على 20 جنيه مصري أو ما يعادل 3 يورو –في أحسن الأحوال– في منتصف العقد الأول من الألفية الجديدة، شاملة تذكرة قطار الضواحي أو ما يُعرف بين الفقراء في بلاده بـ «القشاش» وأجرة المواصلة الداخلية في طنطا والقاهرة، والأهم الخمسة جنيهات الثابتة لطبق الكشري العائم في «صلصة الطماطم» و«حبكة الدقة» والكثير والكثير من شطة الفلفل الأحمر الحار، ليكسر حدة الجوع بعد الحصة التدريبية الشاقة وقبل أن يستقل قطار العودة من محطة «رمسيس» إلى بيت العائلة البسيط، ثم مع الوقت تحول إلى واحد من أفضل وأشهر نجوم العالم في العشرية الأخيرة، أو بلغة العصر «علامة تجارية» عالمية بوزن الذهب، والسؤال الذي يفرض نفسه في الأيام والساعات القليلة الماضية هو.. هل اتخذ المو قرار الرحيل في الوقت المناسب؟ وما هي الوجهة الأفضل بالنسبة له في المرحلة القادمة؟ وكيف ستتعامل مجموعة «فينواي» مع خسارة هداف الحقبة؟ وغيرها من التساؤلات التي سنجيب عليها معا في موضوعنا الأسبوعي.

حقائق وأرقام

يقول كاتب شبكة «ذا أثلتيك» البريطانية سيمون هيوز، إن الانطباع العام أو الصورة النمطية المحفورة في أذهان المشجعين عن صلاح، أنه مجرد رياضي يفتقر إلى العمق أو المعرفة في الحياة، لكن في حقيقة الأمر هذا التصور أبعد ما يكون عن الواقع، كواحد من القلائل المهتمين بالأدب الأفريقي وبدرجة أقل الفلسفة، وغيرها من الأمور التي يعتقد أنها قد تفيده في تطوير عقليته عندما تطأ قدميه أرض الملعب، وفي نفس الوقت يُدرك جيدا الحقيقة البشرية التي تقول إن لكل بداية نهاية، أو كما نقول في لغتنا الدارجة من المحيط إلى الخليج «دوام الحال من المحال»، وبناء عليه قرر تجسيد المقولة المأثورة للبروفيسور والمفكر الكيني باتريك لومومبا «على الراقص الماهر أن يعرف متى يغادر المسرح»، والشيء المؤكد وسيكون من الصعب الجدال عليه، أن الملك المصري لم يفقد كل ما لديه من مهارة وسحر في قدمه اليسرى، حتى لو تراجع مستواه وأرقامه الفردية بشكل ملحوظ منذ بداية الموسم الجاري، لكن من الواضح أنه طوع ما اكتسبه من حكمة وفلسفة في اتخاذ توقيت الانفصال عن أصحاب الجزء الأحمر لمقاطعة الميرسيسايد، والدليل على ذلك ما سنشاهده معا عزيزي القارئ في ملعب «الأنفيلد» في ما تبقى من الموسم، حيث ستتحول موجة الهجوم والتململ من الفرص السهلة التي يهدرها نجمنا العربي، إلى ليالي أقل ما يُقال عنها تاريخية، مدفوعة بالعاطفة الإنسانية التي ستتجلى في تسابق عشاق النادي في الحصول على مقعد في المدرجات، لمشاهدة ثالث أعظم هداف في تاريخ النادي في مبارياته الأخيرة بالقميص الأحمر، حتى خوارزميات «السوشيال ميديا»، بدأت في ترويج يوميات مشجعي الريدز في فترة ما بعد رحيل الفرعون، كأن جميع المحسوبين على الكيان استيقظوا على صدمة غير متوقعة الأسبوع الماضي، لكن بالعودة إلى الوراء أشهر تعد على أصابع اليد الواحدة، سنتذكر ما وُصفت آنذاك بالرسالة التمهيدية لانتهاء قصة الحب بين صلاح وليفربول، حين أحدث هزة في النادي بتصريحاته التي أثارت جدلا على نطاق واسع، والتي عُرفت إعلاميا بتصريحات «الحافلة»، موجها أصابع الاتهام لشخص ما داخل النادي، بأنه يتعمد «وضعه تحت عجلات الحافلة»، وحدث ذلك قبل انضمامه إلى معسكر منتخب بلاده الذي شارك في كأس الأمم الأفريقية الأخيرة، ما فتح الباب على مصراعيه أمام الصحف والمواقع الرياضية لربط مستقبله بأندية أخرى في الميركاتو الشتوي الأخير، وما عزز انتشار هذه السردية ما قاله المدرب الهولندي آرني سلوت، إنه لا يعلم ما إذا كان أبو مكة، قد خاض مباراته الأخيرة مع حامل لقب البريميرليغ أم لا، لكن ما تسبب في دوبان جبل الجليد بين النجم الكبير ومدربه، ما قيل في الإعلام البريطاني وبالأخص الميديا المحسوبة على النادي، بأن صلاح هو من بادر بالاعتذار لمدربه وزملاؤه في الفريق، بعد تصريحاته التي شققت الصفوف داخل غرفة خلع الملابس.

مع ذلك، لم يعود صلاح إلى النسخة المهيبة المعرفة عنه، كقوة مدمرة في الخط الأمامي للريدز، والمثير للدهشة والاستغراب، أن هذا الانهيار الغريب سواء في مستواه أو لمسته الأخيرة أمام مرمى الخصوم، جاء بعد 12 شهرا من المكافأة الضخمة التي تحصل عليها من قبل مجموعة «فينواي»ن بمنحه عقدا لمدة عامين، مع تعديل راتبه ليصبح اللاعب الثاني في قائمة الأعلى أجرا في الدوري الإنكليزي الممتاز، نظير مساهمته في حصول الفريق على لقب البريميرليغ للمرة الثانية بمسماه الحديث البريميرليغ، والتي وصلت لحد تسجيل 29 هدفا بالإضافة إلى 18 تمريرة حاسمة من مشاركته في كل مباريات الدوري، من أصل 34 هدفا و23 تمريرة حاسمة من مشاركته في 52 مباراة في مختلف المسابقات، مقابل 5 أهداف وصناعة 6 في 22 مباراة على مستوى البريميرليغ، من أصل 10 أهداف و9 تمريرات حاسمة في 34 مواجهة منذ بداية هذا الموسم، وهذا لا يعكس سوى التراجع الحاد في أرقامه وإنتاجه الهجومي، في ما تُعرف في الولايات المتحدة بـ «السنة الأخيرة من العقد»، من أسطورة تتنفس على تحطيم الأرقام القياسية في الموسم الماضي، واللاعب الأكثر تسجيلا في وطن كرة القدم منذ قدومه من روما الإيطالي في صيف 2017 بإجمالي 189 هدفا وصناعة 92 آخرين، إلى شبح لتلك النسخة بعد الحصول على آخر عقد مُحسّن مع النادي، أو بلغة الأرقام والإحصائيات، تراجع ملموس في معدل أهدافه المتوقعة (إكس جي)، بما يعادل لمس الكرة 7.8 لكل 90 دقيقة داخل مربع العمليات، وهو أدنى رقم له منذ عودته إلى الدوري الإنكليزي الممتاز عبر بوابة «الأنفيلد»، وبالمثل تراجعت نسبة تسديداته لـ2.8 محاولة بدون ركلات الجزاء لكل 90 دقيقة، وأيضا نسبة الاستحواذ المفقودة من إجمالي لمساته وصلت لنحو 37 في المئة هذا الموسم، كأعلى نسبة يسجلها في مسيرته مع ناديه الحالي، وهذا ما يفسر التراجع الواضح في أرقامه الإبداعية مقارنة بالأرقام القياسية التي كان يتفنن في تحطيمها كل أسبوع في موسم 2025–2024 وما قبله، ولو أن هناك بعض النقاد والمتابعين يرفضون إلقاء اللوم عليه بمفرده في ملف تراجع إنتاجه الإبداعي، مع تغير أسلوب لعب الفريق والمواقف التي كانت تساعده في تقديم الهدايا لرفاقه، حيث كان المدرب آرني سلوت، يراهن على تحركات لويس دياز والراحل ديوغا غوتا المتداخلة بين الخطوط وخلف المدافعين، وذلك لحظة تسلم صلاح الكرة بالقرب من خط التماس، الأمر الذي كان يتسبب في سحب المدافعين بعيدا عنه، وبالتبعية كان يتيح له الفرصة لإرسال العرضيات السحرية على رأس رفاقه القادمين بأريحية من الخلف إلى الأمام داخل مربع العمليات، وفي أحيان أخرى كان يذهب إلى الحل الفردي، معتمدا على التطور الذي أحدثه في أسلوبه في السنوات القليلة الماضية، من جناح أيمن مهاجم بجينات عدائين سباقات الـ100 متر في الأولمبياد حين كان في منتصف عقد العشرينات، إلى صانع السعادة الذي يعمل الجميع على توفير المساحة الجيدة له بالقرب من المناطق المحظورة في دفاع الخصوم، لينتر سحره وإبداعه في الأوقات الحاسمة، أو بلغة المعلقين والمدربين ليصنع الفارق بطريقته الخاصة عندما يحتاجه الفريق، بينما الآن وهو على أعتاب عامه الـ34 على هذا الكوكب، لا يزال مطالبا من قبل مدربه الهولندي، بالحفاظ على نفس الانطلاقات والحركة عالية الكثافة على مدار الـ90 دقيقة، والأهم انتظار سرعته الخاطفة في آخر 30 متر في الملعب، ولهذا انخفضت نسبة نجاحه في المراوغة هذا الموسم لـ19.7 في المئة، وهي أيضا الأدنى له في «الأنفيلد»، وذلك قبل أن يُدرك سلوت أنه ينبغي تعديل دور نجمه المخضرم، حتى يتمكن من الحصول على عصارة خبرته في هذا التوقيت الحساس من الموسم، والإشارة إلى الدور الذي لعبه النجم المصري في ظهوره الأخير أمام غالطة سراي التركي في إياب دور الـ16 لدوري أبطال أوروبا، حيث شغل مركز المهاجم الثاني او المتأخر خلف الفرنسي هوغو إيكيتيكي، ومعها بدا وكأن المو قد استعاد أفضل مستوياته، حتى أنه توج أداءه الاستثنائي بهدف هوليودي بتسديدة مقوسة بالقدم اليسرى في المكان المستحيل على يمين الحارس التركي المغلوب على أمره، كأفضل دور لصلاح في هذه المرحلة، منها سيستفيد الفريق من لحاته الإبداعية، ومنها أيضا سيتجاوز الفريق إشكالية أو صداع افتقار صلاح للحماس في أداء أدواره الدفاعية، وبصرف النظر عن نتائج الفريق في المباريات المتبقية على انتهاء الموسم سواء على المستوى القاري أو المحلي، سنكون شاهدين على وداع أسطوري لقائد المنتخب المصري في ظهوره الأخير «الأنفيلد»، في أضعف التقديرات ستكون احتفالية درامية على طريقة وداع المدرب الإيقوني يورغن كلوب، وليس على طريق زميل الأمس الكسندر أرنولد، الذي تحول من الفتى المدلل وابن النادي البار إلى ذاك المنبوذ الذي غادر النادي في صمت بعد انتهاء عقده في صيف 2025.

ماذا بعد؟

صحيح محاميه ووكيل أعماله رامي عباس، قد بادر بقطع الطريق أمام الشائعات المحتملة حول وجهته المحتملة بعد رحيله عن ليفربول، بتغريدة عبر منصة «إكس» –تويتر سابقا–، ملخصها أن صاحب الشأن بنفسه لا يعرف أين سيذهب الموسم المقبل، وبناء عليه لا أحد يعرف النادي الذي سيرتدي قميصه بعد عودته من نهائيات كأس العالم، لكن إذا كانت رغبته الاستمرار في أعلى مستوى تنافسي في أوروبا، فقد يعود إلى بيته القديم في جنة كرة القدم في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، إما عبر بوابة ناديه السابق روما وإما بألوان كبير القوم يوفنتوس، لكن هذه الخطوة ستحتاج بعض التنازلات المادية من قبل صلاح، وذلك بسبب المشاكل المادية التي تعصف بُجل أندية الكالتشيو في الآونة الأخيرة، في المقابل سيضمن اللعب في بيئة تُقدر هذا النوع من فئة «الميغا ستار»، كما حدث مع ملك كرة القدم كريستيانو رونالدو بعد انتقاله من ريال مدريد إلى يوفنتوس في صيف 2018، ونفس الأمر مع زميله السابق في «سانتياغو بيرنابيو»، لوكا مودريتش، الذي تحول من بديل متقدم في السن مع اللوس بلانكوس إلى واحد من نجوم السيري آ بقميص شياطين ميلان هذا الموسم، أو قد يتلقى إشارة مفاجئة من قبل برشلونة على غرار ما حدث في عام 2022، حين أجمع الإعلام الكاتالوني على الإدارة على أتم الاستعداد للحصول على توقيعه بموجب قانون بوسمان، إذا لم يتوصل إلى اتفاق لتمديد عقده مع الريدز مع انتهاء موسم –2021 2022، لكن ما حدث، أنه وضع القلم على عقد ارتباطه بالنادي حتى إشعار آخر، أما الآن وبعد تأكد خروجه من «الأنفيلد» من الباب الكبير، قد يعود وسط الرئيس جوان لابورتا للتواصل مع رامي عباس، ليكون الصفقة الإعلامية التي سيستهل بها ولايته الجديدة، كما فعل قبل 4 سنوات حين تعاقد مع روبرت ليفاندوفسكي بنفس عمر المو حاليا –على أعتاب الـ34 عاما–، وذلك في الوقت الذي يستعد المهاجم البولندي لخوض تجربته الأخيرة في الملاعب في دوري الميجور ليغ، وعلى سيرة الدوري الأمريكي، يبقى الوجهة الأكثر ارتباطا بمستقبل صلاح في المرحلة القادمة، وذلك استنادا إلى تسونامي التقارير الأمريكية التي تضع اسمه في جمل مفيدة مع العديد من أندية الميجور ليغ، بما فيهم نادي ديبغو إف سي، الملموك للملياردير المصري البريطاني محمد منصور، وأيضا نادي شيكاغو فاير، الذي ينظر إلى صلاح باعتباره الخيار المثالي للمرحلة القادمة، بعد تعثر المفاوضات مع أسماء بوزن نيماد جونيور، وكيفن دي بروين وروبرت ليفاندوفسكي الموسم الماضي، ويقال كذلك على نطاق واسع، إن إدارة نادي نيويورك سيتي –التابعة لمجموعة سيتي– ، لا تستبعد التوقيع مع نجم بحجم قائد الفراعنة، لمساعدة النادي على جذب الجماهير إلى الملعب الجديد الذي سيفتتح في منطقة كوينز العام المقبل، أو قد يسير على خطى الطيور المهاجرة من أوروبا إلى جنة كرة القدم الجديدة في الشرق الأوسط، والحديث عن الدوري السعودي، وبالأخص نادي الاتحاد الذي حاول ضم النجم المصري بأرقام فلكية في صيف 2023، لكن آنذاك رفضت الإدارة الأمريكية المستحوذة على النادي الإنكليزي كل العروض السعودية، وذلك بعد الاستغناء عن ساديو ماني وروبرتو فيرمينو، إلى جانب ضيق الوقت من أجل تعويض صلاح بلاعب بنفس جودته وتأثيره، لذا لن تكون مفاجأة إذا تجددت المفاوضات مرة أخرى، أو تحول الاهتمام إلى الزعيم الهلالي، ليكون شراكة من كوكب آخر وفقة كريم بنزيمة في هجوم الموج الأزرق العاصمي، في ما يبقى خياره الأخير والأضعف في أوروبا، هو الذهاب إلى باريس سان جيرمان، وذلك بعد تخلي بطل دوري أبطال أوروبا عن سياسة التوقيع مع المشاهير وفئة الميغا ستار، وانحصار تركيزه على المواهب المرشحة للانفجار الكروي على المدى القصير والمتوسط.

بالنسبة لليفربول، فلا شك أبدا أن مجموعة «فينواي» كانت صادقها، في تعبيرها عن امتنانها لكل ما قدمه المو للفريق على مدار تسع سنوات، لكنها في نفس الوقت كانت سعيدة للغاية بالمكاسب المالية التي ستعود على الخزينة بعد التخلص من راتب هداف الفريق الباهظ، أو ما مجموعه أكثر من 20 مليون جنيه إسترليني، كان سيتحصل عليها لو استمر مع الفريق حتى نهاية عقده الممتد لموسم آخر، وذلك في الوقت الذي يحتاج فيه مشروع آرني سلوت للاعب بنفس طاقة وتأثير صلاح في سنوات ذروته، ووفقا لما هو رائج في وسائل الإعلام في هذه الأثناء، يأتي النجم الفرنسي مايكل أوليس، الذي تحول من مشروع جوهرة واعدة إلى جناح مهاجم من الطراز العالمي مع بايرن ميونخ، لكن حجر العثرة يكمن في اعتراض إدارة العملاق البافاري على فكرة التخلي عن الشاب العشريني، حتى لو تلقى عرضا لا يقاوم من الناحية المادية، ويزاحمه في ترشيحات القائمة المختصرة، مواطنه الآخر برادلي باركولا، الذي تحوم الشائعات حول مستقبله مع باريس سان جيرمان من حين لآخر، لكثرة جلوسه على مقاعد البدلاء منذ وصول النجم الجورجي كفاراتسيخليا إلى «حديقة الأمراء» في شتاء 2025، ويُقال أيضا إن الإدارة لا تستبعد الانقضاض على نجم المنتخب الإسباني ونادي أتلتيك بلباو نيكو ويليامز، الذي كان يتصدر قائمة المطلوبين في برشلونة قبل عامين، لكن في الأخير فضل تأمين مستقبله مع ناديه الباسكي، أما إذا أعاد التفكير حول مستقبله مرة أخرى، فقد يكون البديل الإستراتيجي القادر على تعويض صلاح لعقد من الزمان على أقل تقدير، وهناك أسماء أخرى في قائمة المرشحين من نوعية جناح ميلان حاليا وتشيلسي سابقا كريستيان بوليسيتش، وجناح برينتفورد دانغو واتا را وثنائي ليفربول الألماني يان ديوماندي ويوهان باكايوكو، فمن يا ترى من هؤلاء سيعول عليه ليفربول لتعويض جزء من تأثير وأهداف كبير الهدافين في الألفية؟ دعونا ننتظر ما سيحدث بعد المونديال الأمريكي.

وكل التوفيق للنجم المصري محمد صلاح في تجربته القادمة.

ملحق المونديال... من سيحتفل في نهائيات الثلاثاء؟

لندن – «القدس العربي»:

على غير العادة.. حظي التوقف الدولي الخاص بشهر آذار/مارس الجاري، بمتابعة إعلامية وجماهيرية فاقت كل التوقعات، وذلك ليس فقط لأنه التوقف الأخير لهذا الموسم، أو البروفة قبل الأخيرة بالنسبة للمنتخبات التي تأهلت بشكل رسمي إلى نهائيات كأس العالم 2026، بل أيضا لأنه للاستمتاع بالمباريات الودية ذات الصيغة الرسمية، أبرزهم القمة الكلاسيكية التي جمعت وصيف بطل العالم منتخب فرنسا ببطل العالم 5 مرات من قبل منتخب البرازيل، وانتهت بفوز كيليان مبابي ورفاقه بهدفين مقابل هدف، والأهم في نفس التوقف، ما يتصدر عناوين الصحف والمواقع الرياضية في هذه الأثناء، تصفيات الملحق الأوروبي والعالمي المؤهل للمونديال، حيث يتقاتل 22 منتخبا من كل أرجاء المعمورة من أجل انتزاع آخر 6 بطاقات مؤهلة للمعترك العالمي، وفي هذا التقرير دعونا نستعرض معا نتائج مباريات الدور نصف النهائي والمواجهات المنتظرة بعد غد الثلاثاء في نهائي المسارات الست في أوروبا وباقي قارات العالم.

الملحق العالمي

في فجر الجمعة، تمكن منتخب جامايكا من تحقيق الفوز على منتخب كاليدونيا الجديدة العنيد بهدف نظيف، حمل توقيع مهاجم نادي ريكسهام بيلي كاداماتيري من كرة ارتدت من يد الحارس في أول 17 دقيقة، وعلى الرغم من شجاعة الفريق الأوقيانوسي وجرأته في الوصول إلى مرمى ممثل أمريكا الوسطى وجزر الكاريبي، إلا أن الدفاع الجامايكي ومن خلفه الحارس والقائد أندريه بليك، نجحوا في الحفاظ على نظافة شباكهم، ليضربوا موعدا مع قاهرة عمالقة القارة السمراء الكاميرون ونيجيريا، والإشارة إلى منتخب الكونغو الديمقراطية، في المباراة النهائية لهذا المسار المقررة في غوادالاخارا في نفس يوم النهائيات –هذا الثلاثاء–، علما بأن الفائز منهما سيذهب مباشرة إلى المجموعة الحادية عشر في كأس العالم، والتي تضم كل من منتخب البرتغال، ومنتخب كولومبيا ومنتخب أوزبكستان، أما المسار الأخر الذي يحظى بمتابعة واهتمام الجماهير العربية بوجه عام والجمهور العراقي بـالأخص، فقد أسدل الستار على مباراة نصف النهائي بفوز المنتخب البوليفي على نظيره السوريناميي بهدفين مقابل، ما يعني أن المنتخب العراقي سيكون على موعد مع بوليفيا في نهائي لا يقبل القسمة على اثنين، إما حصول أسود الرافدين على أول تأشيرة لعب في المونديال منذ نسخة مارادونا 1986، وإما ذهاب التذكرة إلى المنتخب اللاتيني الذي يحلم بالعودة للمشاركة في كأس العالم بعد غياب تخطى الثلاثة عقود، تحديدا منذ المشاركة الرابعة والأخيرة في تاريخ البلاد في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1994، وبطبيعة الحال الفائز منهما سيتعين عليه الدخول في معارك حامية الوطيس مع فرنسا والسنغال والنرويج في المجموعة التاسعة في المونديال.

انفراجة إيطالية

في الملحق الأوروبي، توجهت أنظار الملايين من عشاق كرة القدم نحو ملعب برغامو، لمتابعة موقعة صاحب الأرض المنتخب الإيطالي بضيفه الشمالي ايرلندا الشمالية، في مباراة ظلت عالقة وقابلة لكل الاحتمالات لمدة ساعة لعب، إلى أن قرر نجم نيوكاسل يونايتد ساندرو تونالي وضع بلاده في المقدمة، بتصويبة أرضية زاحفة على يمين حامي عرين الفريق البريطاني، قبل أن ينهي مويس كين المباراة إكلينيكيا بالهدف الثاني، في ما وُصفت إعلاميا بالاختبار السهل لفريق المدرب جنارو غاتوزو، أو كما قيل على نطاق واسع الآدزوي حقق فوزا سهلا على حساب منتخب ايرلندا الشمالية، رغم الأداء غير المقنع الذي كان عليه أبطال العالم 4 مرات من قبل في الشوط الأول، تارة بهفوات مشتركة بين الحارس جيجي دوناروما وبين باستوني، وتارة أخرى بغياب الترابط والانسجام بين بوليتانو وباريلا ولوكاتيلي في وسط الملعب، فقط تونالي هو ما ظهر بشخصية أقل ما عنها مميزة في الشوط الأول، قبل أن يُكشر عن أنيابه بالصورة المتوقعة والمنتظرة منه في الشوط الثاني، فقط الخط الأمامي كان بمثابة العلامة الفارقة لأسياد الدفاع، بغارات لا تتوقف على الحارس، حتى عندما كان المهاجم الإيطالي الأرجنتيني ريتيغي في أتعس حالاته الفنية والبدنية، قبل أن يدفع المدرب بيبو إسبزيتو، الذي أعطى الكثير من النشاط والحيوية للثلث الأخير من الملعب بعد مشاركته في آخر نصف ساعة لعب، وكل ما سبق، يعني باختصار الترابط والانسجام بين بوليتانو وباريلا ولوكاتيلي في وسط الملعب، فقط تونالي هو ما ظهر بشخصية أقل ما عنها مميزة في الشوط الأول، قبل أن يُكشر عن أنيابه بالصورة المتوقعة والمنتظرة منه في الشوط الثاني، فقط الخط الأمامي كان بمثابة العلامة الفارقة لأسياد الدفاع، بغارات لا تتوقف على الحارس، حتى عندما كان المهاجم الإيطالي الأرجنتيني ريتيغي في أتعس حالاته الفنية والبدنية، قبل أن يدفع المدرب بيبو إسبزيتو، الذي أعطى الكثير من النشاط والحيوية للثلث الأخير من الملعب بعد مشاركته في آخر نصف ساعة لعب، وكل ما سبق، يعني باختصار الترابط والانسجام بين بوليتانو وباريلا ولوكاتيلي في وسط الملعب، فقط تونالي هو ما ظهر بشخصية أقل ما عنها مميزة في الشوط الأول، قبل أن يُكشر عن أنيابه بالصورة المتوقعة والمنتظرة منه في الشوط الثاني، فقط الخط الأمامي كان بمثابة العلامة الفارقة لأسياد الدفاع، بغارات لا تتوقف على

هل تبخر حلم نيمار بالمشاركة في المونديال قبل الاعتزال؟

لندن – «القدس العربي»:

عاد النجم البرازيلي نيمار جونيور ليتصدر عناوين الصحف والمواقع الرياضية، وهذه المرة ليس لإبداعه أو لنجاحه في تسجيل هدف سينمائي كما كان يفعل في سنوات نزوته مع برشلونة وباريس سان جيرمان، بل للجدل الذي أثير حول قرار المدير الفني لمنتخب السيليساو كارلو أنشيلوتي، بأستبعاد صاحب الـ34 عاما من القائمة التي يعول عليها في معسكر آذار/مارس الجاري، والذي استهله بطل العالم 5 مرات من قبل بالخسارة وديا أمام الديوك الفرنسية بنتيجة 1–2، ومن المفترض أن يختتمها بمواجهة كرواتيا بعد غد الثلاثاء، كآخر بروفة بالنسبة للميستر كارلو أنشيلوتي قبل أن يستقر على القائمة النهائية التي سترافقه في نهائيات كأس العالم 2026، والسؤال هنا.. هل خرج أغلى لاعب في التاريخ من حسابات مدربه الإيطالي قبل المونديال؟ وماذا يحتاج لينعش آماله في تحقيق حلمه الأخير في ملاعب كرة القدم بالدفاع عن ألوان بلاده في المعترك العالمي قبل أن يتخذ قرار الاعتزال في نهاية هذا العام؟ هذا ما سيجيب عليه التقرير التالي.

الإصابات والتراخي

بصرف النظر عن السخرية التي يتعرض لها نيمار في وسائل التواصل الاجتماعي بسبب سهراته الصاخبة، سيكون من الصعب الجدال عن موهبته النادرة، كلاعب كان في فترة من الفترات على بعد خطوة من احتكار جائزة أفضل لاعب في العالم في فترة ما بعد الثنائي الفضائي كريستيانو رونالدو، لكن مشكلته مع لعنة الإصابة التي كانت تطارده بشكل سنوي في نفس فترة احتفالات شقيقته بعيد ميلادها وأسبوع عيد الحب، تسببت بشكل أو بآخر في ابتعاده عن دائرة الضوء، لدرجة ترحيب ناديه السابق باريس سان جيرمان ببيعه للهلال السعودي بأعلى عائد مادي متاح، للتخلص من راتبه الضخم وكابوس إصاباته شبه المزمنة، ومعها أخذت مسيرته الاحترافية محنى آخر، من ساحر يحلم به أي فريق في العالم، إلى لاعب زجاجي لا يقوى على خوض مباراتين متتاليتين على مدار 18 شهرا، لينتهي به المطاف بالعودة إلى بلاده عبر بوابة ناديه المفضل سانتوس، على أمل أن تكون بوابته لعودته إلى سابق عهده، أو في أضعف التقديرات ليستعيد عافيته بعد إصابته بقطع في الرباط الصليبي أثناء مشاركته في مباراة البرازيل ضد أوروغواي في تشرين الأول/أكتوبر 2023، لكن ما حدث، أن هذا الصفقة لم تغير كثيرا من وضعه، إذ استمرت مشاكله مع لعنة الإصابة، التي جعلته يكتفي بتسجيل 11 هدفا وتقديم 5 تمريرات حاسمة في موسم 2025، قبل أن يعود إلى المربع صفر هذا الموسم، بغيابه عن 18 مباراة في جميع المسابقات، تأثرا بكفاحه مع إصابته المزمنة في أوتار الركبة، وما زاد الطين بلة اشتباكاته العنيفة مع الجماهير التي كادت تفسد عودته إلى الوطن في مرحلة ما، لولا أن هدأت الأمور بعد ذلك، وهذا بالتزامن مع التصريحات التي ألمح خلالها لإمكانية تعليق حذائه مع انتهاء عقده مع سانتوس أواخر كانون الأول/ديسمبر المقبل.

عودة خجولة

كان الاعتقاد السائد أن قائد المنتخب البرازيلي سيعود من إصابته الأخيرة أقوى من أي وقت مضى، في ظل رغبته الجامحة في إقناع أنشيلوتي بأحقيته في العودة إلى قائمة المنتخب الوطني مرة أخرى، وما عزز هذا الاعتقاد ما أظهره من شجاعة وعدم اهتزاز ثقته بنفسه بعد مشاركته كبديل في الفوز الساحق الذي حققه سانتوس على حساب فيلو كلوب بسداسية نظيفة في منتصف شباط/فبراير الماضي، لكن سرعان ما تبين أنه يعاني الأمرين من الناحية البدنية، وتجلى ذلك في فشله في ترويض الكرة على مسافة قريبة من منطقة الست ياردات، ثم فقدان الكرة في 15 مرة أمام منافس يندرج تحت مسمى متواضع، وهو ما اعترف به بعد المباراة قائلا «أنا سعيد ومرتاح لعودتي أقوى قليلا من ذي قبل. من الواضح أنني بحاجة لاستعادة إيقاعي، لكن بالمثابرة سأصل إلى كامل لياقتي. أتعامل مع الأمر خطوة بخطوة»، قبل أن يختم حديثه بتلميحاته بشأن تفكيره في الاعتزال نهائيا في نهاية هذا العام الذي وصفه بالحاسم في مشواره الاحترافي مع الساحرة المستديرة، في ما تم تفسيرها على نطاق واسع في وطن السامبا، على أنها رسائل ضغط وتحذير للمدرب أنشيلوتي، لكي يسارع بضمه إلى المنتخب قبل أن يتخذ قرار الاعتزال، لكن على أرض الملعب، يبدو وكأن الميغا ستار، لا يريد حتى مساعدة نفسه، إذ أنه بعد التلويح بالاعتزال، بصم على واحدة من أتعس مبارياته على الإطلاق في مشواره الاحترافي أمام نوفوريزونتينو الذي ينشط في دوري القسم الثاني البرازيلي، وذلك في مباراة ربع نهائي بطولة باوليستا، في ما كانت تعتبر على الورق بروفة سهلة لعملاق الكرة البرازيلية، لكن داخل المستطيل الأخضر تحولت إلى جحيم لسانتوس ونجمه نيمار، تلك المباراة انتهت بفوز الفريق المغمور بهدفين مقابل هدف، وكانت شاهدة على اللقطة التي عانى خلالها النجم الكبير من أجل السيطرة على الكرة ومنعها من الخروج من الملعب، في مشهد كان كاشفا على المشاكل البدنية التي يعاني منها صاحب الـ34 عاما، والشيء المثير، أنه سارع بالرد على المشككين في المباراة التالية أمام فاسكو دا غاما، متقمصا دور البطولة المطلقة بتسجيل هدفي فريقه، وهو ما أثار انتباه أنشيلوتي، الذي قرر حضور مباراته التالية ضد ميراسول، وسط إجماع وسائل الإعلام على أن المدرب الإيطالي قرر حضور المباراة للاطمئنان على حالة نيمار، لكنه تفاجأ بغياب اللاعب عن القائمة والفريق والملعب في اللحظات الأخيرة، وهو ما أثار استياء المسؤولين في اتحاد الكرة والخبير الإيطالي.

صراحة أنشيلوتي

رغم مشاركة نيمار في المباراة اللاحقة أمام كورينثيانز، التي انتهت بالتعادل الإيجابي بهدف في كل شبكة، لم يترك ذاك التأثير أو الأداء الذي كان ينتظره عشاق سانتوس، يكفي أنه عجز عن تسديد كرة واحدة بين القائمين والعارضة، ولم يفز سوى في 3 من أصل 11 مواجهة ثنائية مع لاعبي الخصم، وذلك في حضور اثنين من مساعدي أنشيلوتي، فكانت النتيجة استبعاده من القائمة النهائية المكونة من 26 لاعبا استعدادا لمباراتي فرنسا وكرواتيا، والسبب كما قال المدرب في رده على سؤال أحد الصحافيين حول استبعاد القائد «نيمار ليس في كامل لياقته البدنية، لذلك لم نتمكن من ضمه إلى القائمة، لكن إذا استطاع أن يكون في قمة لياقته البدنية، فسوف يكون حاضرا، وأعتقد أنه بإمكانه المشاركة في كأس العالم، لكن عليه أن يواصل التدريب واللعب وإظهار مهاراته والحفاظ على لياقته البدنية»، وهي الرسائل التي أثارت استياء النجم الكبير، وفقا للتصريحات التي أدلى بها في الفعالية الأخيرة التي أقيمت في ساو باولو، قائلا نقلا عن موقع «جول» العالمي «لا أستطيع السكوت عن هذا الأمر، من الواضح أنني أشعر بالاستياء والحزن لعدم اختياري، لكن تركيزنا يبقى كما هو، ومن حسن حظ ما زال هناك إعلان أخير عن التشكيلة النهائية المشاركة في كأس العالم»، وذلك في وقت يبدو فيه المنتخب البرازيلي وكأنه تجاوز زمن نيمار والحاجة إلى سحره، في ظل التخمة العددية غير المسبوقة في هجوم السحرة، متمثلة في المهاجمين الثمانية الذين اختارهم أنشيلوتي في هذا التوقف، والأكثر تعقيدا، المشاكل والمخاطر التي يتكبدها سانتوس نظير التكفل برعاية نيمار، متمثلة في المعاملة الخاصة التي يحظى بها، والتي كشف عنها المدرب الجديد كوكا قائلا «تحدثت معه على انفراد، وللأسف لن يشارك في مباراة الأحد لأنه خاض مباراتين متتاليتين، ولا يمكننا المخاطرة بسلامته»، والسؤال الذي يفرض نفسه، هل ينبغي على مدرب المنتخب تحمل هكذا مخاطر ولديه هذا الكم الهائل من المهاجمين المتألقين والمحترفين في أقوى الأندية الأوروبية، كما أنه من منظور مدرب سانتوس الجديد، لن يقوى نيمار على المشاركة في أكثر من 4 مباريات من الثماني المتبقية للفريق حتى انتهاء الموسم الجاري، فهل يا ترى سيخالف كل التوقعات وينجح في استعادة كامل لياقته في الأسابيع القليلة المتبقية على إعلان قائمة البرازيل النهائية المشاركة في المونديال؟ أم سيبقى يكافح مع إصابته إلى أن يضطر لاتخاذ قرار الاعتزال في فصل الصيف؟ هذا ما سنعرفه قريبا.

المسارات الأخرى

في باقي المسارات الأوروبية، نجح منتخب جمهورية التشيك في قلب تأخره أمام جمهورية آيرلندا من هدفين نظيفين، إلى تعادل إيجابي بهدفين للكل، ثم عاد ليفوز بركلات الجزاء الترجيحية، حيث بادر المنتخب الأيرلندي بأخذ الأسبقية عن طريقة تروي بارود من علامة الجزاء في الدقيقة 19، وتبعه ماتاي كوفار بهدف بالنيران الصديقة في منتصف الشوط الأول، فيما تكفل باتريك شيك بإدراك هدف تقليص الفارق لمنتخب التشيكي، ثم جاء لاديسلاف كريسي بهدف التعادل في الدقيقة 86، وبعد الاحتكام لركلات الجزاء الترجيحية، فاز المنتخب التشيكي بنتيجة 4–3، ليضرب موعدا مع المنتخب الدنماركي في نهائي هذا المسار، وذلك بعد الفوز الكاسح الذي حققه المنتخب الاسكندينافي على حساب مقدونيا الشمالية، والذي وصل قوامه إلى رباعية نظيفة مع الرأفة، لتبقى البطاقة معلقة بين التشيك والدنمارك، والفائز منهما سيلتحق بالمجموعة التي تضم المكسيك وجنوب أفريقيا وكوريا الجنوبية في كأس العالم، وفي نفس الوقت، تمكن المنتخب التركي من الإطاحة بنظيره الروماني بهدف نظيف، سجله الظهير الأيسر لنادي برايتون فردي كاديوغلو، بتمريرة عبقرية من صانع ألعاب ريال مدريد أردا غولر، ليتبقى لأحفاد العثمانيين 90 دقيقة من أجل العودة للمشاركة في كأس العالم مرة أخرى، وهذا سيتوقف على نتيجة مباراتهم المصيرية أمام منتخب كوسوفو، الذي فجر واحدة من كبرى مفاجآت الملحق، بفوزه الملحمي على سلوفاكيا بأربعة أهداف مقابل ثلاثة في المباراة التي جمعتهما على الملعب الوطني بيترسلافيا، وفي كل الأحوال الفائز من نهائي تركيا وكوسوفو سينافس في المجموعة الرابعة في المونديال التي تضم منتخب الولايات المتحدة ومنتخب باراغواي ومنتخب أستراليا، أما المسار الرابع والأخير، فقد أسدل الستار عليه بفوز أصدقاء روبرت ليفاندوفسكي في المنتخب البولندي على ألبانيا بهدفين مقابل هدف، وذلك بالتزامن مع الانتصار الاقتصادي الذي حققه المنتخب السويدي على أوكرانيا بنتيجة 3–1، في ما ستكون موقعة قابلة لكل الاحتمالات بين بولندا والسويد من أجل افتكاك البطاقة المؤهلة للعب في المجموعة الحديدة التي تضم هولندا وتونس واليابان في كأس العالم، فما هي يا ترى المنتخبات الستة التي ستلتحق بالمنتخبات الـ42 التي حجزت مقعدها في المونديال؟ بالطبع نتمنى أن يكون أولهم المنتخب العراقي ليعزز مشاركة المنتخبات العربية في هذه النسخة المونديالية، بعد الثلاثي العربي الأسيوي منتخب الأردن ومنتخب السعودية ومنتخب قطر والرباعي الشمال أفريقي منتخب مصر، ومنتخب تونس، ومنتخب الجزائر ومنتخب المغرب.

مجتمع

بين الركام والصبر: سكان غزة يشيدون بيوتا طينية مؤقتة

إسماعيل عبدالهادي

يواجه سكان غزة صعوبة كبيرة في التأقلم مع الواقع الصعب الذي فرض عليهم بعد توقف حرب الإبادة، حيث هجر الاحتلال مئات الآلاف من السكان من منازلهم، وهدم أحياء ومدنا سكنية كاملة، ومع التقلبات الجوية والطقس البارد والأمطار، يجد النازحون أنفسهم غير قادرين على العيش داخل الخيام التي تتسرب إليها المياه وتتمزق بفعل الرياح.

ومنذ تطبيق اتفاق إطلاق النار، يواصل الاحتلال منع إدخال مواد البناء إلى قطاع غزة، استمرارا لحرب الإبادة ونهج الترحيل القسري، هذا الحصار دفع الكثير من العائلات الفلسطينية في غزة إلى البحث عن حلول ولو مؤقتة تكون أقل سوءا من حياة الخيام، ومن ذلك استصلاح المساكن بالمواد المتوفرة من الخشب والطين والوالح الزينكو، رغم أن جميعها غير آمنة ومعرضة للانهيار في أي لحظة.

ورغم افتقارها لأدنى معايير الأمان، ومحدوديتها في مواجهة تقلبات الطقس القاسية خاصة في فصل الشتاء، يجد البعض من النازحين حلولا للتعايش بأقل الضرر مع هذه المعاناة، حيث بدأ بعض أهالي قطاع غزة تشييد بيوت طينية كحل مؤقت للسكن، لحين إعادة إعمار منازلهم التي دمرتها حرب الإبادة الإسرائيلية، في ظل استمرار الحصار الخانق ومنع الاحتلال دخول مستلزمات البناء، حيث يعيد هذا المشهد إلى الذاكرة بدايات التهجير القسري للفلسطينيين خلال سنوات مضت، لكنها تمثل الملاذ الوحيد لهم، في ظل الواقع المأساوي الذي يعيشونه، وكبديل عن الخيام التي لا تقيهم حر الصيف ولا برد الشتاء.

وتسببت حرب الإبادة التي استمرت لأكثر من عامين، في تدمير آلاف المنازل والوحدات السكنية، ما ترك أهالي غزة بلا مأوى، حتى الخيام لا تحمي النازحين، بعد أن غرقت بمياه الأمطار وتمزقت وتطايرت بفعل الرياح القوية، ومع تأخر الإعمار وارتفاع أسعار الإيجارات وندرة السكن، لم يجد الكثير من النازحين سوى اللجوء إلى بناء مساكن من الطين بجهود ذاتية ومواد شحيحة، في محاولة لتوفير الحد الأدنى من الأمان للأطفال والنساء.

على مقربة من ساحل شاطئ مدينة الزوايدة وسط قطاع غزة، يجتهد المواطن وافي خليل في جمع الحجارة من البيوت المهدمة، استعدادا لإنشاء بيت صغير من الطين يحمي أسرته من البرد والأمطار. ويقول «تعبت كثيرا على مدار عام ونصف من النزوح، وكل موسم أشعة الشمس وخلال الشتاء تتسرب احتاج إلى تبديل الخيمة، خلال الصيف تتمزق من المياه، ونتيجة هذه المعاناة والتشرد أفكر ببناء منزل من الطين بشكل مؤقت إلى حين توفر بديل دائم».

ويشير في حديثه لـ«القدس العربي»، إلى أن الاحتلال الإسرائيلي يحرم سكان غزة من إعادة إعمار منازلهم، ويربط ذلك بشروط تعجيزية تؤخر البدء بعملية الإعمار، كما يمنع دخول مواد الإعمار وأبرزها الأسمنت، الذي يساعد في إصلاح الأضرار الجزئية في البيوت، ونتيجة لذلك اتجه المواطنون إلى إصلاح الأضرار من خلال استصلاح الحجارة من بين الركام وبناؤها بالطين بدلا من الأسمنت.

وبين أن فكرة البناء بالطين ليست وليدة الحاضر، بل أن الأجداد عندما هاجروا قسرا من فلسطين، أنشأوا بيوتا من الطين وعاشوا داخلها لسنوات، كما أن البيوت الطينية قبل الحرب كانت نادرة في قطاع غزة، وينظر إليها باعتبارها إرثا حضاريا ومزارا للرحلات والجلسات التراثية يلتقطون فيها صورا تذكارية.

حال المواطن وافي لم يكن استثناء، بل أن المواطن وسيم عوض يعمل على جمع حجارة من منزله المهدم برفقة أفراد أسرته، استعدادا لبناء منزل من الطين يحميه من التقلبات الجوية.

ويؤكد لـ«القدس العربي» أنه فقد الأمل في إمكانية بدء الإعمار قريبا، في ظل الحديث الإسرائيلي عن إمكانية استئناف القتال لاحقا، كما أن تلكؤ الاحتلال في منع إدخال الكرفانات، زاد من إحباط وتذمر النازحين، وبدأوا بالبحث عن بدائل عن الخيام.

وأوضح أن «بناء بيت الطين ليس سهلاً، فمع قرار البناء بدأت خطة البحث عن الطين، والذي كنا نستخدمه سابقا في صناعة الأفران، حيث توجد المناطق الطينية في شرق غزة بالقرب من تواجد الاحتلال داخل الخط الأصفر، وهنا تبدأ مرحلة المخاطرة بالحياة، حيث يستهدف الجيش كل من يقترب أو يتواجد في محيط الخط الأصفر، لكن الوضع الصعب الذي نعيشه، يدفعنا إلى المخاطرة بالحصول على الطين».

وحول مدى قدرة البيوت الطينية على حماية النازحين من التقلبات واختيارها كبديل عن الخيام، يقول المهندس المعماري محمد مصطفى، «ترميم البيوت كاملة بالطين غير آمن ولا عملي خصوصا في المطر، بل يمكن أن يكون حلا مؤقتا، ولكن يمكن إضافة بعض المواد التي تجعل البناء متينا، مثل مزج الرمل مع الكلس، وهذا الحل أفضل من الطين لأنه رابط قوي لا يذوب بالماء كونه مادة صخرية».

ويوضح لـ«القدس العربي»، أن طريقة البناء التي يقوم بها المواطنون حاليا بدائية وغير آمنة كثيرا، حيث يتم خلط الطين مع الماء، واستخدام هذا الخليط في تثبيت الحجارة بدل الأسمنت، والخوف هنا ليس من تسرب مياه الأمطار، بل من الرياح القوية التي قد تعمل على انهيار الجدران.

ولفت إلى أن المطلوب في الوقت الحالي، وقفة دولية عاجلة لحماية سكان غزة من فقدان حياتهم داخل مساكنهم المهترئة، والعمل على إدخال الكرفانات التي تعتبر الحل الآمن للنازحين، خاصة مع تهجير النازحين من المخيمات القريبة من الخط الأصفر، وتركهم بلا مأوى في الشوارع. وشهد قطاع غزة قبل الحرب نهضة عمرانية وتطورا تكنولوجيا ملحوظا، شمل المباني السكنية والشركات والفنادق، التي أخذت تتنافس في تصاميمها وديكوراتها مع العمارة الحديثة على المستوى العالمي، غير أن حرب الإبادة الجماعية التي شنتها إسرائيل لعامين، ثم ألحقتها بحصار خانق، حولت غالبية المباني أثرا بعد عين.

البردة بلاو

المكونات

أربعة أكواب أرز
نصف كيلو فطر
نصف كيلو بازلاء
كوب من الشعيرية
بصلة مفرومة فرماً ناعماً
حبتان من البطاطا مقطعة إلى مربعات صغيرة
نصف كيلو من اللحم المسلوق والمحمر
عجينة البردة بلاو
نصف كوب زيت نباتي
ملعقتان من الزبدة
ملح وبهارات مشكلة

طريق تحضير عجينة بردة بلاو: سبعة أكواب من الطحين. كوب من الحليب السائل. كوب من زيت الذرة. ملعقة صغيرة من الخميرة الفورية. نصف ملعقة صغيرة من الملح.

نخلط الطحين مع الزيت، والخميرة، والملح. نضيف الحليب بشكل تدريجي، ونعجن المكوّنات معاً باليدين حتى تتكوّن عجينة متماسكة. نضع العجينة في وعاء مدهون بالقليل من الزيت، ونغطي، ونتركها في مكان دافئ لمدة نصف ساعة حتى تتخمر. نقسم العجينة إلى كرات متساوية الحجم، نرققها باستخدام النشابة، ثم نستعملها لتحضير البردة.

طريقة التحضير

نطهو الأرز مع الشعيرية، والملح، والبهارات على نار منخفضة. نقلي البطاطا مع البازلاء، والفطر، والبصل، ونضيف الملح، والبهارات. نضع العجينة في صينية فرن، ونرتب فوقها اللحم، والحشوة، والأرز، ونضغط عليهم. نضيف طبقة أخرى من العجين فوق الحشوة. ندخل الصينية إلى فرن مسخن مسبقاً على درجة حرارة معتدلة، ولمدة لا تقل عن عشرين دقيقة حتى تتحمر العجينة، ثم نخرج الصينية.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

تجارب فيزيائية واكتشافات في المطبخ بدل المختبر

حتى آخر قطرة حليب يجب أن تضاف إلى القهوة وآخر قطرة من زيت الزيتون يجب أن تضاف إلى السلطة، حيث نقف في المطبخ بزجاجات أو علب مائلة وننتظر بصبر. جميعنا نعرف مثل هذه المواقف، ولكن كم من الوقت يجب أن ننتظر بالضبط؟ هذا ما تساءل بشأنه اثنان من علماء الفيزياء في جامعة براون في بروفيدنس في الولايات المتحدة.

تذكر توماس دوتا، طالب الدكتوراه في الفيزياء كيف كانت جدته تكافح من أجل الحصول على آخر القطرات. وكان أستاذ الفيزياء جاي تانغ يقف في مطبخ منزله متسائلا مرارا عن المدة التي يستغرقها تصريف الماء بعد غسل المقلاة.

في الواقع يبحث تانغ في الفيزياء الحيوية للبكتيريا وبشكل أكثر تحديدا في كيفية حركة الكائنات الحية وحيدة الخلية وكيفية انتشار أسراب البكتيريا على الأسطح الرطبة. يتطلب هذا البحث فهما دقيقا لكيفية عمل ميكانيك التدفق. ولتوضيح ذلك لطالب الدكتوراه دوتا قرر تانغ دراسة ظواهر الفيزياء اليومية. مثل «مشكلة غسل» مقالة الووك الخاصة به.

فالأستاذ لا يحفظها لأن ذلك قد يزيل طبقة الزيت التي تمنع الطعام من الاحتراق. ولكن إذا بقيت المقلاة رطبة فقد يتشكل الصدأ عند تبخر الماء المتبقي.

يقول تانغ: «عندما أسكب ماء الغسل يبقى دائما بعض الماء في المقلاة. لذلك أنتظر عادة بضع دقائق حتى تتجمع هذه الطبقة الرقيقة من الماء في قاع المقلاة ثم أسكبها مرة أخرى».

ولكن هل تكفي هذه الدقائق القليلة لتجمع كل الماء المتبقي تقريبا حتى يمكن سكبه؟ لذلك شرع الباحثان في حساب وقت الانتظار اللازم لتصريف السوائل بدقة. وقاما بفحص الحليب وزيت الزيتون وشراب القيقب بالإضافة إلى ماء غسل المقالة المذكور.

في البداية قام تانغ ودوتا بحساب الوقت اللازم باستخدام ما يُعرف بمعادلات نافييه ستوكس. تصف هذه المعادلات حركة السوائل والغازات مثل الماء والهواء والزيت. بعد أن توقع الفيزيائيون نظريا المدة التي ستستغرقها السوائل لتتدفق عبر سطح مائل، قاموا باختبار ذلك في تجارب. وفيها تركوا السوائل تتدفق عبر لوح مائل بزاوية 45 درجة. ومن خلال وزن الكمية المتدفقة حددوا متى تم سكب 90 بالمئة من السائل.

أكدت التجارب بشكل أساسي الحسابات النظرية. فقد تدفق الماء في غضون ثوان قليلة. أما بالنسبة للسوائل ذات اللزوجة المنخفضة مثل الحليب فقد استغرق الأمر حوالي 30 ثانية حتى يتدفق 90 بالمئة من طبقة السائل الرقيقة. في المقابل استغرق زيت الزيتون الأكثر لزوجة أكثر من تسع دقائق، بينما استغرق شراب القيقب البارد عدة ساعات.

وماذا عن «مشكلة المقلاة»؟ باستخدام معادلات ميكانيك التدفق طور دوتا محاكاة حاسوبية لتحديد الوقت الأمثل لانتظار تجمع الماء المتبقي في المقلاة. وهكذا لخص النتيجة «لقد فوجئت، وبصراحة شعرت ببعض خيبة الأمل»، وأضاف «عادة ما أنتظر دقيقة أو دقيقتين فقط، ولكن اتضح أنني يجب أن أكون أكثر صبرا». فقد أظهرت حسابات دوتا أن تجميع 90 بالمئة من الماء المتبقي في قاع المقلاة يستغرق حوالي 15 دقيقة.

لن يهز رأسه الآن مشتغرباً أمام كل هذه «الفيزياء المنزلية» نقول: لقد تم إنشاء جائزة خاصة لمثل هذه الأبحاث الترفيهية: جائزة ماريو ماركوس للعلوم الترفيهية، وتُمنح الجائزة وقيمتها 10 آلاف يورو منذ عام 2022 من قبل جمعية الكيميائيين الألمان.

الفكرة وراء ذلك: في حين أن مشاريع البحث تُجرى اليوم في المقام الأول على أمل أن يكون لها تطبيق ملموس، فإن نظرة إلى الماضي تظهر أن المعرفة الجديدة كانت تُكتسب دائما بطريقة مرحة وبدافع الفضول المحض.

كان ذلك يحدث دائما عن طريق الصدفة البحتة أو من خلال تجارب فاشلة على ما يبدو. وقد اكتشف الكسندر فليمنغ البنسلين فقط لأن جراثيم العفن من جنس Penicillium وصلت عن طريق الخطأ إلى مزارع البكتيريا التي كان يريد استخدامها في التجارب، ورأى فليمنغ أن العديد من البكتريا قد ماتت.

تساقطت قطرة من مادة مخلوطة بالكبريت من المطاط الطبيعي على موقد ساخن عن طريق الخطأ فاكتشف تشارلز نيلسون غودير أن المادة أصبحت أكثر مرونة وقوة وثباتا؛ وهكذا تم اكتشاف عملية فلكنة المطاط.

ونحن مدينون بفضل صنع العجين اللين كالعاب لسيدة تدعى كاي تسوفال. فقد أدركت معلمة الروضة أن منظف الجدران القابل للتشكيل مناسب أيضا لتسلية الأطفال. (DW)

الحمل

يمكنك حل المشكلات الأسرية

الثور

حياتك العاطفية ستكون على ما يرام

الجوزاء

تعيش الحب الحقيقي

السرطان

تتسلم منصباً مهماً في الأيام المقبلة

الاسد

تنظيم مواعيد الطعام إيجابي صحيا

العذراء

تتبع منهجا عمليا في حياتك المهنية

الميزان

توافق بيتك وبيته الشريك

العقرب

صحتك الأمراض بأسرع ما يمكنك

القوس

كن متعاطفاً ومتفهماً للمحيطين بك

الجدي

لا تهمل صحتك أكثر

الدلو

أنت إيجابي جدا اليوم ومقنع بالحيوية

الحوت

خطوة نوعية تعيدك إلى دائرة الضوء مهنيا

جديد الطب

دراسة يابانية تكتشف أن الاستنساخ محدود ولا يُمكن أن يستمر لأجيال عديدة

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت دراسة يابانية حديثة عن حدود بيولوجية قد تعترض استنساخ الثدييات عبر الأجيال، وهو ما يعني أن الاستنساخ سيكون محدوداً ولا يستمر لأجيال طويلة وذلك في حال نجاحه أصلاً. وأجرى باحثون من جامعة «ياماناشي» اليابانية تجربة استمرت قرابة عقدين، بدأت عام 2005 باستنساخ فأرة أنثى واحدة، ومن تلك الفأرة، قام الفريق بإعادة الاستنساخ جيلا بعد جيل عبر نقل المادة الوراثية «DNA» إلى بويضات خالية من مادتها الجينية الأصلية، حتى بلغ عدد الأجيال المستنسخة 57 جيلاً إضافياً، وأسفر ذلك عن إنتاج أكثر من 1200 فأر جميعها تنحدر من السلالة الأصلية نفسها.

وقال تقرير نشره موقع «ساينس اليرت» العلمي المتخصص، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن الباحثين مع التقدم في هذه التجربة وصولا إلى الجيل الثامن والخمسين، وعندها بدأت تظهر مشكلات حادة في الاستنساخ.

وقال العلماء إن الطفرات الجينية تراكمت في هذه السلالة إلى مستويات كبيرة، ما أدى إلى ضعف شديد في الحيوية؛ إذ كانت الفئران تنفق بعد ولادتها مباشرة.

وتعد هذه الدراسة من أوائل الأبحاث المحكمة التي نجحت في تنفيذ استنساخ تسلسلي للثدييات عبر هذا العدد الكبير من الأجيال، وهو ما أتاح للباحثين تتبع التغيرات الجينية المتراكمة بشكل دقيق.

وأوضح فريق البحث، بقيادة عالمة الوراثة ساياكا واكاياما، أن نتائجهم تشير إلى أن التكاثر بالاستنساخ وحده قد لا يكون كافيا لاستمرار أنواع الثدييات على المدى الطويل، مقارنة بكائنات أخرى قادرة على التكاثر اللاجنسي.

وتتوافق هذه النتائج مع ما يعرف في علم الوراثة بنظرية «Muller's ratchet»، التي تفترض أن الطفرات الضارة تتراكم تدريجيا في الكائنات التي تتكاثر لا جنسيا، ما يؤدي في النهاية إلى تدهور السلالة وانقراضها.

وقد أظهرت التجربة اليابانية أنه رغم نجاح الاستنساخ في المراحل الأولى، وتحسن معدلاته في بعض الأجيال، فإن الاستمرار في إعادة استنساخ المستنسخات يؤدي تدريجيا إلى تراكم أخطاء جينية تؤثر في بقاء الكائنات.

كما بيّنت النتائج أن الفئران ظلت تبدو سليمة خلال الأجيال الأولى، إلا أن المشكلات بدأت بالظهور بوضوح بعد الجيل الخامس والعشرين، حيث سُجل فقدان في الكروموسوم X وارتفاع في معدل الطفرات الضارة، قبل أن تتدهور القدرة على الاستنساخ بشكل ملحوظ.

ومع ذلك، أظهرت التجارب أن الفئران التي تحمل طفرات جينية لا تزال قادرة على التكاثر عند تهجينها مع فئران طبيعية، حيث استعادت الأجيال الناتجة مستويات صحية طبيعية في عدد الصغار.

وتشير هذه النتائج إلى أن الثدييات تمتلك قدرة نسبية على تحمّل الطفرات الجينية، لكنها في الوقت نفسه تعتمد على التكاثر الجنسي للحفاظ على استقرارها الوراثي عبر الأجيال.

وقد خلص الباحثون إلى أن الاستنساخ المتكرر قد يواجه حدوداً بيولوجية حتمية، ما يعزز أهمية التكاثر الجنسي كآلية أساسية لاستمرار أنواع الثدييات على المدى الطويل.

سبع دول أفريقية في مرمى تحقيقات أمريكية حول العمل القسري

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

لم تعد ظاهرة تشغيل الأطفال والعمل القسري في أفريقيا مجرد قضية اجتماعية أو حقوقية معزولة، بل تحوّلت إلى ملف دولي معقّد يتقاطع فيه الإنساني بالاقتصادي، ويهدد بإعادة تشكيل علاقات التجارة بين القارة الأفريقية وشركائها الدوليين، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة.

ففي خطوة لافتة، أعلن مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة إطلاق تحقيقات واسعة تستهدف نحو 60 دولة حول العالم، من بينها سبع دول أفريقية، على خلفية ما اعتبرته إخفاقاً في منع المنتجات المرتبطة بالعمل القسري، وهو توصيف يضع ضمنياً ظاهرة تشغيل الأطفال في قلب هذه المراجعات.

وتستند هذه الخطوة إلى مقتضيات قانون التجارة الأمريكي لعام 1974، حيث تسعى واشنطن إلى تقييم مدى التزام الدول المعنية بتطبيق معايير العمل الدولية، خصوصاً في ما يتعلق بسلاسل التوريد.

وتبرر الإدارة الأمريكية هذا التحرك بكون غياب الرقابة الفعالة يسمح لبعض المنتجين بتحقيق مزايا تنافسية غير عادلة عبر خفض تكاليف الإنتاج باستخدام عمالة قسرية، بما في ذلك الأطفال، وهو ما ينعكس سلباً على الشركات التي تحترم القواعد.

وتشير تقديرات منظمة العمل الدولية إلى أن العمل القسري بات يمثل اقتصاداً موازيا يدر نحو 236 مليار دولار سنوياً على المستوى العالمي، بينها قرابة 20 مليار دولار في أفريقيا، مع تسجيل ارتفاع ملحوظ في الأرباح غير المشروعة خلال السنوات الأخيرة.

كما تفيد المعطيات بأن نحو 28 مليون شخص كانوا ضحايا للعمل القسري في عام 2021، في ظل بيئات اقتصادية هشة تتسم بالفقر واتساع القطاع غير المصنف وضعف آليات الرقابة، وهي عوامل تجعل الأطفال من أكثر الفئات عرضة للاستغلال.

وفي الواقع، يتجلى تشغيل الأطفال بشكل واضح في عدد من القطاعات الحيوية داخل الاقتصادات الأفريقية، من الزراعة حيث يعملون في مزارع الكاكاو والقطن، إلى الأنشطة الاستخراجية في المناجم التقليدية، وصولاً إلى الاقتصاد الحضري غير المنظم الذي يوفر بيئة خصبة لعمالة الأطفال خارج أي إطار قانوني أو اجتماعي يحميهم.

ويؤكد خبراء أن هذه الظاهرة لا ترتبط فقط بالفقر، بل أيضا بغياب سياسات تعليمية واجتماعية ناجعة قادرة على إبقاء الأطفال داخل المدارس.

ولا تقتصر تداعيات هذه التحقيقات على الجانب الحقوقي، بل تمتد إلى المجال الاقتصادي والتجاري، إذ قد تفضي إلى فرض قيود أو رسوم إضافية على صادرات الدول المعنية، ما يهدد مصالحها في الأسواق الدولية. ويأتي ذلك في وقت بلغت فيه المبادلات التجارية بين الولايات المتحدة وأفريقيا نحو 83.4 مليار دولار في عام 2025، ضمن إطار قانون النمو والفرص في أفريقيا «AGOA» الذي يتيح لعدد من الدول الأفريقية تصدير منتجاتها بدون رسوم جمركية.

غير أن استمرار الشبهات المرتبطة بالعمل القسري وتشغيل الأطفال قد يضع هذه الامتيازات على المحك، خاصة بالنسبة للدول التي تعتمد على صادرات المواد الأولية والمنتجات الزراعية. وتكشف هذه التطورات عن معادلة دقيقة تواجهها الدول الأفريقية، إذ تجد هذه الدول نفسها مطالبة بالحفاظ على تنافسيتها الاقتصادية من جهة، وتعزيز أنظمة الرقابة وتطبيق التشريعات لحماية الأطفال من جهة أخرى.

ويرى مراقبون أن المعالجة الفعالة لهذه الظاهرة لا يمكن أن تقتصر على الضغوط الخارجية، بل تتطلب إصلاحات داخلية عميقة تشمل الاستثمار في التعليم، ودعم الأسر الهشة، وتقليص حجم الاقتصاد غير الرسمي، إلى جانب تعزيز الشفافية في سلاسل التوريد.

وفي المحصلة، تعيد هذه التحقيقات الدولية تسليط الضوء على تشغيل الأطفال بوصفه تحدياً بنيوياً يتجاوز البعد الأخلاقي ليطال صميم الاقتصاد العالمي، حيث باتت حقوق الطفولة مرتبطة بشكل مباشر بمستقبل التجارة والتنمية في القارة الأفريقية، في ظل تزايد الترابط بين المعايير الإنسانية ومتطلبات السوق الدولية.

منوعات

«صحاب الأرض»... يعيد صياغة الوعي الجمعي وينتصر للحق الفلسطيني

القاهرة ـ «القدس العربي»: فايزة هنداوي

يمثل مسلسل «صحاب الأرض» الذي عرض في رمضان 2026 نقطة تحول مفصلية في تاريخ الإنتاج الثقافي العربي المعاصر، متجاوزاً حدود العمل الدرامي، ليتحول إلى وثيقة بصرية وتاريخية ترصد حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة منذ أكتوبر 2023. هذا العمل، الذي أنتجته الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية، يجسد ذروة استثمار القوة الناعمة المصرية في صياغة الوعي الجمعي وإعادة الاعتبار للحقوق التاريخية. يحمل مسلسل «صحاب الأرض» قيمة فنية تنبع من قدرته على نقل ما يجري في غزة من نطاق الأرقام إلى مساحة التجربة الإنسانية، حيث تتحول الإحصاءات إلى وجوه وحكايات وتفاصيل يومية تكشف حجم الألم وقوة التماسك، في سياق حرب خلّفت أكثر من ثلاثين ألف شهيد، وفق ما وثقته تقارير منظمة الصحة العالمية وهيومن رايتس ووتش حتى شباط/فبراير 2026، يقدّم العمل معالجة درامية تستند إلى وقائع ميدانية، ليؤكد حضور الفن كوسيلة لحفظ الذاكرة ومواجهة محاولات طمسها.

يتحرك المسلسل داخل لحظة تاريخية ممتدة، حيث تركت الحرب آثارا عميقة على البشر والمكان، وهو ما ينعكس في بناء درامي يركز على تفاصيل الحياة تحت القصف والحصار، ويعيد تقديم الرواية الفلسطينية من زاوية إنسانية قريبة من الناس. وقد أثار العمل هجومًا مباشرًا من وسائل الإعلام في تل أبيب، حيث شنّت قنوات عبرية هجوما شديدا على العمل في مؤشر يكشف حجم القلق من تأثيره، خاصة مع قدرته على الوصول إلى جمهور واسع وتقديم سرد إنساني يناقض الرواية الإسرائيلية السائدة.

البناء السردي... القصة ووحدة الجغرافيا والمصير

اعتمد مسلسل «صحاب الأرض» على نص درامي محكم وضعه المؤلف عمار صبري، مع تطوير دقيق للسيناريو والحوار من توقيع محمد هشام عبية، ليخرج العمل برواية متماسكة تتميز بالترابط والصدق بعيدًا عن الخطابية المباشرة. واستند المؤلف في بناء الحكاية إلى تحقيقات صحافية وأفلام وثائقية، لضمان أعلى درجات الواقعية في الأحداث. نجح النص الدرامي في تجاوز حدود الفصل الجغرافي الذي يفرضه الاحتلال، من خلال عرض معاناة الفلسطينيين في الضفة الغربية بالتوازي مع غزة، مؤكدًا على وحدة المصير وانصار الجغرافيا في ملحمة البقاء. كما وضع المسلسل أحداث أكتوبر ضمن سياقها التاريخي الصحيح، معتبرًا أنها نتاج عدوان متواصل منذ عقود. مؤكدا أن الفلسطينيين يواجهون سلسلة من الحروب منذ النكبة، في استهداف تاريخي ممتد عبر أجيال، ما ينفي السردية الصهيونية التي تحصر الأزمة في لحظة زمنية محددة، رغم أن الجرح الفلسطيني مفتوح منذ سنوات طويلة. بدأ المسلسل بمشهد قصف منزل شقيق «ناصر» (إياد نصار)، لتبرز اللحظة الأولى من المعاناة اليومية التي يعيشها الفلسطينيون، ثم دخول الطبيبة «سلمى» (منة شلبي) إلى القطاع ضمن بعثة إغاثة طبية مصرية عبر معبر رفح، الشريان الحيوي الوحيد للإمدادات الإنسانية. في المستشفى الميداني، تواجه «سلمى» نقصًا حادًا في الأدوية والأجهزة، إلى جانب انقطاع متكرر للكهرباء، ما يجبر الأطباء على العمل بضوء البطاريات، وهو واقع وثقته تقارير منظمة الصحة العالمية في شباط/فبراير 2026، مع إغلاق معظم المستشفيات نتيجة النقص أو الاستهداف المباشر. مع استمرار الأحداث يسلط المسلسل الضوء على الانتهاكات اليومية، مثل قصف المستشفيات، والاعتقالات التعسفية، والتضييق الاقتصادي الذي يحول الفلسطينيين إلى رهائن. كما رصد تجاوزات الاحتلال في الضفة واعتداءات المستوطنين، وصوّر ذعر العائلات الفلسطينية أمام دبابات الجيش التي تجتاح الأحياء. وتبرز شخصية «كارما» (تارا عبود) لتجسد وجدتها في قلق دائم. ويجبرون على ترك منزلهم نتيجة الاجتياح الصهيوني قبل أن تعتقلها قوات الاحتلال. ويظهر دور المقاومة الشعبية في الضفة من خلال شخصية الشاب الذي يندفع لحماية «كارما» من اعتداء أحد المستوطنين، ما يوضح أن القمع يشمل كافة الفلسطينيين، وأن معاناة الضفة تماثل في بشاعتها ما يحدث في غزة. ونجح العمل في تسليط الضوء على استهداف الكوادر الطبية والمرافق الصحية في انتهاك صارخ للقوانين الدولية. ويبرز العمل تمسك الفلسطينيين بالحياة كشكل من أشكال المقاومة؛ فرغم القصف والدمار، يقيمون أفراحًا بسيطة، يتزوجون، ويستقبلون مواليد، كما في مشهد «الفلافل بالفول ولا بالحمص»، حيث يفتح «ناصر» نقاشًا عفويًا مع «سلمى» داخل بناية مدمرة، في محاولة للتمسك بالحياة اليومية. هذا المشهد يجمع الضحك بالألم، ويعكس صمود الفلسطينيين، حيث يتمسكون بالحياة كوسيلة للمقاومة، وهو واقع وثقته تقارير الأمم المتحدة حول زيادة الولادات في غزة رغم الحرب.

الشخصيات والأداء التمثيلي: تجسيد الوجع والصلابة

يُعتبر أداء الممثلين في «صحاب الأرض» العمود الفقري لنجاح المسلسل، حيث تحول الممثلون إلى شخصيات حقيقية تجسد الواقع المؤلم، فقدّم إياد نصار واحدًا من أكثر أدواره نضجًا وعمقًا، في شخصية ناصر المواطن الغزّاوي البسيط، صاحب المطعم الذي يجد نفسه في مواجهة قاسية مع فقدان عائلته وتهديم منزله، من دون أن يفقد إنسانيته. هذا الأداء كان حالة معايشة كاملة، انعكست فيها خبراته الشخصية وخلفيته الفلسطينية، ما أضفى على الشخصية صدقًا نادرًا وواقعية شديدة التأثير. وتتجلى قوة إياد نصار كممثل في قدرته على التعبير عن المشاعر المركّبة بدون إفراط أو مباشرة، فهو لا يقدّم الغضب بوصفه انفجارًا لحظيًا، بل يجعله تيارًا داخليًا مستمرًا يسري في كل تفاصيل الشخصية. يظهر هذا الغضب المكبوت في صمته الثقيل وفي نظراته الحادة وفي طريقته المقتضبة في الكلام وانفجار الغضب في المواقف الذي يشعر فيها بالعجز. وفي المقابل، يكشف عن وجه آخر للشخصية، لا يقل قوة، وهو الحنان الإنساني. تتبدى هذه الرهافة في تعامله مع ابن شقيقه المصاب «يونس»، ومع «سلمى»، حيث يخلق لحظات دافئة وسط الركام، يخفف بها وطأة الخوف. هذا التوازن بين القسوة والحنان هو ما يمنح الأداء ثراءه ويؤكد براعة إياد في بناء شخصية متعددة الأبعاد والتماهي معها. وقد انعكس هذا التماهي أيضًا في الكيمياء الفنية الواضحة بينه وبين منة شلبي، إذ تحولت علاقتهما على الشاشة إلى تجسيد حي للتلاحم الإنساني والشعبي بين مصر وفلسطين. وقد شهد العمل حضورًا قويا للنجمة منة شلبي، الطبيبة المصرية التي تركت حياتها المستقرة لتنضم لقافلة إغاثة طبية مصرية متجهة نحو جحيم الحصار. قدمت أداءً اتسم بالنضج الفني العالي، مركزة على التعبيرات الصامتة ولغة العيون لنقل حجم الصدمة الإنسانية التي واجهتها فور دخولها المستشفى وبدء تعاملها مع تدفق المصابين. أبدعت منة وتحولت إلى طبيبة حقيقية، تحاكي في أدائها تلك النماذج التي زارت غزة فعلياً وشاهدت ما يفوق الخيال. نظرات الدهشة والصدمة المكتومة في عينيها تماثل بدقة تلك النظرات التي وصفها الأطباء الفلسطينيون في عيون المتطوعين فور دخولهم المستشفيات تحت القصف. ابتعد أداؤها عن الدموع المفتعلة أو الصراخ الزائف؛ فنحن أمام وجه يتقلب من الترقب إلى الانهيار في ثوانٍ معدودة من دون رفع الصوت، مما يعزز المصداقية. أما الفنان الفلسطيني كامل الباشا فجسد بصدق شخصية «العم إبراهيم»، الذي يعاني من الزهايمر أو النسيان الجزئي، إبراهيم يمثل الذاكرة الوطنية التي تأبى الانكسار؛ فبينما يغيب وعيه عن تفاصيل يومه وأسماء أبنائه، تظل إحداثيات أرضه وتفاصيل بيته محفورة في وجدانه بقوة مذهلة؛ فهو يرفض التخلي عن داره متمسكًا بالبقاء وسط الركام ورافضًا كل محاولات الاقتلاع والنزوح، مؤكدًا أن الأرض تسكن الروح والجينات والوجدان قبل العقل. اعتمد العمل في أدائه على النظرة الثابتة واللحية البيضاء والتجاعيد التي تحكي سنين الثبات. مشهد وقوفه أعزل أمام العدو (مع سلاح موجه نحوه) يلخص عزة نفس لا تنكسر، مما جعله شهادة حية على رفض الاستسلام لأكثر من 80 سنة.

تارا عبود في دور كارما رسمت ملامح الوجع في الضفة، عبر أداؤها عن البراءة المكسورة: خوف، بكاء، ولكن مع إصرار طفولي على البقاء. تطورها من شابة خائفة إلى المساعدة في تهريب أحد المقاومين يظهر الصمود الذي يحمله الشباب، وهو ما تجلى في مشهد التحقيق معها. أما آدم بكري، فقد نجح في خطف الأنظار بدور الصحافي مجد والمراسل الذي ينقل الحقيقة للعالم، وأعاد مشهد استشهاده للأذهان مثل صالح استشهاد كثير من الصحافيين مثل صالح جعفراوي وأنس وعشرات الصحافيين. يصارع مجد بين الأمل واليأس، وأداؤه يجمع الغضب الشبابي بالطبية. وظهر عصام السقا في دور السائق سمير الذي واجه تعنت المستوطنين عند المعبر برسالة قوية عبر استخدام «الكلاكس»، موجهًا صفعة معنوية للإعلام العبري ومجسدا غضب عمال الإغاثة المصريين وتضحياتهم في سبيل إيصال المساعدات والأجهزة الطبية الحيوية. بالإضافة إلى محمد يوسف/أوزو وسارة يوسف، وديانا رحمة، ويزن عيد، وكيرا يغنم، ومحمد جمال عيد وروان الغابة الذين أضافوا تنوعاً خدم الحكاية وجعل المجتمع الفلسطيني يبدو حياً، مؤكدين أن الفلسطينيين غاضبون من الظلم لكنهم متمسكون بالحياة والأرض.

الإخراج والرؤية البصرية والعناصر الفنية

نجح بيتر ميمي في خلق واقعية مذهلة، معتمدا على بناء ديكورات كاملة تحاكي أحياء غزة المدمرة ومستشفياتها مثل المعمداني والشفاء، ما منح العمل هوية بصرية متفردة.. وساهم مدير التصوير حسين عسر في تعزيز هذه الهوية البصرية عبر كادرات تعتمد الإضاءة الخافتة والألوان الشاحبة، مستلهماً مصادر النور من الواقع المرير مثل كشافات «الليد» وألواح الطاقة الشمسية لتعكس حالة انقطاع الكهرباء، الديكورات الضخمة أيضا لعبت دورا كبيرا بإشراف المهندس علي حسام وتنفيذ سيد وصفي في مدينة الإنتاج الإعلامي والحزام الأخضر، محاكية الواقع بدقة متناهية لنقل إحساس الاختناق والضيق الوجودي. ولعب المونتير أحمد حمدي دوراً جوهرياً في صياغة الإيقاع الدرامي المتوتر. واكتملت اللوحة بالموسيقى التصويرية للموسيقار التونسي أمين بوحافة، التي مزجت بين الآلات الوترية الحزينة وأصوات القصف الواقعي وصوت الطائرات المسيرة لتضع المتلقي في قلب الحدث، كما اعتمد صناع العمل تقنيات متطورة في مجال المؤثرات البصرية والماكياج، حيث نفذوا جروحا وإصابات تحاكي الواقع بدقة متناهية، ما جعل المسلسل يبدو كأنه صُور في قلب غزة المحاصرة. واهتم مصممو الملابس وتفاصيل الغرافيك بإظهار حالة الاستنزاف اليومي. لينتهي المسلسل بحلقة أخيرة توازن بين الخسارة والألم والأمل، في تأكيد على أن الفن يمتلك القدرة على تخليد التضحيات وتحقيق العدالة الرمزية للضحايا، وان الذاكرة الفلسطينية عصية على المحو، وأصحاب الأرض هم الباقون.

هجرته الفرنسية نقلته من كتابة راب لبناني/فلسطيني إلى راب عالمي يتذوقه الجميع

أسلوب: لم أكتسب ثقافة المكان حيث أعيش ولا حيث ولدت وكبرت

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

في فرنسا يعمل فنان الراب أسلوب على تطوير تجربته مع هذا الفن الذي ولد وكبُر معه. وهو إن لم يكتب موضوعاً فلسطينياً مباشراً، تراه يكتب اغترابه أحياناً وذاك الحنين المقيم بداخله نحو وطن متخيل. سنوات أمضاها أسلوب في فرنسا يكتب كلماته، ويؤلف موسيقاه. وهو في مسار فني متصاعد. دائم الالتزام بأكثر من فرقة فنية، وبأكثر من مشروع. جديده العربي لقاء يجمعه مع مواطنه العواد عيسى مراد، وفي صلبه ادخال الموسيقى الإلكترونية على بعض من مقطوعات التراث الغنائي لبلاد الشام.

فنان فرنسي هو أوليفيه ليسنيه نجح في إقناع أسلوب بالجمع بين الراب العربي والجاز. والتجربة تتواصل بنجاح بعد جهود. أما المسرحي الفرنسي إيفون كوربينو فقد نجح بدوره في جذبه ليكون جزءا من عرض مسرحي، كتبه بعد زيارته للأراضي الفلسطينية المحتلة. وفيها اكتشف بأن اللجوء أكبر بكثير مما يجول في خاطر المواطن الأوروبي. والأهم أنه لجوء قسري وليس اختياريا.

مع أسلوب هذا الحوار:

○ كم مضى على اغترابك؟

● قارب اغترابي 11 سنة.

○ وكيف تعيشه؟

● لم يكن من أهدافي أن أكون في فرنسا، لكنه حدث. تستمر الحياة، وما من أحد يُدرك كيف تحركه. كموسيقي كان مفيداً التحرك خارج محيطي، فرنسا كانت فرصة. استغرقت وقتاً لفهم المجتمع ومسار النظام العام، وبذلت لذلك جهداً وطاقة. عندما بت أترك فرنسا إلى بلد أوروبي آخر، أشعر لدى عودتي بإلفة مع المكان، وبانتماء إليه بشكل أو بآخر.

○ وهل خطر لك الاغتراب إلى مكان آخر؟

● كنت أمنّي النفس بالسفر لأتعرّف إلى دنيا أخرى، ومعايشة تجارب الفنانين. رغبة لم تكن واضحة المعالم. لم تكن فرنسا في خاطري، الصدفة أخذتني إليها. هي تجربة ولم تكن اختياراً، وأتت في مرتبة مهمة من حياتي.

○ كفلسطيني لاجئ إلى لبنان هل تشعره اغتراباً ثانياً أو ثالثاً ربما؟

● بالطبع هو جزء من التغريبة الفلسطينية، هناك أماكن للاستقرار والانتماء، وتبقى الغربة الداخلية مقيمة لدى الفلسطيني. وُلد والديّا في اللجوء ولم يعرفا فلسطين التي غادرها أجدادي طلباً للنجاة بحياتهما إلى بلدان الشتات. ساقت الأقدار جدتي إلى العراق أولاً، ومن هناك نادتهما الثورة الفلسطينية إلى الأردن، ولاحقاً باتا في سوريا وبعدها لبنان، ثمّ عودة إلى سوريا. وأنا في فرنسا لا يمكنني أن أستثني نفسي من تلك التغريبة الطويلة والمتواصلة.

○ كموسيقي وفنان راب هل لهذه التغريبة أن تغذي خيالك؟

● بالتأكيد. بالاقتراب من تجربتي الشخصية فهذه الغربة، والحنين والضعف والمشاعر التي تعيش فيذا، تشكل عوامل حقيقية لصناعة الفن، وإطلاق الخيال نحو المساحات الفنية. وبالطبع تشكل حافزا أساسياً في صناعة المحتوى الذي أقدمه، وتستند للتغريبة.

○ يكون الحنين لمكان معروف من البشر. فماذا عن حنين اللاجئ الفلسطيني؟

● تعرفين أن أطفال فلسطين كبروا وهم يحملون حنيناً لمكان لم يسبق أن تعرّفوا إليه. حنين تمت صناعته في داخل كل طفل، وكبرنا جميعنا على هذا المنوال. بالنسبة لي وعندما يشتد حنيني إلى لبنان، فهو بالأساس حنين لفلسطين. حنيني للمخيم في لبنان هو حنين لفلسطين، وكذلك حنيني لوالدتي. فلسطين هي العصب الذي يذكّرني بالمخيم، والمخيم بالنسبة لي قطعة من فلسطين تم إيداعها في لبنان. ولدت وكبرت في لبنان، وجزء من ثقافتي متأثر به. كل من وُلد خارج فلسطين يرى لبنان المكان الأكثر قرباً لوطنه المحتل. هو المكان الذي يذكرني بالعودة إلى فلسطين، وبأن اللاجئين ينتظرونها. إذا الحنين الذي نحن بصدده متخيل، وهو متوارث من جيل لآخر.

○ الحنين والخيال الذي بدأت صناعته منذ النكبة ألم يصبح جينياً يبدأ في الرحم؟

● من ولدوا في لبنان يحكون عن فلسطين وكأنهم يعرفوها. بالمناسبة أجد اختلافاً بيننا كفلسطينيين من لبنان مقارنة مع فلسطيني الداخل أو الضفة وغزة. هم لا يملكون ما لدينا من خيال وحنان نحو الأرض. ونختلف في رؤيتنا للقضية، والسبب اختلاف الظروف. اللاجئ خارج الوطن ما زال يعيش الحلم. وأهلنا في فلسطين لا يرونه بالرومانسية والشاعرية التي عندنا. نحن اللاجئون فلسطين في نسيجنا ولا نحتاج لمن يصنعها لنا لبنتيها في الخيال. أي أمر في هذا العالم أنظر إليه من خلال فلسطين، وهي التي تتيح لي فتح عينيي على العالم. قال محمود درويش «وطني ليس حقيبة». وأنا لست مسافراً. إنما واقعاً فلسطين موجودة بداخل كل فلسطيني لاجئ. وطن يأكل معنا، ويلعب، ويبكي ويضحك.

○ كيف أنعكس الاغتراب نحو أوروبا على كتابة الراب وهو حرفتك؟

● بالطبع كانت له إيجابيات خاصة في اكتساب مزيد من الخبرة. إلى جانب المساحة المتاحة للتفكير بحرية نفتقدها في بلداننا العربية. هنا لن يسمع أحدنا تساؤلاً لماذا يفكر بهذه الطريقة وليس بتلك. مساحة التفكير التي وجدتها أمدتني بالكثير من الراحة، لقول الأفكار التي أرغبها. أما موضوع الاغتراب، فهو يختلف كثيراً عما كانه الحال في ثمانينات القرن الماضي وما قبلها. حينها لم تكن وسائل التواصل موجودة، وبوجودها اقتربت الأصوات، وبتنا نتحادث صوتاً وصورة فيما بعد. هذا التطور قلّص المسافات نظرياً، وبدّل طبيعة الاغتراب، تواصلي مع أهلي في لبنان يشعرني وكأني أعيش معهم.

○ وماذا تعلمت من الاغتراب؟

● عندما جئت إلى فرنسا عانيت من مسألة اعتماد مُفكرة لتدوين المهمات المطلوبة مني في الأيام المقبلة، وتساءلت عن جدواها. واكتشفت لاحقاً أنه سلوك يبدأ من أيام الدراسة الأولى، ولم يكن في نظامنا المدرسي. المسألة تتخطى الأجندة المدرسية إلى تنظيم للحياة، والأولويات اليومية والأسبوعية. لم يكن في بالي مثلاً أن أحدنا يمكنه تنظيم حفل الزفاف، وتحديد سيأتي بعد سبعة أشهر. ما تعلمته أن الشعوب الأوروبية تختلف عنا تماماً اجتماعياً. نحن نحب العائلة والـ«لمة»، وهم يفضلون الوحدة. كما أن الفرد يدير أموره ذاتيا بدون عون من أحد، من أصغر متطلباته إلى أكبرها. وهذا استلزم وقتاً لأتمكن من استيعابه. كما أننا نعتمد على العائلة والأصدقاء في أكثر أمورنا بينما الأوروبيون يعتمدون على مؤسسات الدولة. وهكذا أصف نفسي بالكائن المتحوّل، لم أكتسب ثقافة المكان كاملة حيث أعيش الآن، ولا حيث ولدت وكبرت. ولم أتمكن من أن أكون كلياً من هنا، وكلياً من هناك.

○ وكيف أنعكس الاغتراب على عطائك الفني؟

● بدون شك كان تداخل بين الشخصي والفني. كنت في محاولة تنظيم حياتي وفق مسار النظام السائد. لم تكن الأمور بهذه السهولة، إنما الفرص متوافرة لمن لديه مشروع ويرغب بتطويره. عندما جئت إلى فرنسا حضرت عروضاً لفنانين كنت أسمع عنهم ولم أتخيل يوماً أني ساكون أمامهم في مقاعد الجمهور. تلك الحفلات حفزتني لتطوير مادتي الفنية. وهذا ما قمت به بحيث أصبحت مادتي الفنية عالية. فمنتجي الفني يمكن أن يسمعه الفرنسي والإنكليزي والكولومبي واللبناني والخليجي، ويرى فيه ذات الروح والفكرة. بينما في لبنان كنت حيال راب لبناني/فلسطيني.

○ وماذا تعلمت من الاغتراب؟

● عندما جئت إلى فرنسا عانيت من مسألة اعتماد مُفكرة لتدوين المهمات المطلوبة مني في الأيام المقبلة، وتساءلت عن جدواها. واكتشفت لاحقاً أنه سلوك يبدأ من أيام الدراسة الأولى، ولم يكن في نظامنا المدرسي. المسألة تتخطى الأجندة المدرسية إلى تنظيم للحياة، والأولويات اليومية والأسبوعية. لم يكن في بالي مثلاً أن أحدنا يمكنه تنظيم حفل الزفاف، وتحديد سيأتي بعد سبعة أشهر. ما تعلمته أن الشعوب الأوروبية تختلف عنا تماماً اجتماعياً. نحن نحب العائلة والـ«لمة»، وهم يفضلون الوحدة. كما أن الفرد يدير أموره ذاتيا بدون عون من أحد، من أصغر متطلباته إلى أكبرها. وهذا استلزم وقتاً لأتمكن من استيعابه. كما أننا نعتمد على العائلة والأصدقاء في أكثر أمورنا بينما الأوروبيون يعتمدون على مؤسسات الدولة. وهكذا أصف نفسي بالكائن المتحوّل، لم أكتسب ثقافة المكان كاملة حيث أعيش الآن، ولا حيث ولدت وكبرت. ولم أتمكن من أن أكون كلياً من هنا، وكلياً من هناك.

○ وكيف أنعكس الاغتراب على عطائك الفني؟

● بدون شك كان تداخل بين الشخصي

مع رابر ناطق بالعربية. أما مشروع الجاز الكلاسيكي فيوجد من أمثاله الآلاف. لمست أن الجمهور الفرنسي فضولي جداً، ويحب الاكتشاف. والثقافة على مختلف مستوياتها مطلوبة من قبله، من الطفولة إلى مراحل العمر المتقدّمة. وأن الثقافة من تقاليد الناس في هذه البلاد، والفن في حياة الفرنسي ليس رفاهية بل من صلبها.

○ وصدر لك مع فرقة الجاز الفرنسية سي دي فماذا عنه؟

● إنها فرقة «Olivier Laisnaiy Spectrum Of Rebellion». إضافة إلى اوليفيه عازف الترومبيت أعضاؤها هم: اتيان رونار، ستيفان ادسوبار، وأنزو كارنييه وأنا. التقينا في باريس إثر حضور اوليفيه حفلا لي. لفتته نوعية الموسيقى، فطرح فكرة التعاون ضمن فرقة الجاز. اقتراح أن أسعى للاندماج كرابر مع الجاز وتقريب تلك الموسيقى إلى فني. للأمانة لم يكن الأمر سهلاً، فإيقاعات الجاز لا تتشابه مع إيقاعات الراب، والسعي لخلق هذا التقارب كان شديد الصعوبة. ما زلنا نبحث عن نقاط مشتركة بين الجاز والراب رغم إصدارنا للألبوم الأول، ولم نصل بعد إلى حيث ننشد. يمكن القول بأن موسيقى الكوزموبوليتيك التي تولد في المدن التي تجمع الكثير من الأعراق والإثنيات، لها شكل المزيج الجميل.

○ مع دخولنا فصل الربيع تتضح أفق الجولات الفنية في أوروبا. فماذا عنك؟

● أعمل على مشروع «ولا مرّة»، وألتقي فيه مع العواد الفلسطيني الآتي من بيت لحم عيسى مراد. هدفنا الموسيقى التقليدية في بلاد الشام، ونحاول إضافة بعضاً من الموسيقى الإلكترونية إليها. «ولا مرة» هو خليط من التراث ومن الموسيقى الحديثة.

○ وماذا عن العرض المسرحي الذي شاركت فيه للفرنسي إيفون كوربينو؟

● زار كوربينو فلسطين، وهناك اكتشف واقعاً لم يكن يعلمه. كتب مشاهداته واطلعني عليها، وتوافقنا على مسرحتها. بدأ العمل سنة 2020، وكانت لنا أربعة عروض. بعد السابع من اكتوبر وجدت ضرورة لإعادة طرح هذا العمل للجمهور. زرته في منطقة بروتاني وأعدنا العمل على النص، وانطلقنا بعروض جديدة بدءاً من خريف العام 2025 عنوان المسرحية «La Foutue Bande–de loin de la Palestine». الكلمتان تحتملان معنيين مختلفين، وتهدفان للعب على الكلام. تتألف المسرحية من مشاهد متعددة، كل منها يتناول حالة عاشها الفلسطينيون في ظّل الاحتلال.

في هذا العرض أروي حكايتي كلاجئ لم ير وطنه مطلقاً. بالمناسبة لفتني أننا عندما نتناول مسألة اللاجئين الفلسطينيين وجود جهل مطبق بخصوصهم، وكأنهم غير موجودين. قناعة الأوروبيين أن النسبة الأكبر من شعب فلسطين يعيش بداخلها، فيما العكس صحيح. يجهلون وجود مخيمات في لبنان وسوريا والأردن وحتى داخل فلسطين في الضفة الغربية وغزّة. وكل من التقيهم بعد العرض يؤكدون جهلهم بمسألة اللجوء، وربما يرون في اللجوء الفلسطيني شبيهاً باللجوء إلى البلدان الأوروبية، لجوءاً اختيارياً؟

منال هيكل رحيل مُفاجئ يجدد أحزان الإذاعة المصرية

كمال القاضي

كثيرة هي القامات الإذاعية التي رحلت وتركت أثراً قوياً لا يزال باقياً برغم مرور السنوات وتوالي القيادات، آمال فهمي وصديقة حياتي وحكمت الشربيني وصفية المهندس وفضيلة توفيق وأخريات كثيرات، صدحت أصواتهن عبر الأثير فملأت الأرجاء صدىً ونغماً وأضافت للإنسانية علماً ومعرفه ووعياً وفكراً.

عند استقبال الصوت الإذاعي من خلال برنامج أو فترة مفتوحة أو نشرة أخبار، تتكون صورة افتراضية في خيال المُستمع بشكل تلقائي تتحدد على أثرها مُعطيات الصدق ومن ثم تتوطد العلاقة بين طرفين لا يربط بينهما غير الصوت والحدث.

وكثيراً ما يتعلق جمهور المُستمعين بشخصيات لم يرها رأي العين، لكنه يؤمن بما تقول اعتماداً على حدسه الخاص وما يستفتي فيه قلبه عن مصدر المعلومة وقائلها وتأثير الصوت والإحساس الداخلي بما يُغني في أواخر سبيل الرسالة الإعلامية من وقت وجهد.

وبتراكم أرصدة الثقة تعبر الأصوات الإذاعية بحار ومُحيطات بغير عوائق ويكتسب أصحاب الأصوات المتميزة شهرة واسعة باستحقاق تام وبدون وساطة أو محسوبية.

وللإذاعة في ذلك أمثلة عديدة للأصوات الواثقة والراسخة، كجلال معوض وأحمد سعيد وفهمي عُمر وسعد لبيب وصلاح زكي وإيناس جوهر ونُهى العلمي وسعدية مبروك وأمينة صبري وحلمي وأسمهان البُك، وعمر بطيشة وهاجر سعد الدين وكامل البوهي وسامية صادق وحافظ عبد الوهاب ومحمد محمود شعبان ووجدي الحكيم وكامل البيطار ومشيرة كامل وإبراهيم مصباح ونادية صالح وآخرين كُثر كان لهم دور ريادي بارز في مسيرة الإذاعة المصرية ومهمتها التثقيفية والتنويرية المتنوعة.

وبامتداد الرحلة الإذاعية والعطاء الدائم لكافة المحطات النموذجية المُتفانية في رسالتها، إذاعة البرنامج العام وصوت العرب والشرق الأوسط والبرنامج الثقافي والشباب والرياضة وإذاعة الأغاني وصوت الدلتا وإذاعة فلسطين وإذاعة الوادي الجديد وبقية الإذاعات الإقليمية ذات الأهمية المعرفية القصوى.

من خلال كل هذه المحطات تعرف المُستمعون على أصوات جديدة ومؤثرة، زهدت في الشهرة والأضواء وعكفت على وظيفتها ودورها المهني.

ومن بين الأصوات المُتميزة ظهر عبر الميكروفون صوت منال هيكل في أواخر الثمانينيات، صافياً رقراقاً مُعبراً، فقد تتلمذت فور تخرجها في كلية الإعلام على يد الكبار وزاملت قامات سامقة في مجالها الإذاعي، وإيناس جوهر منهم الدكتورة لمياء محمود، ربما نذكر منهم الدكتورة لمياء محمود، رئيس الأسبق لشبكة إذاعة صوت العرب والتي خلفتها منال في المنصب بعد بلوغها سن المعاش فأضافت ما يُثري وما يُفيد، إذ قدمت خلال موقعها كرئيس لشبكة صوت العرب والإذاعات المحلية برنامجها الشهير لقاء السبت والذي طرحت من خلاله عشرات القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وبموجب تميزها حصلت الإذاعية الكبيرة على الجائزة الفضية في مسابقة اتحاد الإذاعات العربية فئة نشرات الأخبار.

كما أنها تولت منصب مدير عام البرامج القومية بشبكة صوت العرب قبل توليها المنصبين السابقين، وقدمت حزمة من البرامج من أهمها مساحة للحوار والبانوراما الإخبارية والموسوعة السياسية وبيت العرب ومجلة الوطن العربي والمُنتدى الاقتصادي.

وقد عملت الإذاعية الراحلة في مجال الإخراج قبل التحاقها بمحطة صوت العرب، غير أنها عملت بإذاعة الشرق الأوسط لمدة عام وتولت خلال هذه الفترة القصيرة منصب مدير عام البرامج الثقافية، وبرز برنامجها الأسبوعي «بنات أفكاري» كأحد أهم البرامج الناجحة جماهيرياً.

ولم تنطفئ شُعلة النشاط عند منال هيكل حتى بعد خروجها من الخدمة بمُقتضى السن لإصرارها على العطاء والإسهام التنويري ولو بمساحات محدودة، لذا ظلت مُستمرة حتى الأيام الأخيرة من عمرها في تقديم المعلومة بطريقة جذابة ومشوقة من خلال برنامج «الموسوعة»، ففي نحو خمس دقائق فقط استطاعت أن تلفت النظر وتشد الانتباه بطريقتها المؤثرة وصوتها الوقور النافذ للقلوب بما تقدمه من معلومات في كبسولة إذاعية سريعة ومُتخصصة شملت كل المجالات العلمية والثقافية والإنسانية، فجاء أثرها القوي مُتمثلاً في ارتباط المُستمعين بالبرنامج كوجبة سريعة مُشبعة وغنية.

اهتمت منال هيكل أيضاً بالقضية الفلسطينية وأولت أحداث غزة الأخيرة اهتماماً خاصاً، فجاء تكريمها من مهرجان العودة للسينما الفلسطينية برئاسة المخرج الفلسطيني سعود مهنا كرد فعل يعكس مشاعر الامتنان والمودة، حيث حصلت على شهادة تكريم ودرع التميز لدعمها المتواصل للأنشطة الثقافية بمُختلف أنواعها.

وقد تضمنت حلقات كثيرة من برنامج لقاء السبت الذي قدمته الراحلة على مدار سنوات طويلة وانتهت رسالته بوفاتها مُتابعات دقيقة للفعاليات الثقافية والمهرجانات السينمائية والمسرحية والأنشطة والمعارض التشكيلية، فالفنون الراقية كانت على رأس أولويات المذيعة الاستثنائية التي أمضت رحلتها في سلام وفارقت الحياة بهدوء.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام ١٩٨٩
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 1000 جنيه استرليني في عموم بريطانيا و1200 دولار أمريكي للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع أنحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة السابعة والثلاثون العدد 11121 الأحد 29 آذار (مارس) 2026 – 10 شوال 1447 هـ
Volume 37 - Issue 11121 Sunday 29 March 2026

لوس أنجلوس: إدانة إنستغرام ويوتيوب بتهمة «الإهمال» وإلزامهما بدفع 3 ملايين دولار لشابة

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

أدانت هيئة محلفين في ولاية كاليفورنيا منصتي إنستغرام ويوتيوب، معتبرةً أنهما مسؤولتان عن تفاقم حالة الاكتئاب لدى مراهقة أمريكية، في حكم تاريخي قد يشكّل سابقة قانونية مهمة لآلاف الدعاوى المماثلة في الولايات المتحدة، والتي تتهم عمالقة التكنولوجيا بالتسبب في انتشار وباء إدمان وسائل التواصل الاجتماعي.

وقد خلص الحكم الصادر في لوس أنجلوس إلى أن شركة ميتا المالكة لإنستغرام، ويوتيوب التابعة لغوغل، ارتكبتا «إهمالاً» في تصميم منصاتهما، ولم تحذّرا المستخدمين بشكل كاف من المخاطر التي قد تشكّلها هذه الخدمات على القاصرين.

وبعد ثمانية أيام كاملة من المداولات الشاقة، توصل أعضاء هيئة المحلفين أيضًا إلى أن هذا الإهمال شكّل «عاملاً جوهريًا» في المشكلات النفسية التي عانت منها المدعية، كايلي جي. إم.

وبناءً على ذلك، حكمت الهيئة بإلزام الشركتين بدفع ما لا يقل عن 3 ملايين دولار كتعويضات لهذه الشابة من كاليفورنيا، التي تبلغ اليوم 20 عامًا. إلا أن المبلغ قد يرتفع بشكل كبير، إذ اعتبر 10 من أصل12 محلفًا أن الشركتين تصرفتا بنية الإضرار، ما يفتح الباب أمام فرض تعويضات عقابية إضافية.

ومن المقرر عقد جلسة قصيرة لاحقًا لتحديد قيمة هذه التعويضات، التي قد تكون أعلى بكثير.

ورحّب محامو المدعية بالحكم قائلين: «لقد حان وقت المساءلة»، مؤكدين أن هذه القضية قد تشكّل مرجعًا قانونيًا لآلاف الدعاوى الأخرى في الولايات المتحدة، والتي تستهدف أيضًا منصات مثل تيك توك وسناب شات.

وفضّلت المنصتان التوصل إلى تسوية مالية سرية مع المدعية لتجنب المحاكمة. من جانبها، صرّحت شركة ميتا بأنها «تحترم الحكم لكنها لا تتفق معه»، مضيفة أنها تدرس الخيارات القانونية المتاحة للطعن فيه.

وأدينت الشركة نفسها في اليوم السابق ضمن حكم آخر غير مسبوق في ولاية نيو مكسيكو، حيث اعتُبرت مسؤولة عن تعريض الأطفال عمدًا لمخاطر، بما في ذلك محتوى ضار أو تواصل مع مفترسين جنسيين.

ومن المنتظر أن تبدأ محاكمة أخرى مماثلة تتعلق بإدمان وسائل التواصل الاجتماعي في لوس أنجلوس اعتبارًا من تموز/يوليو المقبل، في حين يجري حاليًا النظر في دعوى جماعية على المستوى الوطني تضم مئات القضايا المشابهة أمام قاض فيدرالي في كاليفورنيا.

ولا تركز هذه الدعاوى على المحتوى المنشور على المنصات، إذ تتمتع هذه الأخيرة بحصانة قانونية في هذا الجانب بموجب القانون الأمريكي، بل على تصميم هذه المنصات نفسها، والتي يُتهم مطوروها بإدخال خصائص تهدف إلى إبقاء المستخدمين لأطول فترة ممكنة، مثل زر الإعجاب، التمرير اللانهائي، التشغيل التلقائي، والفلاتر التجميلية، خصوصًا لدى القاصرين. وفي شهادتها، أوضحت كايلي أنها أصبحت مدمنة على وسائل التواصل الاجتماعي منذ طفولتها، معتبرة أن هذه المنصات كانت سببًا في تدهور صحتها النفسية خلال المراهقة، بما في ذلك إصابتها بالاكتئاب والقلق وأفكار انتحارية.

واستمرت المحاكمة ستة أسابيع، وشهدت حضور مؤسس فيسبوك والرئيس التنفيذي لشركة ميتا، مارك زوكربيرغ، الذي أقرّ خلال شهادته بأن شركته «كان بإمكانها» اتخاذ إجراءات مبكرة لاكتشاف المستخدمين دون سن 13 عامًا ومنعهم من استخدام إنستغرام.

أما يوتيوب، فقد التزمت موقفًا أكثر تحفظًا خلال المحاكمة، مقدّمة نفسها على أنها امتداد للتلفزيون العائلي التقليدي، الذي لم يُدن يومًا بتشجيع الإدمان، بدلاً من اعتبارها شبكة تواصل اجتماعي.

إلازيغ التركية...
تماثيل خيول من النفايات لتعزيز ثقافة إعادة التدوير

في خطوة تجمع بين الفن والوعي البيئي، يشهد مضمار الخيول في مدينة إلازيغ شرقي تركيا مبادرة لافتة، يتم فيها تحويل النفايات الصناعية والمعدنية إلى تماثيل خيول، في إطار جهود نشر ثقافة إعادة التدوير بين الزوار، وخاصة الأطفال. ويقع المضمار على مساحة واسعة تطل على بحيرة هزار، ويُعد من المرافق الترفيهية التي لا تقتصر على سباقات الخيل فحسب، بل تستقطب العائلات أيضًا للتنزه وقضاء الوقت في الطبيعة، ما يجعله بيئة مناسبة لتمرير رسائل توعوية بطريقة تفاعلية.

وتندرج هذه المبادرة ضمن مشروع «صفر نفايات» الذي أُطلق في تركيا للحد من الهدر وتعزيز إعادة التدوير، حيث تم إنشاء ورشة داخل المضمار لتحويل مواد غير مستخدمة مثل حدوة الخيل، والسلاسل، والحديد، والبراغي، وأجزاء معدنية مختلفة، إلى تماثيل خيول. ومنذ نحو عام، يعمل فريق متخصص على إنتاج هذه المجسمات، حيث تم إنجاز 6 تماثيل حتى الآن، من المقرر عرضها في أنحاء المضمار مع انطلاق موسم السباقات في 1 نيسان/ابريل.

ويستغرق إنجاز كل تمثال نحو شهر ونصف من العمل، ويصل وزن الواحد منها إلى نحو طن، ما يعكس حجم الجهد المبذول في تحويل مواد مهملة إلى أعمال فنية متكاملة.

مدير مضمار إلازيغ محمد دميرجليك يقول إن المشروع لا يهدف فقط إلى التجميل، بل يحمل رسالة بيئية وتربوية واضحة. ويضيف: «مفهوم صفر نفايات مهم جدًا لمستقبل العالم ونسعى من خلال هذه الأعمال إلى غرس الوعي البيئي لدى الأطفال، وفي الوقت نفسه إبراز الجانب الفني في إعادة التدوير». ويشير إلى أن المضمار، الذي يشهد إقبالاً كبيرًا خاصة في فصل الصيف، يشكل منصة مناسبة للتأثير على الزوار وتعريفهم بأهمية الحفاظ على البيئة. ويبيّن أن المشروع بدأ باستخدام قطع من معدات قديمة داخل المضمار، قبل أن يتوسع ليشمل مواد مهملة جُمعت من مؤسسات مختلفة، لافتًا إلى أن هذه الأعمال باتت مؤهلة للعرض خارج المدينة أيضًا.

من جانبه، يقول الفنان سركان جطل قايا، وهو خريج قسم الفنون الجميلة بجامعة الفرات ويعمل في المضمار منذ عامين، إن العمل على هذه التماثيل يتطلب دقة فنية وتقنية عالية. ويتابع: «نعتمد على مبدأ إعادة التدوير المتقدم، حيث نحول المواد إلى منتج ذي قيمة أعلى.. نحاول أن تكون التماثيل مطابقة للتشريح الحقيقي للخيول». ويوضح أنه يستخدم تقنيات مثل اللحام والقص المعدني، مع تصميم هيكل داخلي يضمن توازن التمثال، مشيرًا إلى أن مدة الإنجاز تختلف حسب حجم العمل وتعقيده. (الأناضول)